



PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

PAIR



32101 014596876

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

*This book is due on the latest date
stamped below. Please return or renew
by this date.*

205-100-34
NY 34-100-34



DUE JUN 15, 1995

JUN 15 2000

كتاب الهلال

مذكرات عرابي

بقلم

زعيم الثورة العربية

احمد عرابي

الجزء الأول

العدد
٢٣

سلسلة شهرية
تصدر عن دار الهلال

كتاب الهلال

KITAB AL-HILAL

سلسلة شهرية تصدر عن « دار الهلال »
شركة مساهمة مصرية

رئيس التحرير : طاهر الطناحي

العدد ٢٣ - جمادى الأولى ١٣٧٢ - فبراير ١٩٥٣

No. 23 — February 1953

مركز الإدارة

دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب بك
(المبتديان سابقا) القاهرة

المكتابات

كتاب الهلال - بوسطة مصر العمومية - مصر
التليفون : ٢٠٦١٠ (عشرة خطوط)

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) - مصر والسودان
٨٥ قرشا صاغا - سوريا ولبنان ١٠٧٥ قرشا سوريا
أو لبنانيا - الحجاز والعراق والأردن ١١٠ قروش
صاغ - فى الأمريكتين ٥ دولارات - فى سائر
انحاء العالم ١٥٠ قرشا صاغا أو ٣٠/٩ شلنا

مذكرات عرابي

« كشف الستار عن سر الأسرار في النهضة المصرية ،
المشهوره بالثورة العرابية ، في عامي ١٢٩٨
و ١٢٩٩ الهجريين ، وفي ١٨٨١ و ١٨٨٢ الميلاديتين »

بقلم

زعيم الثورة العرابية
احمد عرابي

الجزء الأول

حقوق الطبع محفوظة

(Arab)
DT107

4
1072 JUZ 1

زعيم الثورة المصرية الحديثة
يقدم مذكرات زعيم الثورة العراقية

مذكرات عرابي

بقلم الرئيس اللواء محمد نجيب

تصفحت هذه المذكرات التي كتبها القائد المصري البطل أحمد عرابي « ليبين للناس حقيقة النهضة المصرية المشهورة بالثورة العراقية تمحيصا للتاريخ من درن الأهواء الفاسدة والمفتريات الباطلة »

وما أن سرت في قراءتها قليلا ، حتى استوقفتني أهمية البيانات الخطيرة الدقيقة التي سجلها وفصلها ، فأعدت ما قرأت ، مشني وثلاث ورباع ، شاعرا في كل مرة من هذه المرات بلذة الاستذكار ، ولذة الوقوف على تلك المفاخر المصرية الوطنية الحققة من بطولة وشهامة وتضحية وإيثار

وهكذا كان شأني حتى أتيت على آخر هذه المذكرات القيمة ، التي جمعت فأوعت ، وألقت الضوء على حقائق تلك الحقبة الخطيرة من تاريخنا الحديث ، فأظهرتها في صدق وإخلاص ويقين ، وكان فيها لذلك هدى للمهتدين ، وعبرة للمعتبرين

وانى اذ أترحم على الزعيم البطل صاحب هذه المذكرات ، مشيدا بما أفاد به التاريخ المصري ، بالكشف عن أسرار لم



32101 014596876

تكن معروفة فيه ، وبمواقفه هو وصحبه الذين رفعوا راس الكرامة الوطنية ، لأرجو ان تتجدد بها دائما ذكرى ذلك الجهاد الوطنى المجيد ، لينتفع بها الجيل الحاضر والأجيال المقبلة ، ولتتأكد فى نفوس المواطنين جميعا تلك المثل العليا التى ضربها عربى فى حركته الوطنية التاريخية العظيمة ، للرجولة الحققة والشهامة الموروثة ، وابعاء الظلم والضيم ، والاعتزاز بمصريته وقوميته ، مما جعله منارا يهتدى به ، ورائدا يقتفى أثره ويتمثل فيه بقول الشاعر العربى القديم :

إذا ما الملك سام الناس خسفا
أبيننا أن نقر الظلم فينا



على ان مذكرات عربى هذه ليست درسا من دروس الوطنية الخالدة فحسب ، وليست فائدتها مقصورة على ما فيها من كشف لحقائق التاريخ التى كانت مجهولة ، واماطة اللثام عن اسرار كانت خافية . فالواقع أنها الى هذا كله قد سجلت فيما سجلته حادثا تاريخيا جليلا من أجل حوادث الكفاح والتضحية والبذل والفداء فى سبيل حرية الوطن وكرامته وسعادته . وهى لذلك يجب ان يستوعبها المواطنون عامة ، والشبان خاصة ، ليتربسوا خطاه فى خدمة البلاد ، ولينسجوا على منواله فى الاقدام والاباء والاخلاص ، وبذلك يؤتى كفاحهم أبرك الثمرات وأينعها باذن الله



ان عربى زعيم تلك الثورة او النهضة المصرية ، يمثل بسيرته وأعماله التى تفصلها هذه المذكرات مرحلة مجيدة من أهم المراحل التى مرت بها بلادنا فى العصر الحديث ، فهو

وطنى كامل الوطنية ، وهو مناضل لا تنقصه الجراءة ولا الشجاعة ، ثم هو الى هذا وذاك جندى باسل يعرف حق بلاده عليه ، ويعرف متى وكيف يؤدي واجبه كاملا غير منقوص ، لكى يرفع لواء الكرامة الوطنية ، ولكى يدفع عن الوطن وأهليه عادية المستعمرين ومن يلوذ بهم من الطغاة المستبدين ومن النفعيين الفاسدين

وليس من شك فى أن التاريخ قد حفل بكثير من قصص الكفاح الوطنى التى تشبه قصة عرابى القائد المصرى ، والزعيم الوطنى المخلص ، بل ليس من شك فى أن التاريخ المصرى نفسه قد سجل فيما سجل صفحات رائعة مشرقة لبطولة رجالات صدقوا ما عاهدوا الله والوطن عليه ، فلم يدخروا جهدا فى سبيل استخلاص حرية الوطن وكرامته من بين براثن الفاصبين والمعتدين ، ظاهرين ومستترين . ولقد أثبت عرابى بما اشتملت عليه مذكراته هذه أنه جدير بأن يخلد اسمه فى مقدمة أسماء هؤلاء الأبطال ، وحق له أن تكرم الأمة كلها ذكره ، بما جاهد فى سبيلها ، وبما ضحى لرفعة شأنها ، ولاعلاء كلمتها على كلمة الطغاة والمستبدين



ولقد أحسنت دار الهلال اذ اخرجت فى سلسلة كتاب الهلال ، مذكرات زعيم الثورة العربية فى هذه المرحلة الجديدة من مراحل تطورها التاريخى ، ولا أشك فى أن ما تضمنته من وقائع وطنية واتجاهات قومية ، سيكون له اثره المحمود فى هذا العهد الجديد ، عهد الحرية والكرامة ، وثورة الحق والعدل على الباطل والفساد وبالله كل توفيق ونجاح

مصحف لواء اح.

كلمة صاحب المذكرات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الناشر في الخلق فضله . الباسط فيهم بالجلود
يده . نحمده في جميع أموره . ونستعين به على رعاية
حقوقه . ونشهد أن لا إله غيره . وأن محمدا عبده ورسوله .
أرسله بأمره صادقا . وبذكره ناطقا . فأدى أمينا . ومضى
رشيدا . وخلف فينا راية الحق من تقدمها مرق . ومن
تخلف عنها زهق . ومن لزمها لحق

أحمده تعالى الذي جعل الحمد ثمنا لنعمائه . ومعازا من
بلائه . وسبيلا إلى جنانه . وسببا لزيادة إحسانه . والصلاة
على رسوله نبي الرحمة وسراج الأمة . وإمام الأئمة . المنتخب
من طينة الكرم . وسلالة المجد الأقدم . وعلى آل بيته مصابيح
الظلم . وعصم الأمم . ومناثر الدين الواضحة . ومثاقيل
الفضل الراجحة . صلاة تكون أداء لفضلهم . ومكافأة
لعملهم . وجزاء لطيب فرعهم وأصلهم . ما أنار فجر .
وهدى نجم

أما بعد ، فاني قد اطلعت على كثير من الجرائد والتواريخ
العربية والافرنجية الموضوعة في النهضة المصرية المشهورة

بالثورة العرابية . فلم أجد فيها ما يقرب من الحقيقة ، أو
يشفى غليل روادها من أبناء الأمة

لذلك رايت أن اكتب للناس كتابا يهتدون به الى تلك
الحقيقة الموققة ، تمحيصا للتاريخ من درن الأهواء الفاسدة
والمفتريات الباطلة . وسميته « كشف الستار عن سر
الأسرار في النهضة المصرية المشهورة بالثورة العرابية في عامي
١٢٩٨ و ١٢٩٩ الهجريين وفي ١٨٨١ و ١٨٨٢ الميلاديتين »
قياما بالواجب على لأبناء وطني الأعزاء ، وتصحيحا للتاريخ ،
وخدمة عامة للانسانية وبنيتها . وصدرته بنسبي وبتاريخ
حياتي ليعلم أنى عربى شريف الأرومة ، مصرى الموطن
والنشأة والتربية . وهاك نشأتى ونسبى الشريف المتصل
بسيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وآله وسلم

أحمد عرابى المصرى



نشانی

نسبى الشريف

انا السيد احمد عرابى بن السيد محمد عرابى بن السيد
 محمد وافي بن السيد محمد غنيم بن السيد ابراهيم بن السيد
 عبد الله بن السيد حسن بن السيد على بن السيد سليم بن
 السيد ابراهيم بن السيد سليمان بن السيد حسين بن
 السيد على بن السيد حسن بن السيد ابراهيم مقلد بن
 السيد محمود بن السيد أحمد بن السيد حسن السجاعي
 ابن السيد صالح بن السيد صالح البلاسى (نسبة الى بلاس
 وهى قرية صغيرة ببطائح العراق وهو اول من هبط مصر
 من اجدادنا وتزوج من السيدة صفية شقيقة السيد احمد
 الرفاعى الصيادى) بن السيد على بن السيد عبد الرحمن
 ابن السيد عمر بن السيد عبد الرحمن بن السيد على بن
 السيد صالح الاكبر بن السيد محمد بن السيد على الحافظ
 ابن السيد قاسم بن السيد عبد السميع بن السيد عبد
 الفتاح بن السيد حسين الاصغر بن الامام على الرضا بن
 الامام موسى الكاظم بن الامام جعفر الصادق بن الامام محمد
 الباقر بن الامام على الزاهر زين العابدين بن الامام الحسين
 سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم بن الامام على بن
 أبى طالب كرم الله وجهه . وامى السيدة فاطمة بنت السيد
 سليمان بن السيد زيد تلتقى مع والدى عند السيد
 ابراهيم مقلد :

اولئك آبائى فجننى بمثلهم اذا جمعتنا يا جرير المجامع

نشأتى الأولى

كان والدى السيد محمد عرابى شيخا جليلا رئيسا على عشيرته عالما ورعا موصوفا بالعفة والأمانة . وكانت ولادتى فى ٧ صفر سنة ١٢٥٧ هـ ببلدتنا التى تدعى « هرية رزنة » بمديرية الشرقية بضواحي مدينة « بو بسط » المشهورة الآن بتل بسط وهى بلدة قديمة موجودة قبل زمن تغلب الملك شيشاق بن نمرود الأشورى (رأس العائلة الثانية والعشرين) على مصر . لا كما يهرف البعض بما لا يعرف ويدعى أنها من منشآت محمد على باشا . وما يزال فيها كثير من ذرية الفرس كعائلة كيوان وعائلة الدويتدار (دراز) وعائلة (تراز) مما يدل على قدمها . وهى واقعة فى شرقى مدينة الزقازيق على بعد ميلين . وأما الزقازيق ، فهى منشأة فى زمن محمد على (باشا) بعد انشاء قناطر التقسيم على بحر موسى (أو المعز لدين الله الفاطمى) وواقعة على مقربة من تل « بسطة » . وتعلمت القرآن الشريف وبعض العلوم الدينية فى المكتب الذى أنشأه والدى وفى الجامع الأزهر ، وقد تعلم فى ذلك المكتب كثير من أبناء بلدتنا ، حتى بلغ عدد المتعلمين فيها نحو نصفها . ومنهم العالم الأزهرى واللغوى الشهير الشيخ محمد حسين الهراوى والطبيب النطاسى عبد الرحمن (بك) الهراوى والكيمياوى الشهير عبد العزيز (باشا) الهراوى . وكان والدى قد أمر بترتيب درس فقه فى المسجد الذى جدده للعمامة بعد عصر كل يوم ، وبعد صلاة العشاء ، فتفقه عامة أهل البلد فى دينهم وصحت عبادتهم ، وحسن حالهم بفضل قيام المرحوم والدى على تعليم قومه وأهل بلده ، ثم توفى رحمه الله تعالى وأجزل ثوابه فى ٢١ شعبان سنة ١٢٦٤ (بالكولره) أى الهواء الأصفر بالغا من العمر ٦٣ سنة . فغدوت يتيما فى الثامنة من عمرى .

وكانت تربيته في حجر والدته وتحت رعاية أخى الأكبر السيد محمد عرابى الى ان تولى المرحوم سعيد باشا ولاية مصر في ١٤ شوال سنة ١٢٧٠ هجرية حيث أصدر امره بانتظام اولاد عمد البلاد ومشايخها في سلك العسكرية حيث كان طلبى والحقى بالعسكرية في ١٥ ربيع أول سنة ١٢٧١ هـ

دخول العسكرية وأسفارى

في التاريخ المذكور آنفا دخلت العسكرية وكان ذلك في عهد محمد سعيد باشا الذى كان محبا لتقدم المصريين . فترقيت بالامتحانات أمام رجال العسكرية الى رتبة ملازم ثانى في ١٥ ربيع أول سنة ١٢٧٥ والى رتبة ملازم أول في ١٧ جماد الثانى سنة ١٢٧٥ والى رتبة يوزباشى في ١٣ شعبان من السنة المذكورة والى رتبة ضاغقولفاسى في ٢٣ ربيع آخر سنة ١٢٧٦ والى رتبة بكباشى في ١٥ شعبان من السنة المذكورة والى رتبة قائمقام بك في ٢٤ صفر سنة ١٢٧٧ وهى الرتبة التى لم يصل اليها احد قبلى من العنصر المصرى . ثم ترقيت بعد ذلك فى عهد محمد توفيق باشا الى رتبة اميرالاي فى رجب سنة ١٢٩٦ والى رتبة اللواء فى ربيع آخر سنة ١٢٩٩

وكانت مدة الامير سعيد باشا كلها أسفار وتمرينات حربية من الاسكندرية الى مريوط ، ومنها الى دمنهور ، ثم الى القاهرة ، ثم الحنقاه فالعباسية ، فطره ، ثم الى بنى سويف ، فجبيل الطير بمديرية المنيا ، الى قنا ، فسهل باب الملوك الى اسنا ، وكنت يومئذ عاملا فى الجيش فسعدت بالتوجه بمعيته رحمه الله الى المدينة المنورة لزيارة النبى صلى الله عليه وعلى آله

وفى مدة الخديو اسماعيل انتدبت لترتيب عساكر من اهالى القلاع الحجازية المحالة ادارتها على الحكومة المصرية



أحمد عرابي في شبابه

للمحافظة عليها بالنيابة عن الدولة العلية ، فسافرت في ٢٤ شعبان سنة ١٢٩٢ هـ من القاهرة الى بندر السويس ، وفي اول رمضان من السنة المذكورة توجهت خلى ظهر الجمال الى قلعة (نخل) بكسر النون والحاء وليس معى مساعد ولا كاتب ولا اجر لى على ذلك العمل الشاق بل كانت جميع المصاريف اللازمة لى وخدمى وللحمالة الذين رافقونا من مالى الخاص لان الحكومة كانت لا تعطى رجال العسكرية اجر سفريات كرجال الملكية

فلما وصلت الى (نخل) رتبت العساكر اللازمة لها من أهلها وأرسلت العساكر المصرية التى كانت فيها الى القاهرة بطريق البحر الأحمر وأنشأت فى قلعة (نخل) مكتبا لتعليم الأطفال القراءة والكتابة وشيئا من القرآن الكريم وعهدت بمباشرة تعليمهم الى وكيل القلعة وفقه البلد ثم توجهت الى قلعة العقبة فوصلتها بعد ثلاثة أيام • ثم الى قلعة (المويلح) ثم الى قلعة (ظبا) ثم الى قلعة (الوجه) ورتبت فى كل من هذه القلاع ما يلزمه من العساكر من أبنائه للمحافظة عليه وأنشأت فيه كذلك مكتبا لتعليم الأولاد تحت مراقبة وكلاء القلاع المذكورة ثم أرسلت جميع العساكر القديمة الى مصر بطريق البحر الأحمر كذلك

وبعد اتمام تلك المأمورية على الوجه الاكمل قفلت عائدا الى مصر بحرا الى مدينة (القصير) ثم برا الى مدينة قنا ثم بحرا الى مدينة أسيوط ثم بطريق السكة الحديدية الى الجيزة فالقاهرة • وكان انجاز هذه المأمورية فى مدة خمسة وأربعين يوما

وبعد وصولى الى القاهرة بعشرة أيام توجهت الى مصوع حيث كنت مأمورا للحملة الحبشية مكلفا بايصال الذخيرة والميرة الى الجيش أينما كان • فمكثت هناك الى انتهاء تلك الحركة المشؤومة التى بسببها بيعت حصص الحكومة فى

قنال السويس (سرا بدون اشهار مزاد عنها) للحكومة الانجليزية بمبلغ زهيد قدره أربعة ملايين من الليرات الانجليزية . ولو انها عرض بيعها على الدول الاوربية لبلى ثمنها ما ينيف على خمسين مليوناً من غير مبالغة . على أنه لم يصرف من قيمة تلك الحصص درهم على الحملة الحبشية بل استأثر بها الحديو اسماعيل لنفسه سلباً ونهباً !!

اسعد أيامى

مما تقدم يعلم انى دخلت العسكرية نفرا بسيطا فى ١٥ ربيع أول سنة ١٢٧١ هـ وترقيت بسرعة غريبة جزاء ما بذلت من جهد عنيف ، حتى نلت رتبة قائمقام الآلاى فى ٢٤ صفر الحير سنة ١٢٧٧ وكانت تلك المدة عبارة عن ستة أعوام الا عشرين يوما هى أيام سعودى وخلو فكرى من الاكدار الدنيوية ، فقد كنت فيها عزيزا مكرما عند حضرة محمد سعيد باشا وكثيرا ما كان يشركنى معه فى ترتيب المناورات الحربية وينبئنى عنه فى تلقينها الى اكابر الضباط بحضرته ، وعلى مسمع منه رحمه الله تعالى . ولشدة اعجابه بى أهدانى (تاريخ نابليون بونابرت باللغة العربية طبع بيروت) وهو بادى الغيظ على أن تمكن الفرنسيون من التغلب على البلاد المصرية، والتحريض على وجوب حفظ الوطن من طمع الأجانب

ولما طالعت ذلك الكتاب شعرت بحاجة بلادنا الى حكومة شورية دستورية ، فكان ذلك سببا لمطالعتى كثيرا من التواريخ العربية . وازداد هذا الشعور فى تأصلا عندما سمعت خطبة ألقاها المرحوم سعيد باشا فى مادبة أديها بقصر النيل للعلماء والرؤساء الروحانيين وأعضاء العائلة الحاكمة وأعظم رجال الحكومة ملكيين وعسكريين بعد تناول الطعام فى سرادق كبير

خطبة سعيد باشا

قال مرتجلا : « أيها الاخوان .. انى نظرت فى احوال هذا الشعب المصرى من حيث التاريخ فوجدته مستعبدا لغيره من أمم الأرض . فقد توالى عليه دول ظالمة كثيرة كالعرب الرعاة (الهكسوس) والاشوريين والفرس حتى اهل ليبيا والسودان واليونان والرومان ، هذا قبل الاسلام . وبعده تغلب على هذه البلاد كثير من الدول الفاتحة كالأمويين والعباسيين والفاطميين من العرب ، ومن الترك ، والاكراد والشركس . وكثيرا ما أغارت فرنسا عليها حتى احتلتها فى أوائل هذا القرن فى زمن (بوناپرت)

« وحيث انى أعتبر نفسى مصريا فوجب على أن أربى أبناء هذا الشعب وأهذبته تهذيبا حتى أجعله صالحا لأن يخدم بلاده خدمة صحيحة نافعة ويستغنى بنفسه عن الأجانب . وقد وطدت نفسى على إبراز هذا الرأى من الفكر الى العمل »

فلما انتهت الخطبة خرج المدعوون من الأمراء والعظماء غاضبين حانقين مدهوشين مما سمعوا . وأما المصريون فخرجوا ووجوههم تتهلل فرحا واستبشارا . وأما أنا فاعتبرت هذه الخطبة أول حجر فى أساس نظام « مصر للمصريين »

وفى سنة ١٢٧٨ هـ رأى الأمير محمد سعيد (باشا) أن الحكومة مدينة لمعامل ألمانيا وفرنسا بنحو ثلاثة ملايين من الجنيهات ثمن بناء حوض للسفن بالسويس ومدافع كروب من ألمانيا ، وملابس ومهمات حربية وأسلحة جديدة من فرنسا . فاستعظم هذا الدين وأمر بصرف عساكر الجيش الى بلادهم وبيع ما فى الخزائن الأميرية من الأمتعة الثمينة . وبيع جميع المعامل والورش القديمة الكائنة بالعاصمة والمحافظات والمديريات . وبيع الأطنان المتروكة ، وغير

ذلك للوصول الى سداد هذا الدين . كما أمر باعطاء من يرغب في الخروج من خدمة الحكومة أرضا معاشا له ولأولاده من بعده وبإحالة الضباط الى المديریات والمحافظات مستودعين بنصف مرتباتهم . وأمر بتخصيص ما يلزم لهم من الرواتب على الأراضى الزراعية ، فخص كل فدان قرش واحد وربع القرش علاوة على المال حين تسديد الدين المطلوب من الحكومة . ثم تجمع العساكر والضباط ثانياً وتلقى الضريبة المؤقتة . وقد استمر الأمر على ذلك الى أن توفي رحمه الله

وفي أوائل سنة ١٢٧٩ هـ سافر سعيد (باشا) الى أوربا لمعالجة نفسه من داء السرطان . وهناك كتب وصيته الى قائمقامه في مصر (وهو اسماعيل (باشا) الذى جلس على الأريكة الحديوية من بعده) قال فيها :

« بما ان الضباط الوطنيين المترقين من تحت السلاح قد اشتغلوا بملازمة نسائهم ، وتركوا دروسهم العسكرية ، ولو تركناهم على هذه الحال التى لا تعود عليهم الا بالوبال لفقدوا العافية والنظر . وصاروا عبرة لمن اعتبر ، وبما اننا نحن الذين ربيناهم وأظهرناهم ، فلا يصح لنا تركهم فى هذه الحال التى ذكرناها لذلك اقتضت ارادتنا جمعهم من بلادهم وعدم تمكينهم من نسائهم حتى ولا بالنظر اليهن والتشديد عليهم بمداومة تدريس القوانين ليلا ونهارا فى قصر النيل »

ثم توفي المرحوم محمد سعيد (باشا) فى ليلة ٢٧ رجب سنة ١٢٧٩ هـ وتولى اسماعيل (باشا) ولاية مصر فى التاريخ المذكور وعزل فى ٦ رجب سنة ١٢٩٦ هـ بناء على طلب دول أوربا عزله من الحضرة السلطانية لما تحقق لديهم من سوء الادارة والتبذير فى عهده وشدة الطمع والجشع اللذين لا حد لهما ولا نهاية . فكان عزله رحمة من الله بالمصريين

النشأة الثانية

ما تحملته من المظالم

تولى اسماعيل (باشا) ولاية مصر فأمر بجميع العساكر وترتيب الآلات وكان ترتيبى قائمقاما على الآلاى البيادة السادس مع أميرالاي بكرى (بك) ولم يكن بهذه الرتبة من العنصر الوطنى بالآلات غيرى ، ولسوء حظى ترقى أمير الآلاى الثانى المدعو خسرو (بك) الى رتبة اللواء (باشا) لا بعلمه ومعارفه ، بل لكونه جركسيا ومن الخارجين على الدولة العلية مع ابراهيم باشا بن محمد على باشا فى تلك الفتنة الدهماء التى دكدكت سياج الاسلام، وفضحت عورة المسلمين ، وكسرت شوكة الدولة العلية (الحامية لجميع الموحدين) . وقد تعين المذكور أميرا على اللواء الثالث المكون من الآلاى الخامس والسادس . وعندما تكامل حشد العساكر اجتمعت الآلات البيادة والسوارى فى ميدان (طره) بسفح جبل المقطم وأقيمت تمرينات حربية حضرها الحديو اسماعيل وجميع رؤساء العسكرية . ولشد ما أدخلت السرور على الحديو حتى دعا جميع الضباط العظام من رتبة البكباشى فما فوقها الى مأدبة فخمة فوق ظهر سفينته البخارية . ولم يكذب يأخذ القوم مجلسهم حتى وجدوا على المائدة عدة زجاجات مملوءة بأنواع المشروبات الحميرية المحرمة والكؤوس المختلفة !

وتلك حالة لم يسبق لنا رؤيتها لأنها غير المألوف والمعروف عندنا : ثم تقدمت الأطعمة فأكل المدعوون طعاما شهيا لذيذا وشرب من أراد الشرب منهم من تلك الحمور وتعفف من كره . وبعد الفراغ من تناول الطعام أعلن الحديو سروره وشكره لضباط الجيش على ما أبدوه من النشاط وحسن الترتيب فى أثناء التمرينات الحربية . وأمر لكل واحد من الباشوات بخمسائة فدان ، ولكل من أمراء

الآليات بمائتى فدان ، ولكل واحد من القائم مقامات بمائة وخمسين فدانا من زيادة المساحة التى توجد فى بلاد مديرتى الغربية والمنوفية

خرجت الأوامر من المعية الحديوية الى المديريتين المذكورتين بتسليم الأراضى المذكورة الى أصحاب الرتب المختلفة ، ولكن عند الشروع فى استلام تلك الأطنان ظهر الظلم وتجسم بأكمل معانيه . فقد كان يتوجه كل واحد من المندوبين من طرف المنعم عليهم بأمر من المديرية الى بلد يختارها من أحسن البلاد تربة . ويطلب تحديد المقدار المعين قطعة واحدة فى أخصب حوض من الأراضى المملوكة لأربابها فيجاب الى طلبه ، ثم يحال المالكون الضعفاء على الحيضان الأخرى التى توجد بها زيادة المساحة وقد لا توجد . حيث يخصص مقدار الأرض المأخوذة منهم على جميع الأفدنة الموجودة فى البلد ، فيخص الفدان الواحد قيراطان أو ثلاثة أو أربعة . فتؤخذ من الكل وتجمع فى جهة وتعطى لأولئك المساكين بدلا من أراضيهـم التى كانوا يملكونها . وقد تكون هذه الأراضى من أردا أنواع الأرض

وتلك أول مظلمة من المظالم الكثيرة التى وقعت فى عهد اسماعيل باشا !

وقد حماني الله من الوقوع فى شرك هذه المآثم على غير ارادة منى وذلك أن خسرو باشا أمير اللواء الآنف الذكر كان رجلا جاهلا متعصبا لجنسه تعصبا زائدا عن حد المعقول . وكان قد أخبر ناظر الجهادية اسماعيل باشا سليم (الرومى الأصل) بأننى صلب الرأى شرس الأخلاق لا أنقاد لأوامره ولا أحفل بما يصدر منها عن ديوان الجهادية (الحربية) . (وما بى والله من شراسة ، ولكنى جبلت على حب العدل والانصاف وبغض الظلم والاجحاف) . وطلب

منه وقف تسليمى الأُطيان المنعم بها على حين تحقيق ما افتراه من الكذب . فعرض ناظر الجهادية الأمر على الخديو مشافهة ، وصدر بناء على ذلك أمر المعية لمديرية الغربية بعدم تسليمى تلك الأُطيان حتى يصدر لها أمر آخر

ثم أمر ناظر الجهادية بتحقيق ما نسب الى ، فالف لذلك مجلس عسكري برئاسة حسين باشا الطوبجى وعضوية محمد بك أمين أمير الآلاى الخامس وقائمقام الآلاى المذكور رشيد بك راقب وغيرهم من الجركس والترك

وحقيقة هذه المسألة أن هذا اللواء المتعصب لجنسه المتفانى فى الحقد على العنصر الوطنى كان يكره أن يكون تحت أمرته رجل شريف مثلى يتفانى فى نصرة الحق على الباطل . فعمل على اقصائى من مركزى ليتسنى له ترقية المدعو مصطفى سليم أحد بكباشية الأورطة التى تحت ادارتى - الى رتبة القائمقام وترتيب به بدلا منى لكونه من أبناء الجركس ، ولكونه صهر جاهل كنج باشا قومندان اللواء الأول . واتفق فى ذلك الوقت امتحان الضباط الأصاغر لترقيتهم ، فى مجلس برئاسة خسرو باشا هذا وبحضورى كعضو فيه أيضا . وبعد ظهور نتيجة الامتحان والاقرار على ترقية المستحقين كتبت العرائض عند الباشا المذكور ، وختمت من أرباب الامتحان . ولما عرضت على ختمت على عرائض من تقرر ترقيتهم ، وأبيت الحتم والتصديق على ترقية ملازم ثانى يدعى حسين أفندى لانه لم يجب فى الامتحان باجابة حسنة ، بينما كان آخر يدعى حسين أفندى أيضا أجاب فى الامتحان جوابا حسنا وتقرر فعلا ترقيته بمجلس الامتحان ، ولكن تأخر هذا وتقدم ذاك بدلا منه بسبب المحسوبية ، ولكونه كان ملازما لخدمة البكباشى مصطفى أفندى سليم

فلما أبيت التوقيع على العريضة المذكورة طلب الى
الباشا المشار اليه الموافقة على ختم العريضة لاجل خاطر
البكباشى المذكور . فرفضت ذلك كل الرفض وطلبت
ترقية المستحق ، فأبى ذلك وتأخر الاثنان عن الترقى بعد
جدال عنيف

وكانت هذه الحادثة سبب الوشاية بى عند ناظر الجهادية .
وقد أوعز الباشا الى البكباشى المذكور بأن يختلق مكيده
يوقعنى فيها لاجل حال الى المحاكمة العسكرية ، ومع أنه ثبتت
براءتى من هذه المكيده فقد حكم المجلس المذكور بحبسى ٢١
يوما ومحابة لحسرو باشا وناظر الجهادية . فاستأنفت الحكم
وطلبت احوالى الى المجلس العسكرى الاعلى الذى تقرر فيه
الغاء هذا الحكم وحفظ الاوراق لفساد التهمة وثبوت
تزويرها

وهنا وقع الخلاف بين ناظر الجهادية اسماعيل باشا
سليم ، وكان « مملوكا روميا » وبين رئيس المجلس
العسكرى الاعلى على باشا سرى ، وكان أرمنوديا ، بسبب
حكم هذا المجلس بالغاء حكم المجلس الابتدائى . وكان ناظر
الجهادية يريد تأييد الحكم الابتدائى تصديقا لما أخبر به
الحديو سابقا فى المأدبة . فسعى لدى الحديو فى رفته
ورفتى من الآلاى وتم له ما أراد . ولكن الله ليس بغافل
عما يعمل الظالمون . ففى الاسبوع الذى رُفئت فيه من
الآلاى صدر أمر الحديو بالغاء أورطة اللواء الثالث الذى
كان تحت أمرة خسرو باشا وتفرقت تلك الفرقة على
الآلايات الأخرى . ورفت البكباشى مصطفى سليم رفا
شنيعا مدة عشر سنين . ثم أصيب حسين باشا الطوبجى
بفالج أودى بحياته . وكذلك أصاب محمد بك أمين الذى
وافق على المحابة فالج كصاحبه . أما أمين بك القبرصلى
ناظر قلم تركى بديوان الجهادية وهو رجل رومى . فقد

أصابه الله بقارعة قبل موته لميله مع الظالمين حيث زور أمرا خديويا ماليا فضبط وسجن ثم ضرب نفسه بمدية طالبا للانتحار . فعولج وأرسل الى السودان ومات قبل وصوله . وأما ناظر الجهادية فقد هلك فى حرب كريد ، ولكن ليس شهيدا ، بل أكل فريكا من قمح فانعقدت أعضاؤه ، وقضى نحبه وأرسل الى مصر ودفن فى قرافة الامام الشافعى . وأرسل خسرو باشا الى السودان . وهكذا كل من اشترك فى تلك الظلامة أصيب بمصيبة عظيمة

عودتى الى الخدمة بعد انقضاء المحنة

ولما كان رفتى من الآلاى بأمر ناظر الجهادية وبطريقة استبدادية ظالمة شكوت أمرى الى الخديو اسماعيل باشا والتمست طلب أوراق القضية وفحصها بديوان المعية وانصافى بوجه العدل لأن (العدل ان دام عمر ، والظلم ان دام دمر) وطلبت من راغب باشا النظر فى ظلامتى ، وكان حينذاك باشمعاوننا للخديو ، وله نفوذ تام فى جميع المصالح الأميرية . فوعدنى خيرا . وفى الحال كتب لديوان الجهادية يطلب جميع الأوراق المتعلقة بالدعوى المذكورة ، وبناء على ذلك أرسلت جميع الأوراق الخاصة بمسألتى الى ديوان المعية، ففحصها ابراهيم باشا خليل رئيس قلم العرضحالات، وعمل عنها نتيجة أوضح فيها تلفيق القضية وفسادها . ثم عرضت النتيجة على الخديو ، ولكنه لم يبد رأيه فيها . فمكثت على هذه الحالة مدة ثلاث سنوات ، وأنا أتردد على المعية بلا فائدة . وفى ربيع أول سنة ١٢٨٣ هـ كتبت عريضة استرحام ثانية للخديو، فصدرت ارادة سننية مآلها ان العرضحال المقدم منى عرض على الخديو وانه عفا عنى . وبناء على ذلك صدر أمره باستخدامى عند ظهور خدمة مناسبة

مما تقدم يعلم انه لم يقع منى خطأ يصح صدور عفو عنه ، وانما كان الغرض من ذكر العفو التمهيد لاصاعة مرتباتى مدة رفتى والتخلص من مظنة الظلم وضـياع الحقوق ، فكانت هذه المرحمة خالية من العدل الحقيقى . وعلى ذكر العدل اذكر ما وقع ليعقوب سامى باشا فى عهد سعيد باشا ، وذلك انه كان معاونا بضبطية مصر بعد حضوره من حرب القرم فى سنة ١٢٧١ هـ برتبة صاغقولغاسى ، فوقع بينه وبين الضابط عبده باشا خلاف لعدم موافقته على أغراضه الدنيئة انتهى برفته من غير ذنب وكان عبده باشا رجلا شريرا لا يعبأ بفضيحة الحرائر . فرفع سامى باشا شكواه الى سعيد باشا فصدر أمره رحمه الله بتحقيق تلك الشكوى فى ديوان الداخلية ، ولما ظهر من النتيجة أنه رقت ظلما أمر سعيد باشا برفق عبده باشا من الخدمات الاميرية لظلمه والزامه بمرتبات يعقوب باشا سامى من تاريخ رفته واعادة المظلوم الى وظيفته كما كان . فاین هذا العدل المحض من تلك المرحمة الحالية من العدالة !

احالتى الى الوظائف الملكية

لما أخذت أمر الحديو السابق ذكره توجهت الى ناظر الجهادية اسماعيل باشا سليم وناولته اياه فقرأه ، وقال : « الحمد لله على ذلك ، فقد كنت خدعت ، وصدقت قول خسرو باشا ، وتسرعت فى الامر وعرضته على الحديو ، ولم أستطع بعد ذلك تكذيب نفسى عنده ، وأنا آسف على ما حصل مع علمى بما انت عليه من الذكاء والفطنة والاستقامة ، فأرجو منك يا ولدى قبول اعتذارى » فقلت : « عفا الله عما سلف والذى أرجوه الآن هو احوالى على مفتش الاقاليم » وكان ذلك اتقاء لشر أعدائى السالف ذكرهم . فأجابنى الى طلبى . ولما عرضت أمر الاحالة على

المرحوم اسماعيل صديق باشا رجب بى وأكرمنى وأمر فى الحال بتعيينى فى مأمورية مؤقتة هى المحافظة على النيل بمديرية الشرقية . وبلغ نيل ذلك العام ٢٧ ذراعا فبذلت جهدى فى أخذ الاحتياطات اللازمة لرد طغيان الماء وحفظ البلاد من الغرق ، وبعد انقضاء زمن النيل أحيل على عهدتى انجاز بناء قنطرة فم الاسماعيليه بحرى قصر النيل والقنطرة البولاقية ثم انجاز سد فم رياح الترعة الاسماعيليه بالقرب من شبرا وانجاز قطع الاحجار بجهات العباسية والبساتين وطره والمعصرة وشحن الاحجار اللازمة لذلك وللقناطر الحيرية ولجميع مديريات الوجه البحرى

وفى سنة ١٢٨٤ هـ أحيل على عهدتى انجاز بناء كوبرى قشيشه العظيم على خط السكة الحديدية قبلى الواسطى وطوله ٥١٤ متر . وكوبرى الرقة بحرى الواسطة وكوبرى أطواب على فرع الفيوم ثم السكة الحديدية من المنيا الى بندر ملوى . وبعد اتمام تلك الاعمال المهمة على أكمل وجه مع مراعاة الاقتصاد فى النفقات أقمت وليمة من مالى الخاص دعوت اليها رؤساء مصلحة السكة الحديدية ورؤساء الهندسة والعمال ورجال مديرية بنى سويف احتفالا بأول قطار يمر على الكوبرى المذكور وكان يوما مشهودا . وبمراجعة الحساب كان الوفرة فى المال ٢٥٠٠٠ جنيه مصرى عن طلب المقاولين الأجانب الذين حاولوا أخذ تلك الاشغال . وبسبب توفير هذا المبلغ وسرعة انجاز البناء والتركيب واحكام الاعمال على أحسن ما يرام كوفىء ناظر الدائرة الخاصة قاسم باشا رسمى بخمسة آلاف جنيه م . ولم يكن سوى واسطة للمخاطبات بينى وبين مصلحة السكة الحديدية . وكوفئت أنا على تلك الاعمال الشاقة الجليلة بالتقاعد والراحة من غير معاش لحين ظهور خدمة أخرى فيا لله ما أمر وأصعب تلك المكافآت المقلوبة على النفوس

الحساسية الشريفة . وما أكثر العجائب فى الحكومات المطلقة
المستبدة الظالمة !..

عودتى الى الخدمة العسكرية

وفى أوائل سنة ١٢٨٧ عين قاسم باشا المذكور ناظرا
للجهادية وهو رجل رومى بارع فى الاشغال الحربية والملكية
نشيط فى كل أعماله . وكان يعرف قدر أعمالى واقتدارى
مدة انشاء الكبارى السابق ذكرها . فطلبنى وكلفنى
بالرجوع الى خدمة الجهادية، فأجبته الى ذلك وترتبت قائما
فى ٣ جى الالى بالاسكندرية . وفى سنة ١٢٨٨ هـ انتقلت
الى رئاسة الالاي الثانى البياده ، ولكن برتبته من غير
ترقى . وفى أواخر سنة ١٢٩٠ هـ توجهت بالالاي المذكور
الى رشيد بطريق البر على شاطئ البحر الأبيض المتوسط .
وفى أوائل السنة المذكورة أحيل ديوان نظارة الحربية الى
عهدة الأمير حسين كامل باشا بن اسماعيل باشا الحديوى .
وصار فتح فرقة ثانية وثالثة فى الجيش مكمله من الاسلحة
الثلاثة أعنى بياده وسوارى وطوبجية وصار ترقى الضباط
اللازمين لذلك استعدادا للحملة الحبشية المشؤومة . وبعد
اختيار المختارين للفرقة الثانية من الذين ترقوا بحضرة
الأمير حسين قال للذين تأخروا عن الترقى : « اجتهدوا
أيها الضباط فى التعليم والتمرين حتى تدركوا ما وصل
اليه اخوانكم الذين ترقوا »

والله يشهد وفطاحل الجهادية ان المتأخرين فى الترقى
هم أساتذة الذين ترقوا فى العلوم الحربية . وهم أرقى
أخلاقا وأدبا كحسين مظهر أفندى البكباشى الذى ترقى فى
عهد توفيق باشا الى رتبة باشا وقتل فى حملة (هكس
الانجليزى) عند محاربة المهدي السودانى . وعلى فهم
البكباشى . ومتولى حافظ البكباشى . ومحمد على أفندى
البكباشى . ومحمد الدرى أفندى البكباشى . وسعيد ناصف

أفندي البكباشي ، (وقد قتلوا في الحملات الحبشية
والسودانية) • ولكن الغرض يعنى ويصم • ثم التفت
الأمير الى وقال بلهجة الآسف :

« انى طلبت من أفندينا ترقية الى رتبة الميرالاي فقال
انك من بتوع سعيد باشا » • فقاطعه الكلام وقلت : « انى
لست بتاع أحد بل خادم الحكومة والوطن وبلدى هرية
رزنة بمديرية الشرقية • ولكن بتاع سعيد باشا هو راتب
باشا لانه ملكه » فقال لا تفتقر همتك فى تأدية واجباتك ،
وانى سأبذل جهدى فى ترقيةك عند ترتيب الفرقة الثالثة •
فشكرت له وخرجت وأنا شاعر بأنى لن أنال خيرا فى عهد
والده لأننى متحقق من أن خسرو باشا وراتب باشا ورؤساء
الجراكسة يعارضون فى ترقيةى بكل ما فى قدرتهم • وقد
سمعت من أحد أمرائهم (وهو رجل معتدل غير متعصب
لبنى جنسه على ما فيه من غلظة) أنه حضر مجلسا لأولئك
الجراكسة حيث تذاكروا فى اختيار الذين يريدون ترقيةهم
الى الفرقة الثالثة • فعرض عليهم ترقيةى الى رتبة الاميرالاي
مراعاة للحق والانصاف فأبوا عليه ذلك فقال لهم : « ربما
ترقى قهرا عنكم يوما ما اذا لم يرتق برضائكم واختياركم •
وانتم تعلمون أنه أقدم القائمات وأعلمهم • وفيكم من كان
تحت أمرته • فالأولى بكم أن لا تعرضوا أنفسكم للانتقاد » •
ولكنهم لم يزدادوا الا اعتوا ونفورا

ولما ترتبت الفرقة الثانية والثالثة وتم ترقية الضباط ،
لم يقدر ناظر الجهادية الأمير حسين كامل باشا على الوفاء
بوعده لاصرار السردار راتب باشا على رفض ترقيةى •
ومن الغريب أن الآلاى الذى تحت ادارتى ظل خاليا من
ضابط من رتبة الاميرالاي مدة ثمانية أعوام • وكنت أنا
القائم بوظيفة الاميرالاي بأحسن نظام وأكمل تربية وأدق
تعليم وأحسن هيئة عسكرية : فما أوضح هذا الظلم المبين

في الحملة الحبشية

بدء الحملة

في سنة ١٢٩٢ هـ بدأت الحملة الحبشية بالسفر الى مصوع بعد قتل الثلاث أورط التي قام بها أراكيل بك الأرمني محافظ مصوع . وكان معه يومئذ البكباشي علي رائف والبكباشي احمد فوزي والبكباشي احمد سعيد قومندان الطوبجية والبكباشي عمر رشدي أركان حرب . فأغار على حدود الحبشة من جهة ستهيت و فرق العساكر فرقا صغيرة وسار بهم الى اقليم أسمره . فأحاط بهم الاحباش وأفنوهم عن آخرهم ومثلوا بالقتلى . وجبوا مذاكير من سلموا من القتل من العساكر المصرية . وكذلك ذبحت الفرقة التي أرسلت مع مسنجر بك الانجليزى الى تجره ومنها الى الملك منليك ملك (شوا) بطريق قبيلة الحنفلى بقصد الهجوم على الاحباش والتغلب على بلاد يوحنا بمساعدة منليك الذى صار أمبراطورا بعد قتل يوحنا بيد الدراويش السودانيين : فلما قرب مسنجر بك من حدود (شوا) قام شيخ قبائل الحنافل برجاله وباغت العساكر المصرية ليلا وهم نيام فذبحهم عن آخرهم وأخذ أسلحتهم وذخائرهم وجميع ما معهم من الهدايا الثمينة المرسله الى منليك . فلما جاءت هذه الأخبار الى مصر عظم الأمر واشتد غضب الحديوى اسماعيل باشا . فأمر بارسال الجيش المصرى المركب من ثلاثة فرق الى الحبشة بطريق البحر الاحمر الى مصوع وعهد بقيادة الجيش الى راتب باشا سردار العساكر المصرية، وأمر هذا القائد العام أن يكون مقيدا برأى أركان حرب الجنرال لورنج وهو أميريكاني

لا يعرف الفنون العسكرية ، وانما كان رئيس فرقه فى الحرب الامريكية من ضمن الفرق الغير المنتظمة اى (المتطوعين) . وكان اكثر رجال اركان الحرب الذين معه من بنى جنسه ، فكان هذا الترتيب سبب الفشل الذى حاق بالمصريين فى تلك الحملة . وقد عسكرت العساكر المصرية بقرية حرفيقوا فى جنوب مصوع على بعد خمسة أميال وقرية أم كللو غربى مصوع على بعد ستة أميال وقرية حطملا فيما بين مصوع وأم كللو . ولعدم وجود ماء لهذا الجيش العرمم اشتغل كل فريق بحفر الآبار فلم يجدوا ماء الا ما يكفيه ثلاثة أيام ثم يصير الماء ملحا

ولما كنت مأمور الحملة وفى عهدي عشرة آلاف حيوان من الجمال والخيول والبغال . (وأغلبها اخذ من المصريين غصبا بلا (ثمن) وكذلك العلف من الشعير والفلول والذرة والتبن الذى أخذ من المصريين بلا عوض غير الوعود الكاذبة بخضم الاثمان من الضرائب المطلوبة منهم . وتلك الضرائب لا نهاية لها ولا يمكن لآى حاسب أن يعرف ما له وما عليه لكثرة الضرائب غير القانونية) ولعدم وجود الماء الكافى لهذه الحيوانات ، أمرت بحفر بئر فى قرية أم كللو لبعدها عن البحر . وبعد حفرها ظهر ينبوع ماء عذب سائغ شرابه وماؤه كثير لا ينقطع ولا يتغير . فأمرت ببنائها بالحجر بناء قويا . وبناء حوض بجانبها امتداده ثلاثون مترا وعرضه متران لشرب البهائم المذكورة . واقمنا على البئر ساقية حديدية استحضرت من مصر وأجرينا الماء فى مواسير استحضرت لهذا الغرض من مصر أيضا الى جزيرة مصوع حيث عمل فيها حوض كبير مستدير لسقيا أهل البلد ومستخدمى المحافظة ولا ريب فى أنها باقية أثرا عظيما يعرفه سكان تلك البلاد الذين أصبحوا فى راحة عظيمة من عناء طلب الماء من الحيران البعيدة ، أى مجارى السيل

مكث الجيش مقيما في مضاربه مدة ثلاثة اشهر بغير عمل ولا تدريب . وفي تلك المدة كان الخديو يرسل كثيرا من الطرشي (أى المخلل) والفجل والبصل والكرات خشية حدوث داء (الاسكربوط) وكان جميع الرؤساء من أمراء الأليات والبشوات من العنصر الجركسى الا واحدا يدعى محمد بك جبر وكان مصريا . وهذا لا رأى له في الأمر . وقد كانوا يحسبون للجيش ألف حساب ويتهيبون من لقائهم . ويظنون أن طول المكث في مصوع وما حولها يحمل الحكومة المصرية مصاريف باهظة تعجزها عن القيام بنفقات الجيش اللازمة له الى النهاية فترجعهم الى مصر بلا قتال . وهذا الفكر الضئيل سمعته من أحد الأمراء المشار اليهم وهو ناظم مشفق من النتيجة

الزحف على بلاد الحبشة

قلق الخديو اسماعيل من طول المكث في مصوع ونواحيها وشدد على القائد العام راتب باشا ورئيس أركان حربه بسرعة الزحف على البلاد الحبشية والانتقام منها لما وقع منهم من الأعمال الوحشية والتمثيل بالقتلى والأسرى كما ذكر . وقد أرسل ابنه حسن باشا ليشهد الحركات الحربية ويتدرب فيها ولا وظيفة له في الجيش غير ذلك . فانقطعت وتيرة كل تقاعس ، وصدرت الأوامر بالشروع في الزحف وأمرني رئيس الجيش راتب باشا بأن أسلم كل آلاى خمسين جملا لحمل ذخيرتهم الحربية وخيامهم ومؤناتهم . فقلت له : « انه من الضروري أن يكون مع كل آلاى عشرة جمال خالية من الحمل حتى اذا ضعف بعض البهائم عن السير استبدل بغيره » . فقال لى : « لا تفعل ذلك ودع كل دابة تتأخر بحملها لا ترجع » . فتعجبت لذلك الأمر ، ولكن لم أراجع . ولكى يتحقق من نفاذ أمره أمر اثنين من معاونيه

— أحدهما يدعى عبد الله الكردي البكباشي ، والاخر يدعى رجب صديق البكباشي الجركسي — بأن يقفا في باب الممر عند الشروع في السير ولا يتركا دابة تمر بدون حمل

سافرت الفرقة الاولى بقيادة أمير اللواء عثمان رفقي باشا وسافر معها راتب باشا القائد العام وأركان حربه ليلا في أول يوم من شهر أغسطس سنة ١٨٧٦ . وفي ضحوة ذلك اليوم سرت على آثارهم بحملة قدرها خمسمائة دابة محملة مؤونة وعلفا ، وأورطة من العساكر بقيادة البكباشي فرج عبد العال المشهور (بالذكر) . فلما بعدنا عن مركز أم كلو بنحو ستة أميال وجدت الجمال والخيول والبغال السابق ارسالها مع الفرقة الاولى منتشرة على رؤوس الجبال وبطون الاودية بأحمالها . بعضها يرتع ويرعى وبعضها مشتبك في شجر السلم وشجر الأبنوس وشجر أم غيلان . وبعضها خلع أحماله من الجبخانة والبقسماط والتبن والشعير والفول . فلما رأيت ذلك هالني الأمر وقلت في نفسي هذا ما خشيت وقوعه ، وهذا ما أراده القائد العام برفضه ما عرضته عليه من قبل . فأمرت الحملة بالوقوف عن التقدم وأمرت قائد الأورطة الحامية للحملة بسرعة جمع الدواب المنتشرة بأحمالها . وفي أثناء ذلك مر علينا الأمير حسن باشا بن الحديو بمن معه من معاونيه وخدمه ، وشاهد ذلك بنفسه . فلما سألني عن تلك الحالة أخبرته بحقيقتها . فتركني وسار ليلحق بالفرقة الاولى . وعند جمع البهائم المنتشرة بأحمالها وجدنا نحن خمسين حملا من البقسماط مبعثرا هنا وهناك ، وتبين أن فرقة الجمالة التي أتت من سواكن هي التي ألفت أحمالها وفرت بجمالها . ومن حسن الحظ أن كان بالحملة خمسون حملا خاليا من الأحمال كاحتياطي . فحملناها الميرة ، ثم واصلنا السير الى الامام . وكنا نجد بين فترة وأخرى بغلا محملا

جبخانة أو جملا متروكا بحمله فناخذه معنا ، حتى انتهينا الى أرض مسبعة بعد اجتيازنا عقبة (نيقوص) حيث وجدنا فى مجرى السيل منها حفائر ماء فبتنا فيها وسقينا الدواب . وهى على بعد ثلاثين ميلا من أم كلو . وماؤها عذب وهوؤها لطيف وفيها ينبت شجر (القفل) ولاوراقه رائحة زكية . وفى اليوم الثانى توجهنا الى خور (بعرضا) فوصلناها بعد العصر . وقد استقبلنا كثير من عساكر الفرقة الاولى التى كانت قد عسكرت على شاطئ هـذا الخور ، وشكوا اليـنا الجوع لعدم اعطائهم القوت الكافى حيث كان لا يصرف للنفر أكثر من مائة درهم من البقسماط ، ومائة درهم من اللحم البقرى فى اليوم الواحد

فصرحت لهم بالاكل حتى يشبعوا على أن لا يأخذوا معهم شيئا وأقمنا هناك حتى أتت الفرقة الثانية بعد ثلاثة أيام، وقامت الفرقة الاولى الى (قياخور) ثم قامت الفرقة الثانية بعد ذلك الى قياخور أيضا ، ومنها الى (قرع) بفتح الراء وصدر لنا الأمر باتخاذ (بعرضا) مركزا متوسطا للحملة والمؤن والذخائر الحربية بين مصوع وقرع . وعسكرالقائد العام بالفرقة الاولى وقائدها راشد باشا راقب فى قرع واختط فيها قلعة خفيفة . وكذلك فعل عثمان رفقى باشا بفرقته فى قياخور . وأقاموا على ذلك أربعين يوما ويوما بلا عمل . فلم يستكشفوا ما حولهم من الأودية والخيـران والجبال المنقطعة ، حتى ولم يضع رئيس أركان الحرب رسما لذلك لمعرفة أبعاد المواقع المناسبة لاتخاذها ميدانا حربيا ، وفى تلك المدة كانت الذخيرة ترسل يوميا الى قرع لاتخاذها مركزا عاما استعدادا لامداد الجيش اذا تقدم الى مدينة (عدوى) عاصمة مملكة الملك يوحنا حتى صارت زكائب البقسماط فى داخل الاستحكام كالبروج المشيدة العظيمة، ومع ذلك كان القائد العام يأمر بمشتري كثير من الدقيق

والشعير من سوق الأحباش • كل هذا والعساكر لا يعطى لهم الا نصف المرتب من البقسماط مع أن النفر كان يعطى بأمر أركان الحرب مائة درهم من اللحم البقرى أى ثلاثة أمثال المقرر له من اللحم ، حتى فشوا فى الجيش داء (الدوسنتاريا) أى الاسهال الشديد مع الزحير المؤلم • ولولا جودة الهواء لهلكت العساكر من الجوع والاسهال

وكان أحد القسس الفرنسـاويين المبشرين فى بلاد الأحباش يتردد كل يوم على رئيس أركان الحرب الجنرال لورنج الأمريكى مستطلعا أحوال الجيش المصرى حتى علم بمقداره واتفق معه على الحركة الحربية التى تكون سببا لهلاك الفرقة المصرية عند الصدمة الأولى ، وكان يبلغ معلوماته فى كل يوم الى الملك ، فحشد هذا الملك جيشه وكان عدده ينيف على الثلاثمائة ألف من الرجال والنساء والشيوخ والأطفال على حسب عاداتهم فى الدفاع عن كيان بلادهم • وأتى على مقربة من الجيش المصرى المعسكر فى قرع ، وفى ١٢ سبتمبر من السنة المذكورة قامت بآخر حملة من مركز بعرضا وكان معنا ثلاث أورط بقيادة أمير اللواء راشد باشا كمال حتى وصلنا الى عقبة (بمبا) وهى عقبة صعبة الرقى مرتفعة عن سطح البحر بمقدار ثلاثة آلاف قدم لا يمكن للراكب أن يجتازها على ظهر جواده أو مطيته بل لا مناص له من أن يتـرجل ويمشى على قدميه لصعوبة الرقى والهبوط ، ولا تمر الدواب فيها الا الواحدة بعد الأخرى • فاجتازناها بكل صعوبة بعد أن سقط بعض الجمال بأحماله من أعلى العقبة الى حضيض الوادى • ثم تابعنا السير حتى وصلنا الى خور عدرسا (والخور عبارة عن مجرى السيل فى منخفض من الوادى) ، فبتنا هناك حيث وجدنا على شاطئه غابات من نخل البلح قيل انها من آثار عساكر السلطان سليم الذين أكلوا التمر وألقوا بنواته

فى شاطئ الخور المذكور : وفى يوم ١٣ منه قمنا من تلك
 المحطة وسرنا الى الامام حتى وصلنا الى (سهل عالا) وهو
 سهل واسع كثير الاشجار وهناك سمعنا دوى المدافع
 المتتابع وعلما بوقوع الحرب . فأسرعنا فى السير حتى
 وصلنا الى قلعة السلطان سليم الكائنة على سفح جبل
 قياخور بعد غروب الشمس بساعتين . وكانت قد انقطعت
 أصوات المدافع . فحفظنا الرجال وهيانا الطعام للعساكر
 والعلف للدواب وبعد الاستراحة استأنفنا السير ليلا ،
 فارتقينا عقبة قياخور فى ساعتين ووصلنا الى فرقة قياخور
 التى كان رئيسها أمير اللواء عثمان باشا رفقى . فتقدمنا
 منه وهو جالس يصطلى النار الموقدة أمامه من شدة البرد .
 وسألناه عن الحالة فأجابنا وهو فى حيرة واندعاش عظيمين
 بأن فرقة قرع هلكت عن آخرها (وكانت مركبة من سبع
 أورط بقيادة وبطارتين طوبجية) فأحزننا هذا الخبر المفجع
 وجلسنا معه الى نصف الليل حيث جاءت اشارة ضوئية بأن
 راتب باشا وحسن باشا ابن الحديو وجميع رجال أركان
 الحرب الأمريكين وصلوا الى مركز الفرقة سالمين ، وأما
 راشد باشا راقب والأميرالاي محمد جبر وبقية الضباط
 والعساكر فقد استشهدوا فى المعركة ومن سلم منهم أخذ
 أسيرا ، ولم يبق فى المركز الا أورطة واحدة من العساكر
 المستجدة كان لا يزيد سن أحدهم عن خمس عشرة سنة .
 وفى يوم ١٤ من الشهر المذكور أطلق الأجباش قنابل
 المدافع المصرية التى اغتنموها بالأمس على مركز العساكر
 المصرية ، ثم هجموا هجوما شديدا على القلعة
 المذكورة وتسلقوا جدرانها بشجاعة عظيمة وكانوا
 يدوسون قتلاهم وجرحاهم ولا يبالون بالموت ، الا أن عساكر
 الأورطة المستجدة وضباطهم وراتب باشا ومن معه من
 معاونين أبلوا بلاء حسنا فى ذلك اليوم وردوا الأجباش

على أعقابهم خاسئين مدحورين . وقد شوهد راتب باشا وهو يصب نارا حامية بيده على الأحباش الذين حاولوا الصعود الى قمة القلعة . وكان على الروبى البكبـاشى السوارى يطوف القلعة مرارا يحثهم ويشجعهم على المقاومة والمدافعة عن الشرف والنفس حتى ملئت الخنادق وما حولها بجثث الأحباش ، وكان عدد القتلى منهم يزيد عن عشرين ألفا ، ولما رأى الأحباش من هذه الورطة ما رأوا مما لم يكن لهم فى حساب ضعفت نفوسهم وندموا على هجومهم وتحولوا بعددهم وعديدهم ومن معهم من الأسرى المصريين من قرع الى مركز آخر داخل بلادهم

خيانة أركان الحرب الأمريكين

الموظفين فى الجيش المصرى

يذكر المطلع على ما سبق أن أحد المبشرين الفرنساويين كان يتردد فى كل يوم على الجنرال لورنج رئيس أركان الحرب ، الذى وضع الحديو اسماعيل ثقتـه فيه . وكان القسيس المشار اليه ينقل أخبار الجيش الى الملك يوحنا ، ويعرفه بما دار بينه وبين الجنرال المذكور من الاتفاق . فلما علم الجنرال بأن الملك يوحنا فرغ من ترتيب جيشه على مقربة من قياخور طلب من القائد العام الخروج من قلعة قرع فى صباح يوم ١٣ سبتمبر سنة ١٨٧٦ م فخرجت سبعة أوطرط بيادة وبطاريتان طوبجية الى النقطة التى اتخذت ميدانا للقتال ، وهى على بعد ميلين من قياخور . وكان ترتيب الأورطة البيادة على شكل طابور والطوبجية على اليمين . ووراءهم جبل وأمامهم خور عميق لا ماء فيه كأنه خندق طبيعى . وكان هذا الحور ملتفا حول الجبل من الميمنة والميسرة . فظنوا أنهم بهذا الحور فى حرز منيع من هجوم العدو عليهم . وكان (مكلس بك الطليانى) من أركان

الحرب قد توجه من قبل بالاورطة الاولى من آلاى عثمان بك
غالب وبكباشيها أحمد أفندى شعبان وعسكر خلف الجبل
المذكور بحيث لا يرى ميدان القتال ولا يعلم سبب وضع
اورطته خلف ذلك الجبل

واستعد جميع أركان الحرب الأوربيين والأمريكيين
للملحمة فألقوا جانباً طرايشهم الرسمية ولبسوا قبعاتهم
ثم ربطوا فى أعناقهم مناديل بيضاء اشارة الى أنهم مسيحيون
ليأمنوا على أنفسهم الخطر عند اختلاط الجيشين على حسب
الاتفاق مع القسيس السابق ذكره

وبعد أن أخذ كل من الجيشين مكانه ورتب رجاله .
ابتدأ جيش الحبش باطلاق المدافع . وكان معه ثمانية مدافع
كانت أهديت الى الملك يوحنا من رئيس الحملة الانجليزية
مكافأة له على مساعدته الانجليز فى محاربة الأحباش فى
عهد الملك (تيودور) الذى انتحر فى قلعة (مجدلة) بعد
انخزال جيشه . وخلفه يوحنا فى ملك الحبش مع انه لم
يكن من بيت الملك بل كان رئيسا للاشقياء وقطاع الطرق .
وكان معه كذلك ستة مدافع مصرية غنمها فى هجومه على
اراكيل بك كما سبق بيانه . فأخذت الطوبجية المصرية
فى قذف الأحباش بنار حامية . وعندئذ قسم الملك يوحنا
جيشه الى ثلاثة أقسام فذهب قسم الى خور يخفيه عن عدوه
ثم دار على يمين المصريين بالأسلحة البيضاء . وقسم ذهب
الى شمال المصريين فى خور أيضا ومعه الحراب والسيوف .
وقسم مسلح بالبنادق قصد القلب مستترا بالاشجار
الملتفة والخيران المتشعبة . جرى كل هذا تحت نيران
المدافع . ولم تكذب الأحباش من العساكر المصرية حتى
أطلقوا عليهم نارا شديدة . ثم اشتبك الجيشان فى قتال
عنيف هجمت فيه ميسرة الحبش على ميمنة المصريين بال سلاح
الابيض من خلفهم بقوة عظيمة فأفنوا رجال الطوبجية فى

طرفة عين، واختلطوا بالآلاى الأول اختلاطا هائلا فانهزمت
العساكر المصرية وسلموا ظهورهم لحراب العدو واندفعوا
الى الشمال بدون انتظام

وأحاطت الأحباش بأورطة أحمد أفندى شعبان التى
خلف الجبل على حين غرة . فقاتل برجال أورطته قتال
الابطال حتى فرغت ذخيرتهم الحربية . ثم قاتلوا
بالسونكى (أى حراب البنادق) حتى ضعفت قواهم وخارت
عزائمهم واشتد بهم العطش فأفناهم العدو عن آخرهم .
وكان رصاص بنادق الأورطة المذكورة يصل الى خط القتال
فأصاب كثيرا من المصريين من بينهم المرحوم راشد باشا
راقب رحمه الله تعالى . أما محمد جبر حاكم دار الآلاى
الأول ، فقد انضم الى أورطة البكباشى محمد أفندى على
الذى ثبت فى مكانه ، ورتب أورطته على شكل قلعة وقاتل
الحبس بشجاعة مدهشة حتى فرغت ذخيرتهم الحربية
فاستعملوا حراب بنادقهم حتى خارت قواهم واختلط بهم
الأحباش حتى أفنواهم جميعهم رحمهم الله تعالى

وأما باقى الأورط فكانت مندفة فى هزيمتها كالسيل
الجارف والسيوف يعمل فى أعناق رجالها من خلفهم . ومن
ألقى بنفسه فى الحور المذكور قتله الحبس من القسم المعين
للميسرة . وما زالوا كذلك حتى أفنواهم عن آخرهم الا من
كان على رأسه قبعة أو فى عنقه منديل من أركان الحرب أو
من أسرع به جواده كراتب باشا وحسن باشا بن الحديو
واغتنم الأحباش الأسلحة والذخائر الحربية والأموال
وملابس العساكر وما معهم من حلى وساعات ونقود ، بعد
أن قتلوا من قتلوا وأسروا من أسروا



ومما يحمر له الوجه خجلا مرور الأحباش فى أثناء

هجومهم أمام فرقة قياخور بحيث تصل اليهم مقذوفات المدافع المصرية وتمنعهم من التقدم ومع ذلك لم تطلق عليهم مقذوفة واحدة ولم تخرج البيادة الى الميدان لتساعد اخوانهم وتنقذهم من الغناء المحدث بهم

وأدهى من ذلك أن البكباشى خسرو أفندى كان طبيعة بأورطة خارج القلعة ، فلما رأى تقدم الأقباش أراد أن يعترضهم فمنعه عثمان باشا رفقى قومندان نقطة قياخور من ذلك وأمر برجوعه ودخوله القلعة وهم ينظرون الى اخوانهم حتى تم فناءهم . مع أنه كان فى امكان عساكر قياخور الهجوم على ميسرة الأقباش وتبديد شملهم لو أدوا واجباتهم الحربية

لقد كان ترتيب الأقباش على هيئة مقعر حربى لا يتأتى لأعظم قائد حربى أن يأتى بأحسن منه . وكان وضع العساكر المصرية على الهيئة المذكورة من غير وضع حاميات للأجنحة لصد العدو عن الميمنة والميسرة ، فكانوا كمن أوقع نفسه فى مضيق لا مخرج له منه الا بالقتل أو الاسر . وتلك نتيجة مخالفة أمر الله تعالى حيث يقول : « ولا تأمنوا الا لمن تبع دينكم » وانتهت تلك الحملة التى سببها الطمع بالحبيبة والغشلى . ثم العودة الى مصر بعد عقد الصلح مع الملك يوحنا بمعرفة البكباشى على أفندى الروبى الذى رجع الى مصر وترقى الى رتبة أميرالاي

ثم أوفده الحديو بعد ذلك الى يوحنا ملك الأقباش بهدايا ثمينة . وفى مدة اقامته عند الملك المذكور كان الأقباش يشترون منه الريال (أبو طيره) بجنيه ذهب من النقود المسلوقة من القتلى والأسرى وحصل منهم بهذه الطريقة على مبلغ وافر لأنهم لم يكونوا يعرفون العملة الذهبية ولا قيمتها

ولما تم خذلان الحملة المصرية رجعت الى مصوع وتركت

البلاد الحبشية التي كانت احتلتها ، ثم عادت الى مصر فلم تلق فيها غير وجوه عابسة • وكان الحـديـو قد عزم على محاكمة القائد العام والباشوات وأمراء الآليات ، ولكن اتفق اذ ذاك أن هجم حسن شر كس مملوك المرحوم السلطان عبد العزيز على مجلس الوزراء في الآستانة العلية وأطلق عليهم الرصاص من مسدسه فقتل أحمد باشا القيصرلى وغيره ثم قبض عليه وحوكم وقتل

فخشى الحـديـو أن يصيبه مثل ما أصاب القيصرلى اذا أصر على محاكمة قادة جيشه الجراكسة ، فغير عزمه وبش في وجوههم ووضع بيده النياشين فوق صدورهم • ثم كانت الحرب البلقانية بين الدولة العلية وبين الصرب والبلغار ورومانيا وروسيا • فأمدت مصر الدولة العلية بعساكرها تحت قيادة حسن باشا بن الحـديـو وراشد باشا حسنى وانتهت تلك الحرب بمعاهدة (استيفانوس) ثم بمعاهدة برلين المشهورة • ثم رجعت العساكر المصرية الى مصر

مكيدة اسماعيل وعزل الوزارة المختلطة

فى أوائل سنة ١٢٩٦ الهجرية صدر لنا أمر بالحضور من رشيد الى العاصمة وتسليم الاسلحة والمهمات وصرف العساكر الى بلادهم ، فحضرنا وكنا ثلاثة آليات بيادة ، فسلمنا المهمات فى يوم وصولنا ، وفى صباح اليوم الثانى ذهبت الى منزل محمد بك النادى الذى كان قد حضر بنا لآليه من رشيد معنا • فما استقر بنا الجلوس حتى جاء أحد ضباط آلايه برتبة يوزباشى يدعى أحمد أفندى نجم ، وأخبرنا بأن تلاميذ الحربية وبعض الضباط أحاطوا بالمالية ، فجاءت عساكر برنجى آلاي وأطلقت النار عليهم فشغلنا ذلك وأرسلنا أحد الضباط ليأتينا بحقيقة الأمر • ولما عاد أخبرنا بحقيقة تلك الحركة وهى ان الحـديـو اسماعيل باشا

اضطرب وقلق قلقا شديدا من ضغط الوزارة المختلطة التي كانت برئاسة نوبار باشا وعضوية رياض وعلى مبارك والسير ولسن الانجليزى ودى بولونيير الفرنساوى وأراد أن يتخلص منها ويسقطها فأوعز الى جاهين باشا كنـج (صنيعته المشهور) بخلق تلك الحركة الصببانية ، وهذا حمل صهره لطيف بك سليم الضابط بالمدرسة الحربية على أخذ التلاميذ والذهب الى المالية بمن ينضم اليهم من الغوغاء فيصيحوا متظاهرين بالتظلم من عدم صرف مرتباتهم المتأخرة من مدة عشرة أشهر ، وينسبوا ذلك التأخير الى الوزارة المذكورة ويطالبوا بسقوطها تخلصا من الأوربيين الذين كثر استخدامهم فى مصالح الحكومة المهمة ذات الأيراد العظيم كالجمارك وميناء الاسكندرية والسكة الحديدية والتلغرافات والدائرة السنية ومصلحة الدومين وصندوق الدين ومصلحة المساحة وما شاكل ذلك * (وكانت كل مصلحة من هذه المصالح تعتبر نفسها كأنها حكومة مستقلة) فذهب لطيف بك ومن معه من الضباط الذين أضع صوابهم الفقر والجوع الى المالية وصاحوا قائلين اصرفوا لنا حقوقنا من هذه الأموال المتراكمة فى خزينة المالية . وقد صفع بعضهم ولسن ونوبار وحقر رياض باشا وعلى مبارك . وعندما خرجت تلك الألعبوبة من مركزها وتعاضم خطرهما جاء الحديو بنفسه الى المالية ومعه أميرالاي الحرس الحديو على بك فهمى المشهور (بالذئب المصرى) بأورطة من آلايه وحال بين المالية وبين أولئك المتجهمين من التلاميذ والغوغاء . وأمر الحديو بضرب الرصاص على المتجهمين حين رأى عبد القادر باشا حلمى رئيس معاونيه مضروبا بسيف على يده من أحد الضباط الذين تطاول عليهم ، وضربهم وكزا ببندقية أحد العساكر . الا أن أميرالاي المذكور أظهر حزما ونظر فى عواقب الأمور فأمر العساكر

باطلاق أسلحتهم فى الفضاء • ولولا ذلك لكانت النتيجة وبالا على الخديو ، ومن معه لأنه أمر بقتل أناس كثيرة يطلبون حقاً لهم مهضوما • ثم انصرف المتجهرون حائقين وهاج الضباط فى جميع الآليات ، واتفقوا على وجوب عزل هذا الخديو ، واعتلاء ولى عهده توفيق باشا مسند الخديوية المصرية • فلما علم الخديو بذلك ذهب الى مركز كل آلاى على حدته وطيب خواطر الضباط ووعدهم بصرف حقوقهم المتأخرة وعزل الوزارة المذكورة ، ثم عزلها فعلا وعهد بالرئاسة الى اسماعيل باشا راغب

من ظلم الخديو اسماعيل

لما تخلص الخديو اسماعيل من ضغط الوزارة المختلطة خشى تعصب أوروبا عليه وانتقامها منه ، فأسند تلك الالعبوة الصببانية الى والى محمد بك النادى وعلى بك الروبى من أمراء الجيش • وقد طلبنا رئيس التشريفات عبد القادر باشا حلمى وأخبرنا بأن الخديو علم بأننا هيجنا التلاميذ والضباط وأغويناهم على الاحاطة بالمالية ، وانه سيجرى تحقيق ذلك ، فان ثبتت ادانتنا عوقبنا بالعقاب الواجب • ثم صار يهددنا تارة ويعدنا بالسـلامـة تارة أخرى • فأجبناه بأننا حضرنا أمس من رشيد وكنا مشغولين بتسليم الاسلحة والمهمات الى مخـازن الحربية وصرف العساكر الى بلادها حسب الامر الصادر الينا • ولا علم لنا بتدبير تلك الحركة أصلا فكيف يتصور منصف اننا نستطيع اهاجة تلاميذ الحربية وغيرهم على ذلك العمل الخارج عن حدود الحكمة والروية فى ليلة واحدة • • فتبسم ضاحكا لأنه يعلم ان الحركة كانت بارادة الخديو وتدبير جاهين باشا كما ذكر آنفا • • وكذلك طلبنا مأمور الضبطية محمود سامى باشا البارودى وأخبرنا بما أخبرنا به عبد

القادر باشا حلمي فأجبناه بمثل ما أجبنا به من قبله وانصرفنا ، وقد آنست فيه تأفقا من الظلم والاستبداد وميلا مع العدل والدستور . ثم عقد مجلس عسكري فوق العادة تحت رئاسة الجنرال ستون الأمريكي رئيس أركان حرب وعضوية حسن أفلاطون باشا ومحمد باشا المرعشلي رئيس هندسة الاستحكامات ، وكانوا كلهم يعرفون الحقيقة . فلما سئلت بالمجلس المذكور أجبت بنفي التهمة عنا ، وأبنت أن ترتيب حركة الاحاطة بالمالية يقتضي له مدة لا تقل عن شهر . وفي تلك المدة كنا في رشيد . والمدارس الحربية ليست تابعة لنا ، ولا هي مقيمة معنا ولا كان أحد من ضباط آلائنا موجودا في تلك الحركة ، على انه لو فرض وجود أحد منهم فيها فهو غير ملوم لأن نساء الضباط وأولادهم في العباسية بلا مأوى ولا دراهم في أيديهم ينفقون منها على عائلاتهم . ولا خبز ولا تعيين يصرف لهم . ثم انتهى التحقيق وأسدل عليه الستار

وكنت طلبت من السردار راتب باشا صرف جراية وتعيين لتلك العائلات التي أحضرت من رشيد فلم يصنع الى ولم يهتم بطلبى ولكن طلب بعد ذلك جميع ضباط الآليات من رتبة البكباشي فصاعدا الى سراى عابدين ، وكان الاجتماع عظيما في القاعة الكبرى بالدور الأعلى ، وجاء الحديو يتلطف بكل واحد منهم ويعده خيرا . وفي ذلك الاجتماع كان ترتيبى وترتيب النادى بك والروبى بك بمعية الحديو بوظيفة ياوران . فتكلفنا ما يلزم لزي الياوران من النفقات الطائلة على غير جدوى

أمر يضحك السفهاء منها ويبكى من عواقبها اللبيب ثم بعد أسبوع تعين على الروبى بك رئيسا لمجلس مديرية الدقهلية وتعين محمد النادى بك قائدا للآلى الثانى البيادة المستجد وأرسل الى الاسكندرية بالآليه .

وتعينت قائدا للآلاى الرابع المستجد أيضا ولكن برتبة القائم مقام . ولما تم حشد عساكر الآلاى المذكور طلبنى ناظر الجهادية وأمرنى بالذهاب الى راغب باشا . فلما توجهت اليه قال لى : « ان أهالى مديرية جرجا وأسيوط انتخبوك نائبا عنهم فى تسليم سبعمائة ألف أردب قمح وفول وشعير الى بنك (منشأ وقطاوى وبنك ايجيون وابراهيم بيجه) بالاسكندرية » فقلت له : « ولم انتخبونى لذلك ؟ » قال : « لأمانتك » فقلت : « وكيف ذلك وهم لا يعرفوننى ؟ » فقال : « انهم سألوا عنك وعرفوك »

والحقيقة هى أن الحكومة كانت تداينت من البنكين المذكورين بنصف مليون جنيه مصرى لسداد بعض أقساط دين بنك (رتشلد) على أن يتسلما سبعمائة ألف أردب من غلال جميع مديريات الوجه القبلى من الفيوم الى قنا واسنا . (بدعوى ان هذا الدين على الأهالى بضمانة الحكومة) وما كان انتخابى لتأدية تلك المهمة من الأهالى حقيقة بل كانت رغبة من الحديو لابعادى عن مركز الآلاى كما صار ابعاد الروبى الى المنصورة والنادى الى الاسكندرية فتوجهت الى الاسكندرية وأنجزت المطلوب بكل أمانة واستقامة حتى أعجب مديرا المصرفين المذكورين بشدة تمسكى بالعدل والانصاف وارتاحا الى ما قمت به من الاستلام والتسليم . وقد توفر للحكومة نحو ٢٠٠.٠٠٠ أردب فرق كيل وفرق معدلات ولو شئت لأغضت عينى وسلمت الرسائل كما وردت لمخازن التجار وربحت ما يساوى قيمة الوفرة أو ما يقرب من ذلك ، ولكن هو الشرف لا يعادل بمال

وفى ٧ رجب سنة ١٢٩٦ هـ سـمعنا ضرب المدافع بالاسكندرية اعلانا بعزل اسماعيل وولاية توفيق باشا الأريكة الحديوية . وقد شاهدت خروج الحديو المعزول من

مصر منفيا ونزوله من منزل الفحومات وأدوات السكة الحديدية الذي نزل منه من قبل حليم باشا منفيا (وهو ابن محمد علي رأس العائلة الحاكمة) فانظر الى آثار قدرة الله سبحانه وتعالى ، واعلم انه يكال لك بالكيل الذي تكيل به ، ومن حفر حفرة لآخيه وقع فيها . . .

سافر اسماعيل الى نابولي (وهى ثغر من ثغور ايطاليا) مطرودا ، كما سافر حليم باشا الى دار السعادة مطرودا ، ولكن شتان بين من طرد ظلما ومن طرد عدلا

عهد استبداد وفساد

انتهت مدة اسماعيل باشا الخديو وهى سبع عشرة سنة كانت وبالا على المصريين لشدة نزقه وطمعه وسوء تصرفه وعدم انصافه . لم أر فيها خيرا ولا ترقية رتبة فى عهده ، كما قال بعض الخراصين ولا أقسمت على الدفاع عنه . ولا صحت حول قصره ولا انتهرنى أصلا . ولا هو قال أن صوتى أكثر قرقة من الطبل ، وأقل نفعا منه ، فليتنق الله المتبجحون الكذابون الذين تقولوا ما تقولوه وافتروا ما افتروه فالزموا صاحب تاريخ « مصر للمصريين » سليم النقاش بأن يخلط مفترياتهم وبهتانهم بحقائق كتابه على غير ارادة منه ، فجاء كتابه مشوها فيه الغث والسمين والصدق والكذب . ولكن الحق ظاهر وله أعلام . والباطل بين وله أعلام

ويستطيع كل عاقل منصف أن يفهم من عباراته الحقائق ولا يعبا بما يجده فيها من الأكاذيب والباطيل ، فانها ما وضعت الا ارضاء لذوى النفوذ من خصومى ، حلفاء الظلم والجور ، ونصراء الاستبداد والاستعباد . وهو أقرب التواريخ لمعرفة حقائق النهضة القومية المصرية ، وأقرب منه وأصح رواية تاريخ المستر ولفرد بلنت الذى ظهر حديثا

باللغة الانجليزية • وكذلك تاريخ المستر (برودلى)
المحامى عنا فى سنة ١٨٨٢ م الذى ألفه مدة وجوده فى
القاهرة (وهى ثلاثة أشهر لغاية انتهاء المحاكمة)

ولكن هناك أسراراً لا يعرفها أحد من الناس غيرى ،
فأحببت أن أظهرها للناس قبل موتى قياما بالواجب على
لأبناء وطنى المحبوبين : ولقد تحملت مدة ولاية اسماعيل
الجائرة بكل صبر وثبات تحت ضغط الظلم والاستبداد ،
ومكثت برتبة القائم مقام مدة تسع عشرة سنة أنظر الى صغار
الضباط الذين كانوا تحت ادارتى فى عهدى سعيد باشا
واسماعيل باشا وهم يترقون دونى ، فترقى بعضهم الى
رتبة الأميرالاي وبعضهم الى رتبة أمير اللواء ، وبعضهم
الى رتبة الفريق ، لا بعلم علموه من دونى ولا بفهم خارق
للعادة ولا بشجاعة أبرزوها فى ميادين القتال ، ولكن
لكونهم من مماليك أو أبناء مماليك العائلة الخديوية ،
فاصطفاهم الخديو بالرتب والنياشين والجوارى الحسان
والأراضى الواسعة الحصبة والبيوت الرحبة وحباهم
بالأموال الكثيرة والخلى الثمين من دم المصريين المساكين
وعرق جبينهم !! !

في تولية توفيق باشا

تولية الحديو توفيق

فى ٧ رجب سنة ١٢٩٦ هـ الموافق ٢٦ يونيه سنة ١٨٧٩ م تولى محمد توفيق باشا الحديوية المصرية ، واعتلى أريكتها فى ظروف صعبة وأحوال مرتبكة بسبب سوء الادارة الماضية والمصاعب التى طرأت على أحوال الديار المصرية قبل توجيه الولاية اليه :

وكان من أهم أسباب الاختلال اذ ذاك عسرالمالية وتداخل الأجانب فى أمور البلاد واستئثارهم بها على عهد الوزارة المختلطة (من الأوربيين والمصريين) فى آخر مدة اسماعيل باشا . واشتداد وطأتهم وطموح أبصارهم الى ما أوجب استحكام الضغائن فى صدور رجال الجيش واستياءهم من الأجانب بسبب قطع مرتباتهم . ومن أهمها أيضا ما كان من بعض الأجانب أو أكثرهم من استخفافهم بالانهالى والاعراض عن مصالحهم وتدخلهم فى الادارات وأمور البلاد اجحافا بحقوق الأمة . فكان ذلك سببا فى اتفاق نبهاء الأمة ورجال الجيش المصريين على انقاذ البلاد من تداخل الأوربيين خوفا من زيادة الاستئثار ولجأوا الى ما اصططحوا عليه كوسيلة لحفظ حقوقهم ، واتخذوه كواسطة للحصول على استقلالهم فى العمل ، وادارة أمور بلادهم بأنفسهم

وفى ٧ رجب سنة ١٢٩٦ هـ وصل الى مصر تلغراف الباب العالى مشعرا بتولية محمد توفيق باشا

وقد أرسل الحديو تلغرافا الى الباب العالى جوابا على التلغراف المؤذن بارتقائه الى عرش الحديوية ، وختمه بقوله : « بدأت بظليل ظل الحضرة السنية

الملوكانية بمباشرة أمور الخديوية علما علم اليقين أن سلامة الخديوية المصرية وسعادتها وموفقية عبدكم الكاملة يحصلان بالثبات على قدم العبودية والتابعة للسلطنة السنية »

وورد من بيت « روتشلد » تلغراف تهنئة للخديو الجديد بارتقائه الى كرسي الخديوية ، متضمنا أن هذا التغيير قد أزال الكثير من المصاعب التي حالت دون نفاذ شروط الميثاق المبهرم بين الحكومة المصرية ، وبين البيت المذكور متعلقا بقرض الأملاك الموهوبة

الخديو اسماعيل يسرق

وفى ١١ رجب سنة ١٢٩٦ هـ سافر الخديو السابق اسماعيل باشا من القاهرة الى الاسكندرية حيث أقتله الباخرة « المحروسة » الى « نابولى » بايطاليا وكانت معه أوراق مالية « بون » بمبلغ ثلاثة عشر مليوناً من الجنيهات ، كما صرح بذلك ابنه الخديو توفيق بحضورى وحضور خيرى باشا رئيس الديوان الخديوى والشيخ عبد الرحمن الأبيارى امام المعية فى أثناء تناول طعام الافطار على المائدة الخديوية فى شهر رمضان سنة ١٢٩٦ هـ ، اذ قال :

« يا ليتته ترك للحكومة ولو ستة ملايين لاصلاح شأنها » ولما وصل الخديو اسماعيل المعزول الى محطة مصر وقف الخديو توفيق مودعا والده وعيناه مغرورقتان بالدموع . فعانقه والده ثم قال له : « لقد اقتضت ارادة سلطاننا المعظم أن تكون يا أعز البنين خديو مصر . فأوصيك باخوتك وسائر الآل برا . واعلم أنى مسافر وبودى لو استطعت قبل ذلك أن أزيل بعض المصاعب التى أخاف أن توجب لك الارتباك . على انى واثق بحزمك وعزمك فاتبع رأى ذوى شوراك وكن أسعد حالا من أبيك »

ثم سار القطار الخصوصى حتى وصل الى الاسكندرية

ثم ركب الزورق المعد له وتبعته زوارق المشييعين الى أن
صعد فوق السفينة المحروسة ، وهنا نظر الى الثغر نظرة
المودع الآسف فغلبه الدمع فبكى وأبكى كل من كان معه
من أنجاله وآل بيته

موعظة وتذكرة

من غريب التقادير الالهية أن مصطفى فهمى باشا كان
قد انتدبه الخديو اسماعيل لمرافقة اسماعيل باشا صديق
حين سفره الى دنقلة فى سفينة بخارية بطريق النيل .
فاستصحب معه رفاصا بخاريا آخر وعند وصوله الى المعصرة
ودعه ورجع الى القاهرة متأثرا مدهوشا من ذلك الظلم
العظيم الذى تم بقتل الرجل خنقا فى دنقلة بلا تحقيق ولا
بحث . . . ولما أذنت ساعة رحيل الخديو اسماعيل باشا
من مصر شيعه مصطفى باشا فهمى كذلك فى رفاص
بخارى حتى وصل باب البوغاز ثم رجع بعد تأدية واجب
الوداع لمولاه ، فانظر الى عظيم قدرة الله سبحانه وتعالى

وزارة شريف باشا

قدمت وزارة راغب باشا استعفاءها فقبله الخديو
وتشكلت الوزارة الجديدة على الوجه الآتى :

محمد شريف باشا : للرئاسة والداخلية والخارجية
اسماعيل أيوب باشا : للمالية
عثمان رفقى باشا : للجهادية
مصطفى فهمى باشا : للاشغال
محمود سامى باشا : للمعارف
مراد حلمى باشا : للحقانية

المرتبات السنوية للبيت الخديوى

وأول عمل اهتم به مجلس النظار هو تعيين رواتب
الخديو وأهل بيته على ما يأتى بيانه :

للكديو توفيق	١٠٠ر٠٠٠	جنيه مصرى
لوالدته	٣٥ر٠٠٠	
لزوجته	٢٠ر٠٠٠	
للكديو السابق	٣٠ر٠٠٠	
لزوجته	٢٥ر٠٠٠	
لزوجاته الباقيات بمصر	٣٦ر٠٠٠	
لتوحيده هانم	١٨ر٠٠٠	
لحسين باشا كامل	١٨ر٠٠٠	
لحسن باشا	١٨ر٠٠٠	

المجموع ثلثمائة ألف جنيه ٣٠٠ر٠٠٠

السم فى الدسم

الفرمان الشاهانى وتدخل اوربا

وفى يونيو سنة ١٨٧٩ م ورد تلغراف من باريس ينبىء بأن الباب العالى أرسل الى دول اوربا منشورا يبين فيه كيفية تنازل اسماعيل باشا والغاء الفرمان الصادر سنة ١٨٧٣ م . ويؤكد مع ذلك انه عازم أن يحفظ لمصر مالها من امتيازات الاستقلال الادارى . فأوجس أولياء مصر من هذا الأمر خيفة، واختلفت فيه أقوالهم حتى ورد بالتلغراف ثانيا أن الدول اتفقت على معارضة منشور الباب العالى باثبات ذلك الفرمان وتأييد ما منح به من الحقوق والامتيازات للحكومة المصرية . فانتفت الأوجال بذلك ، وأيقن الناس أن الدولة العلية ستعدل عن هذا القصد . ثم ورد تلغراف آخر ينبىء بأن الباب العالى أصدر منشورا ثانيا يتعلق بفرمان سنة ٧٣ حاصله أن السلطان رأى أن يثبت لحديو مصر الحقوق والامتيازات المنسوحة فى ذلك الفرمان

لا بوساطة الدول ولكن من تلقاء نفسه . وأعقبه تلغراف آخر من الآستانة يقول انه اذا لم يقرر السلطان أحكام فرمان الصادر فى سنة ١٨٧٣ م فى فرمان الذى سيبحث به الى الحديو الجديد يتعين على فرنسا وانجلترا اذ ذاك أن تطلبوا الاستقلال التام للحكومة المصرية . وجاء فى تلغراف من باريس أيضا أن انجلترا وفرنسا تمهلان الباب العالى فى ابلاغ صورة فرمان لهما الى يوم الاثنين وهو فرمان المثبت لحديوية توفيق باشا ، فاذا مضت هذه المهلة ولم يبلغهما فرمان فانهما تعزمان على المنادة باستقلال مصر

وفى أغسطس سنة ١٨٧٩ ورد تلغراف من لندره بأن السير لايارد والمسيو افرين سفيرى انجلترا وفرنسا فى الآستانة طلبا من الباب العالى أن يعرض تولية توفيق باشا على الدول لكى يكون بمثابة معاهدة دولية . وانه فى عزم انجلترا وفرنسا أن تضعوا قضايا فرمان المتعلقة بتحديد حقوق الباب العالى موضع البحث وأن ترفضوا كل ما من شأنه أن يخالف سلطة السلطان أو يناقض المعاهدات السالفة

وفى ٤ أغسطس سنة ١٨٧٩ ورد تلغراف من لندن ينبىء بأنه قد كتب من الآستانة أن فؤاد بك مسافر منها الى القاهرة غدا غد ليسلم فرمان التثبيت الى توفيق باشا وفى صبيحة يوم الاثنين ٢٣ شعبان سنة ١٢٩٦ الموافق ١١ أغسطس سنة ١٨٧٩ حضر الحديو الى القاهرة ومعه وزراؤه (ما عدا شريف باشا الذى تخلف فى الاسكندرية لاستقبال فرمان وحامله) ليشهدوا جميعا تلاوة فرمان السلطانى فى سراى القلعة

وفى الساعة الثانية عشرة من صباح يوم الخميس ٢٦ شعبان سنة ١٢٩٦ الموافق ١٤ أغسطس سنة ١٨٧٩ انتظم موكب فرمان . وفى الساعة الواحدة والدقيقة الخامسة

أطلقت المدافع تبشيرا بقدوم الفرمان يحمله على بك فؤاد ،
فاستقبله النظار حتى دخل القاعة ثم لبس طلعت باشا
كركا وتناول الفرمان فصعد به على كرسي وتلاه . ولما
فرغ من تلاوته دخل الخديو قاعة التشريقات فوفد عليه
المهنتون

وفي الساعة الرابعة قام الخديو وتبعه النظار فصعدت
الموسيقى بالانغام المألوفة وأطلقت المدافع تعظيما له واجلالا

استعفاء وزارة شريف باشا

بعد أن استقرت وزارة شريف باشا في الأحكام شرعت
في توجيه عنايتها الى تسوية الدين السائر وغيره على وجه
يضمن للدائنين حقوقهم ويحفظ للحكومة مصلحتها فوالت
انعقاد جلساتها لهذه الغاية . وقد تقرر في إحدى جلساتها
رفع مشروع تأسيس حكومة دستورية شورية الى الخديو
تنفيذا لأمره الصادر في ١٤ رجب سنة ١٢٩٦ كما تقرر
أنه اذا أبى الخديو عليهم تنفيذ ذلك المشروع استعفوا من
مناصبهم جميعا على أن لا يقبل أحد منهم الانتظام في وزارة
أخرى تفضل الحكومة المطلقة على الحكومة الدستورية . ولما
رفع المشروع المذكور الى الخديو رفض قبوله متعللا بعدم
موافقة قنصلي إنجلترا وفرنسا ، فاستعفت الوزارة وقبل
استعفاؤها . ثم تشكلت الوزارة الجديدة على الوجه الآتي :

ذو الفقار باشا : للحقانية والداخلية

مصطفى فهمى باشا : للخارجية

عثمان رفقى باشا : للجهادية

حيدر باشا : للمالية

على ابراهيم باشا : للمعارف

محمد مرعشلى باشا : للاوقاف

محمود سامى باشا : للاشغال

أما رئاسة هذه الوزارة فكانت للخديو . ولقد كان فراغ
نظارة الداخلية على أهميتها موجبا للظنون المختلفة والآراء
المتنوعة . ثم صدر أمر الخديو تلغرافيا الى رياض باشا بأن
يعود الى القطر المصرى على أول باخرة ترد اليه

وزارة رياض باشا

وفى ١٧ رمضان سنة ١٢٩٦ هـ و ٣ سبتمبر سنة ١٨٧٩
وصل رياض باشا الى الاسكندرية ومنها الى القاهرة ، ثم
توجه لمقابلة الخديو تولا . وفى ٥ شوال سنة ١٢٩٦ و ٢١
سبتمبر سنة ١٨٧٩ صدر أمر الخديو الى رياض باشا
بتأليف وزارة جديدة بعد أن قدم الوزراء استعفاهم

تسوية مسألة الدين المصرى والمالية

وفى يوم الخميس ٤ سبتمبر سنة ١٨٧٩م . الموافق ١٨
رمضان سنة ١٢٩٦ هـ . أصدر الخديو أمرا باعادة تعيين
المستر بارنج والمسيو دى بلنيير بصفة مفتشين
ولما عين رياض باشا رئيسا لمجلس النظار أصدر اليهما
اعلانات على صورة ترجمة الخطاب الصادر من الخديو
اسماعيل للمستتر ولسن حين كان نائب رئيس لجنة التفتيش
باستحسان التقرير المقدم من تلك اللجنة

وقد رفعت الوزارة الى الخديو لائحة منظوية على بيان
تدبير جديد لتسوية مشكلة الدين السائر

وفى ١٥ ابريل سنة ١٨٨٠ صدر قانون التصفية الدولية
المصرية وهو يتناول تنظيم الديون وكيفية سددها . وهى
الدين الممتاز والموحد ودين الدائرة السنية والدين السائر
وهى معروفة للجميع

حادثة قصر النيل

المطالبة بمجلس النواب

لما ارتقى توفيق باشا الى الأريكة الخديوية المصرية ،
وسافر الى الاسكندرية ظفرت برتبة أميرالاي وعينت
ياورا خديويا من ضمن ياورانته ، وأميرا على الآلاى البيادة
الرابع الكائن مركزه بالعباسية بمدينة القاهرة

وكان عثمان باشا رفقى وقتئذ ناظرا للجهادية ، وهو
رجل جاهل متعصب لجنسه ، غافل عما ينتج من سياسة
التفريق والاستخفاف بالعنصر الوطنى من احراج الصدور ،
فسولت له نفسه أن يمنع ترقى المصريين العاملين فى
الآلايات تحت السلاح . ثم شرع فعلا فى سن قانون فحواه
الحكم بعدم الترقى من تحت السلاح . وصدرت أوامره
بذلك ليتمكن من النكاية بأبناء الوطن وحرمانهم من الرتب
وجعلهم أنفارا تحت تسلط الترك والجر كس . ويكون
لهؤلاء الحظ الاوفر والنصيب الاكمل من الارتقاء الى
الدرجات السامية والرتب الشريفة

ثم أصدر أمرا ثانيا باحالة عبد العال بك حلمى أميرالاي
الآلاى السودانى الى ديوان الجهادية ليكون معاونا فيه ،
وكان عمره اذ ذاك أربعين سنة . وعين خورشيد بك نعمان
بدلا منه لكونه من جنسه الجر كسى وكان يبلغ الخامسة
والستين من عمره ، وهو ضعيف لا قدرة له على الحركات
العسكرية . وأصدر أمرا آخر برفت أحمد بك عبد الغفار
قائمقام السوارى ، وكان فى الأربعين من سنه أيضا .
وأقام فى مكانه ضابطا آخر جر كسيا

وفى ليلة ١٤ صفر سنة ١٢٩٨ هـ دعيت الى وليمة بمنزل

نجم الدين باشا لمناسبة عودته من أداء فريضة الحج • فلما وصلت الى منزل الداعي وجدته غاصا بأمراء الجيش وغيرهم، فجلست بجوار محمد بك نجيب الجريدلى وكان بجانبه اسماعيل باشا كامل الفريق (وهو جركسى الأصل ولكنه كان يتظاهر بحب العدل والانصاف) فأفضى الباشا الى نجيب بك بما صار من طيش ناظر الجهادية ، وأنه نصحه بأن يعرض عن ذلك الاجحاف الظاهر ، فلم يصغ اليه • فأخبرنى محمد بك نجيب بما سمع همسا فى أذنى ، وكنت أجهل قبل ذلك تلك الأوامر الظالمة • فقلت لاسماعيل باشا كامل : « أحق هذا ؟ » فقال : « نعم وقد سلمت الأوامر الى الكتاب للاجراء بمقتضاها » فقلت له : « ان هذه لقمة كبيرة لا يقوى عثمان رفقى على هضمها »

وبعد تناول الطعام جاءنى ضابط وأخبرنى بأن كثيرا من الضباط ينتظروننى بمنزلى فتوجهت اليهم فى الحال ، فوجدت من ضمنهم الأميرالاي عبد العال بك حلمى حكمدار الآلاى السودانى بمركزه فى طره ، والبكباشى خضر أفندى من الآلاى المذكور أيضا ، وعلى بك فهمى أميرالاي الحرس الحديوى بقشلاق عابدين ، والبكباشى محمد أفندى عبيد من الآلاى المذكور كذلك • والبكباشى ألفى أفندى يوسف من الآلاى الرابع البيادة حكمداريتى • والقائمقام أحمد بك عبد الغفار من الآلاى السوارى وغيرهم • وكانوا جميعا فى هياج عظيم ، اذ بلغهم صدور أوامر ناظر الجهادية قبل ارسالها اليهم • فلما رأونى أفضوا الى بما سمعته من نجيب بك واسماعيل باشا كامل من قبل • فقلت لهم : « قد سمعت هذا من غيركم فماذا تريدون ؟ » قالوا : « وليس الأمر كذلك فقط بل انه قد كثر اجتماع العنصر الجركسى فى منزل خسرو باشا الفريق وهم يتذاكرون فى تاريخ دولة المماليك فى كل ليلة بحضور عثمان باشا رفقى

ويلعنون خيري بك لتسليمه واذعانه للسلطان سليم .
ويقولون انه قد حان الوقت لرد بضاعتهم اليهم . وأنهم
لا يغلبون من قلة . ووطنوا أنهم يملكون مصر ويستبدون
بها كما فعل أولئك المماليك من قبلهم » . ثم عقب الضباط
بأنهم قد تحققوا صدق تلك الأنباء ممن يوثق بخبره .
فقلت : « وماذا تريدون اذن ؟! » فقالوا : « انما جئناك لنرى
رأيك » . فقلت : « رأيي أن تترثوا وتهـدوا رؤسكم
وتعتمدوا على رؤسائكم وتفوضوا اليهم النظر في مصالحكم .
وهم يتخذون من بينهم رئيسا لهم يشقون به كل الوثوق
ويسمعون قوله ويطيعون أمره ويحفظونه بمعاضدتكم اذا
أرادت الحكومة به شرا »

فقالوا : « انا فوضنا اليك هذا الأمر ، فليس فينا من
هو أحق به وأقدر عليه منك » . فقلت : « كلا بل انظروا
غيري وأنا أسمع له وأطيع وأنصح له جهدي » فقالوا :
« انا لا نبغى غيرك ولا نشق الا بك » فأبنت لهم ان الأمر
عصيب ولا يسع الحكومة الا قتل من يتصدى له فقالوا :
« نحن نفديك ونفدى الوطن العزيز بأرواحنا » . فقلت لهم :
« اقساموا لى اذا على ذلك » فأقسموا . وفى الحال كتبت
عريضة الى رئيس النظار مصطفى رياض باشا مقتضاها
الشكوى من تعصب عثمان رفقى باشا لجنسه واجحافه
بحقوق الوطنيين . وطلبت فيها :

أولا - عزل ناظر الجهادية المذكور . وتعيين غيره من أبناء
الوطن عملا بالقوانين التى بأيدينا

ثانيا - تأليف مجلس نواب من نيهاء الأمة تنفيذا للأمر
الحديث الصادر عقيب ارتقائه الأريكة الحديوية

ثالثا - ابلاغ الجيش العامل الى ١٨٠٠٠ تطبيقا للفرمان
السلطاني

رابعا - تعديل القوانين العسكرية بحيث تكون كافلة

للعادل والمساواة بين جميع الموظفين بصرف النظر عن اختلاف
الأجناس والمذاهب

ثم تلوت العريضة المذكورة على مسامع الحاضرين فوافقوا
عليها . وأمضيتها بختمى وختم على بك فهمى وعبد العال
بك حلمى . وبعد ذلك صار ترتيب ما يلزم لحفظ الحديو
والعائلة الحديوية والوزراء اذا حدث أى حادث من الضباط
الجراكسة . مع ترتيب ما يلزم لحفظ البنوك وبيوت التجار
الأجانب والوطنيين من مطاعم الرعاع . وكذلك ما يلزم
لحفظنا من بطش الحكومة اذا أرادت الايقاع بنا ، وارفص
الاجتماع على ذلك . وما دفعنا الى طلب انشاء مجلس النواب
الا تبرم الأمة بأمثال ما حصل للمرحوم اسماعيل صديق
باشا فى عهد الحديو اسماعيل . مع أنه كان حائزا لرتبة
المشيرالتي من مزاياها حفظ حائزها ولو باستعمال السلاح .
وما حصل للسيد حسن موسى العقاد بسبب كلمة عدل أراد
بها مساواة الأهالى الذين دفعوا للحكومة ١٧٠٠٠٠٠٠
من الجنيهات باسم المقابلة و ٥٠٠٠٠٠٠ باسم الاسهم -
بالاجانب أصحاب الديون . وما حصل لغيرهما من القتل
والخنق والتعذيب من غير حق ولا محاكمة ، بل لمحض الظلم
والاستبداد ، وكذلك لعلمنا أن ذلك المجلس سوف يكون
لسان الأمة لدى الحكومة فيرشدها الى سبل حفظ الأرواح
الطاهرة والأعراض الكريمة والأموال العزيزة من العبث بها

مقابلتى لرياض باشا

وفى غد ذلك اليوم ذهبت الى ديوان الداخلية ومعى
رفيقاى على بك فهمى وعبد العال بك حلمى ، وقدمنا
العريضة المذكورة الى وكيل الداخلية خليل باشا يكن
وطلبنا اليه عرضها على رئيس النظار رياض باشا . فذهب
اليه ثم عاد وأخبرنا بأن الرئيس يريد أن يرانا فلما قابلناه

طيب خاطرنا وقال سأنظر في الأمر • وبعد أسبوع ذهبت مع الأميرين المذكورين الى بيت الرئيس ، وسألناه عما تم في أمر عريضتنا • فأجابنا بقوله :

« ان أمر هذه العريضة مهلك • وهى أشد خطرا من عريضة أحمد فنى الذى أرسل الى السودان (وأحمد فنى هذا كان كاتباً بديوان المالية طلب المساواة مع غيره من خدم الديوان المذكور ، فعوقب بارساله الى السودان حيث توفى!) فأجبتة : « بأننا لم نطلب الا حقا وعدلا وليس فى طلب الحق من خطر • وأنا لنعتبرك أبا للمصريين ، فما هذا التلويح والتخويف ؟ » فقال : « ليس فى البلاد من هو أهل لأن يكون عضوا فى مجلس النواب » • فقلت له : « أنك مصرى وباقي النظار مصريون والحديو أيضا مصرى • أتظن أن مصر ولدتكم ثم عقمتم ؟ كلا فان فيها العلماء والحكماء والنبهاء • وعلى فرض أن ليس فيها من يليق لأن يكون عضوا فى مجلس النواب أفلا يمكن انشاء مجلس يستمد من معارفكم ويكون كمدرسة ابتدائية تخرج لنا بعد خمسة أعوام رجالا يخدمون الوطن بصائب فكرهم ، ويعضدون الحكومة فى مشروعاتها الوطنية ؟ » فدهش ، وكأنما كبر لديه ما سمعه منا • ثم قال : « سننظر بدقة فى طلباتكم هذه » فانصرفنا على ذلك

وقفى انا وزملائى

وفى غرة ربيع أول سنة ١٢٩٨ هـ انعقد بعابدين مجلس تحت رئاسة الحديو حضره جميع الباشوات المستخدمون والمتقاعدون من الترك والجركس • وقرروا فيه ايقافنا نحن أمراء الآلايات الثلاثة الذين وقعوا على العريضة الآتفة الذكر • ومحاكمتنا أمام مجلس فوق العادة • فلاحظ رئيس النظار رياض باشا انه اذا صار ايقافنا وجب ايقاف ناظر الجهادية أيضا ، والا تفاقم الخطر وخيفت نتائج جراتنا • فلم

يوافق الحديو على ذلك ، وقال : « ان ناظر الجهادية يضمن حفظ النظام » ، فأكد ناظر الجهادية استعداده لحفظ النظام والقبض علينا بسهولة . ثم دعى أحمد خيرى باشا رئيس الديوان الحديو وتلا بالمجلس أمرا عاليا مآله :

« ان الأمراء الثلاثة أحمد غرابى ، وعلى فهمى ، وعبد العال حلمى مفسدون . وانه لذلك يقتضى ايقافهم من الخدمة ومحاكمتهم على افسادهم ومجازاتهم بالعقاب الصارم فى مجلس عسكري فوق العادة ، تحت رئاسة ناظر الجهادية . ويكون من أعضائه استون باشا رئيس أركان حرب (وهو أمريكانى) ولارمى باشا ناظر المدارس الحربية (وهو فرنساوى) وغيرهما من البشوات الجركس » فوقع عليه الحديو وسلمه الى ناظر الجهادية عثمان باشا رفقى ثم ارفض المجلس

وفى مساء ذلك اليوم أرسل ناظر الجهادية المذكور تذاكر يدعوننا بها للحضور الى ديوان الجهادية بقصر النيل فى صباح يوم ٢ ربيع أول سنة ١٢٩٨ هـ للاحتفال بزفاف جميلة هانم شقيقة الحضرة الحديوية . فأدركنا انه يريد أن يخدعنا ، ويبطش بنا كما فعل محمد على باشا بأمراء المماليك ، حينما دعاهم الى وليمة بالقلعة وبطش بهم كما هو واضح بالتاريخ . اذ لم يكن زمن الزفاف المحكى عنه قد حان بعد . فكانت تلك الحيلة سابقة لاوانها ، ولذلك أخذنا حذرنا وهيانا ما يلزم لنجاتنا ، ثم ذهبنا فى الوقت المعين الى ديوان الجهادية بقصر النيل ووجدناه غاصا بجميع الجراكسة من رتبة الملازم فما فوقها الى رتبة الفريق . وكانت فى أيدي شبانهم الطبنجات وكلهم فى فرح ومرح

فانعقد المجلس المؤلف من البشوات السابق ذكرهم . وتلى علينا الأمر الحديوى المؤذن بايقافنا ومحاكمتنا . ثم نزعنا عنا سيوفنا وساقونا الى السجن فى قاعة بقصر

النيل . وكان مرورنا بين صفين من الضباط الجركس
المسلحين بالطبنجات

ومر خسرو باشا كبير الجراكسة بباب السجن وصار
يهزأ بنا ويسخر منا بقوله (أيه زمبيلي هرف لر) يعنى
فلاحين شغالين بالمقاطف احتقاراً للمصريين . ولما أقفل
علينا باب الغرفة تأوه رفيقى على بك فهمى وقال : « لانجاة
لنا من الموت وأولادنا صغار » . ثم اشتد جزعه حتى كاد
يرمى بنفسه فى النيل من نافذة الغرفة ، فشجعتة متمثلاً
بقول الامام الشافعى رضى الله عنه :

ولرب نازلة يضيق بها الفتى ذرعاً وعند الله منها المخرج
صاقت فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكنت أظنها لا تفرج

فلا والله ما كانت الا هنيهة حتى جاءت أورطتان من آلاى
الحرس الحديوى وأحدق رجالهما بديوان الجهادية وأسرع
بعض الضباط والعساكر فأخرجونا من السجن . ففر ناظر
الجهادية ورجال المجلس وغيرهم من المجتمعين ، وقصدوا
جميعاً الى سراى عابدين

ولما أفرج الله عنا أسرعنا الى العساكر فحذرتهم وتوسلت
اليهم بأن لا يمدوا أيديهم بسوء الى أحد من الجراكسة ولا
الى غيرهم من الضباط لانهم اخواننا . ولئن آثروا أنفسهم
علينا ، فأننا لا نريد الا النصفة والمساواة . ونظرت فاذا
بجانبى اسماعيل باشا كامل فعانقته أمام العساكر . وقلت
ان هذا الباشا جركسى ، ولكنه أخى حرام علينا دمه وماله
وعرضه ، وكذلك غيره من الجراكسة . فانصرفوا على بركة
الله تعالى الى مراكزهم ، فانصرفوا طائعين

كيف خرجنا من السجن

لما صار سجننا عين ناظر الجهادية ثلاثة من أمراء
الآليات بدلاً منا وأرسل معهم ثلاثة من اللوات (باشاوات)

لتسليمهم الآلايات التي كانت تحت امرتنا • فعين الأمير الای محمود بك طاهر للآلاى الرابع بدلا منى ، وكان معه اللواء طه باشا لطفى لأجل تسليمه الآلاى المذكور على مقتضى أحوال الجيش • وعين الأمير الای خورشيد بك نعمان أميرا للآلاى السودانى بدلا من عبد العال بك حلمى ، وكان معه خورشيد باشا طاهر لتسليم الآلاى المذكور • وعين الفريق راشد باشا حسنى لتسليم آلاى الحرس الحديوى الى القائم مقام خورشيد بك بدلا من على بك فهمى

وعندما علم ضباط آلاى الحرس الحديوى بما لحقنا من الاهانة والسجن وتعيين غيرنا بدلا منا هاجوا وماجوا وثاروا الحمية فى رؤوسهم وفى الحال أمر محمد أفندى عبيد البكباشى بضرب نوبة طابور للعساكر • فاعترضه خورشيد بك بسمى القائم مقام المعين حديثا وهدده بقطع رأسه وقال له أنا أمير الآلاى • فلم يلتفت اليه وأمر بعض العساكر بوضعه تحت الحفظ • وكانت الجنود قد اصطفت تحت السلاح فأخذهم وقصد قصر النيل لانقاذنا من السجن • فاعترضه أيضا راشد باشا حسنى الفريق ولكن لم يجد ذلك نفعا • وكان الحديو مشرفا على العساكر من شرفة (السلامك) فأمر (بروجى قره قول السراى) بأن يضرب (نوبة) حضور الضباط عند الحديو • فلم يذهب اليه أحد ووقفت الاورطة الاولى حكمدارية البكباشى أحمد أفندى فرج فى ساحة عابدين ومعها يرق الآلاى • وكان وقوفها فى هيئة طابور لأجل حفظ الحديو مما عسى أن يطرأ من الامور • واستمرت الاورطتان الاخيرتان فى سيرهما الى أن وصلتا الى قصر النيل • فأصدر البكباشى محمد عبيد أمره الى حكمدار الاورطة الثالثة على أفندى عيسى البكباشى بأن يذهب بأورطته الى الجهة الخلفية من قصر النيل وذهب هو بأورطته الى الجهة الامامية • ثم عين فرقة من العساكر

لاقتحام الديوان الذى أوصدت أبوابه ومنافذه للبحث عنا
وأخراجنا من السجن . فوقع الرعب فى قلوب أمراء الجهادية
الموجودين بالديوان وأعضاء المجلس المعينين لمحاكمتنا من
الأوربيين والجرکس . وطلب كل منهم النجاة لنفسه ، وفى
جملتهم عثمان باشا رفقى ناظر الجهادية

وهكذا كان الشكر والفخر للبطل المقدم والشجاع الهمام
محمد أفندى عبيد الذى كان انقاذنا من الهلاك على يديه .
وللبطل المقدم على أفندى عيسى البكباشى . وللوطنى الغيور
أحمد أفندى فرج البكباشى . ولجميع ضباط آلاى الحرس
الحديوى وعساكره الذين خلدوا لهم ذكرا جميلا
وكذلك الشهم الهمام والبطل المقدم البكباشى خضر
أفندى خضر فانه ما كاد يعلم بأمر سجننا ، عند حضور
خورشيد باشا طاهر والاميرالاي الجديد خورشيد بك نعمان
وأحمد بك حمدى الياور الحديوى لأجل تسليم الآلاى
السودانى الى خورشيد نعمان بدلا من عبد العال بك حلمى
حتى انتظر جلوسهم فى المحل المخصص لاقامة القائم مقام
فرج بك (الذكر) ثم قام من المجلس وأحضر بلو كا من
العساكر وجعلهم خفراء على الأمراء المذكورين . وأمر بأن
لا يسمح لأحد منهم بالخروج من مكانه مطلقا . ثم أمر بعد
ذلك بضرب نوبة طابور فخرج الآلاى الى الميدان . ولما تم
انتظامه أخبر الضباط والصف ضباط والعساكر بما صار
من سجننا واهانتنا . فأججت نيران الغيرة فى صدورهم
وطلبوا أن يسرع بهم لانقاذنا من السجن قبل فوات الوقت
وتفاقم الأمر . فأسرع بهم وهو فى مقدمتهم من (طره)
قاصدين ديوان قصر النيل

وأما البكباشى ألفى أفندى يوسف فانه نكت بعهدده الذى
عاهدنا عليه من أول يوم فلم يعد الى بيته الا بعد أن ذهب
الى خيرى باشا رئيس الديوان الحديوى وأخبره بما تقرر

بيننا في اجتماعنا الأول • وكذلك أخبر على باشا مبارك بكل ما تم الاتفاق عليه بيننا

وعندما توجه طه باشا لطفى ومحمود بك طاهر الى العباسية لاستلام الآلاى الرابع حكمداريتنا لم يقيم الالفى يوسف هذا بما أقسم عليه بل نكص على عقبيه وحنث فى يمينه جبنا وخيانة وغدرا ونذالة ، كما غدر وحنث فى يمينه محمود بك طاهر المذكور حين عاهدنا على طلب الاصلاح قبل حادثة قصر النيل

بعد خروجنا من سجن قصر النيل

فر ناظر الجهادية عثمان رفقى وجميع أمراء الجراكسة وأعضاء المجلس السابق ذكره الى سراى عابدين ليحتموا بالحديد بعد أن أحبطت وطنية الجند مكرهم • ولما استقر بهم المقام تشاوروا فى الأمر فقال استون باشا الأمريكى : « ان ما حصل من آلاى الحرس يعتبر تمردا عسكريا • ومن الواجب حصره بالطوبجية والبيادة • وأمر ضباطه بتسليم الأمراء الثلاثة • فان أبوا تطلق عليهم المدافع والبنادق حتى يضطروا الى التسليم » فاستحسن الجميع ذلك الرأى الا اسماعيل باشا كامل الفريق فانه عارضه وقال : « انى أعتقد أن جميع الآلايات البيادة والطوبجية والسوارى على رأى واحد فلن يجدى هذا الكلام نفعا » • فقال الجنرال استون : « اذا كان الأمر كذلك فالآلاى السودانى يكفى لأكراه آلاى الحرس على التسليم » فعارضه اسماعيل باشا كامل ثانية بقوله : « ان آلاى السودان أشد تحمسا من باقى الآلايات » • فلما سمع الحديد معارضة الباشا المذكور غضب غضبا شديدا وأمر خورشيد باشا طاهر تلغرافيا باحضار الآلاى السودانى من (طره) بغاية السرعة وتكون معه الجبهه خانه اللازمة • فجاء الرد من ناظر محطة

طره بأن البكباشى خضر أفندى خضر القى فى السجن كلا
من خورشيد باشا طاهر والاميرالاي خورشيد بك نعمان .
وأحمد بك حمدى الياور الحديوى والقائمقام فرج الذكر .
وصرف الجبخانه اللازمة للعساكر ، ثم قام بهم من مدة
ساعة بخطوة سريعة بطريق البحر قاصدا قصر النيل لاجراج
الأمراء الثلاثة المسجونين . . .

وهنا تحقق الحديو من صدق اسماعيل باشا كامل ووجاهة
اعتراضه وعمت الدهشة جميع الحاضرين . ثم أمر الحديو
بارسال بعض الياوران لمقابلة البكباشى خضر أفندى خضر
واخباره بأن الأمراء الثلاثة خرجوا من السجن . وابلاغه
أمر الحديو القاضى برجوعه بالآلاى من حيث أتى . . . وضرورة
اخلاء سبيل الأمراء الذين سجنهم بطره . ولما قابله رسل
الحديو قال لهم : « انى لا أعود الا بعد أن أراهم بعينى رأسى » .
فعرضوا عليه أن الحديو يكافئه بالمال والرتب العالية اذا
هو سمع ورجع . وأنذروه بكل عقاب اذا هو أبى . فلم
يصغ اليهم وأستمر فى سيره حتى وصل الى ساحة
عابدين . فاستقبله آلاى الحرس المذكور بالتعظيم العسكرى
وهو حامل السلاح . وأما نحن فلما خرجنا من السجن
تقدم الهمام يوسف أفندى فهمى الملازم وغيره وذهبوا مع
عساكر آلاى الحرس الحديوى الى قشلاق عابدين . وتوجهت
أنا العاجز الى مركز الآلاى المذكور . وجمعت الضباط
والصف ضباط وألقيت عليهم كلمة أوصيتهم فيها بملازمة
الهدوء والسكينة وقلت لهم : « اننا لا نطلب الا العدل
والمساواة مع اخواننا الجراكسة والأتراك ، وأن لا يكون
المصرى محتقرا فى نظر الأجناس الأخرى . ونريد كذلك
مجلسا نيابيا لحفظ حقوق آبائنا واخواننا وأبنائنا من ظلم
المستبدين الظالمين . وأن تنقح القوانين العسكرية حتى
تكون كافلة للمساواة فى الترقيات والمكافآت ، وزيادة

المرتبات والمهام التي مضى عليها ثمانون عاما ومرتب
النفر العسكري فيها لا يزيد على ١٩١/٤ قرش وفيهم من
له زوجة وأولاد ووالدة يتضورون جوعا لسوء حظ عائلهم»
ثم كتبت الى وكيل دولة فرنسا السياسي البارون
(دورنج) وكنت لا أعرف اسمه ولا اسم غيره من وكلاء
الدول الأوروبية راجيا أن يخبر عني جميع وكلاء الدول
المتحابة وخصوصا قنصل جنرال دولة انجلترا بأنه قد
حصل خلاف بيننا وبين حكومتنا، وأنا نؤمل منهم التوسط
في اصلاح ذات البين

وأمضينا بعد ذلك ليلتنا في القشلاق على أتم ما نكون
من التيقظ والاحتراس . وأما القناصل فقد ذهبوا الى
عابدين وأشاروا على الحديو باجابة طلباتنا حسما للنزاع
ومنعا من الخطر . بناء على ان الحكومة عاجزة عن تنفيذ
أغراضها فينا

وفي صباح ٣ ربيع الأول سنة ١٢٩٨ هـ . الموافق ٢
فبراير ١٨٨١ م . ذهب جميع الباشوات الى الحديو
وتشاوروا في أمر تلك الازمة . فقال ناظر الاوقاف محمود
باشا سامي المشهور (بالبارودي) : « اني أرى العساكر
على الطاعة بدليل هتافهم باسم الحديو . وأن الموسيقى
تعزف بالسلام الحديو ، فلو أجيبنا طلباتهم لانحسنت
المسألة بسلام »

وبناء على ذلك تقرر تعيين محمود سامي باشا وخيرى
باشا رئيس الديوان الحديوى لمفاوضتنا فيما يلزم من
الاصلاح . فحضرا وسألانا عما نريده . فأجبناهما بأننا
على الطاعة ولا نريد الا الاصلاح . فقال خيرى باشا :
« وما هو الاصلاح ؟ » فقلنا : « هو ما أوضحناه بعريضتنا .
ورغبتنا هي أن يبدأ بعزل ناظر الجهادية عثمان رفقى باشا
ثم يشرع فى تنفيذ باقى الطلبات »

فذهبوا وأخبروا الحديو ثم عادوا وأخبرانا بأن الحديو ، قبل طلباتكم وعزل ناظر الجهادية • فاختاروا ناظرا غيره • فقلنا « لا خيرة لنا • وانما نريد ناظرا وطنيا يعينه الحديو » • فقال خيرى باشا : « ان الحديو فوض اليكم اختيار الناظر حتى لا تشكوا فيما بعد »

فقلنا : « انا نرضى بتعيين محمود سامى باشا هذا ناظرا للجهادية » • فذهبوا وبلغوا الحديو ذلك • وبناء عليه صدرت الاوامر بتعيين محمود سامى باشا البارودى ناظرا للجهادية مع بقاء نظارة الاوقاف فى عهده كما كانت ، واعادة كل منا الى آلايه ، للعمل على نبذ الفوارق العصبية والجنسية • والتمسك بعروة الاخاء والمساواة ، ثم أخذ بعد ذلك فى سن القوانين العسكرية وتعديلها وتنقيحها

دسائس الحديو ورجاله

حدثت عقيب حادثة قصر النيل فى اوائل فبرابر سنة ١٨٨١ الى وقت سقوط وزارة رياض فى ٩ سبتمبر سنة ١٨٨١ عدة دسائس أوعز بها الحديو ورجاله أدت الى توتر الحالة واشتداد الازمة بين الحديو وحكومته وزعماء الجيش • أذكر منها (١) :

الدسياسة الاولى :

أوعز يوسف باشا كمال وكيل الدائرة الحديوية - وهو رجل جركسى الاصل - الى باشجاويش جركسى ايضا متزوج من جارية من السراى وملتحق بالآلاى السودانى ، بأن يستميل أفراد الآلاى المذكور الى التمرد على ضباطهم • ثم يعجى اليه بمن يقبل الاشتراك فى ذلك التمرد من

(١) اكتفينا هنا بأربع دسائس من ثلاث عشرة دسياسة ذكرها أحمد عربى فى هذه المذكرات كأمثلة لما كان يحاك لزعماء الجيش والوطن من دسائس فى ذلك العهد

الصف ضباط والعساكر ليصرف له مبلغ ثمانية جنيهاً
ويزوجه من جارية من جوارى السراى . فقام الباشجاويش
المذكور بما عهد اليه وتيسر له أن يستميل ثمانية أشخاص
من السودانيين . وبينما هم ينشرون الفتنة بين جنود
الآلاى اذ اتصل خبرهم ببعض الضباط فتداركوا الأمر
بضبطهم . وقد اتضح من التحقيق أن الباشجاويش هو
الذى أغرى الجنود السودانية . وانه ذهب بهم الى وكيل
الدائرة الحديدية الذى صرف لكل منهم ثمانية جنيهاً
وشجعهم على القيام بتلك الدسيصة ، وبناء على ذلك حكم
مجلس الآلاى بسجن الباشجاويش الجركسى مدة ستة أشهر
مكبلاً بالحديد وأعفى الصف ضباط السودانيين . فوافق
عليه الأميرالاي عبد العال بك حلمى وأرسله الى الجهادية
حيث صادقت عليه أيضاً

الدسيصة الثانية :

أغرى أحد غلمان الحديدو (جركسى) غلاماً آخر (جركسيا)
كان فى وصاية عبد العال بك حلمى (لأنه ابن زوج حرمه
المتوفى) بقتله فدرس له السم فى اللبن ، ولولا أن رأت
خادمتها (تشرىف) ذلك العمل الجنائى الفظيع ، ونبهت
اليه فى حينه ، لكانت النتيجة شراً ووبالاً على الجميع . وقد
عوقب المجرم بالسجن

الدسيصة الثالثة :

لما رأى الحديدوى أن محمود باشا سامى لا يوافق نظار
الحكومة على دس الدسائس والمكائد التى كانوا يحاربونها
بها أمر بعزله واستبدل به صهره داود باشا يكن .
وكذلك أمر بعزل مأمور ضبطية المحروسة أحمد باشا
الدرهملى لموافقته على طلباتنا الوطنية . وتعيين عبد القادر
باشا حلمى بدلا منه . ولما استقر داود باشا فى نظارة
الجهادية توجهنا اليه وهنأناه بما ناله من الالتفات الحديدوى .

وطلبنا اليه أن يجعل فاتحة أعماله السعى في تصديق
الحديو على قوانين الاصلاحات العسكرية التي تمت
بالقومسيون ، فوعدنا بذلك ولكن ما عثم أن نشر على جميع
الآليات منشورا أمر فيه ألا يجتمع الضباط مع بعضهم
في المنازل أو في أحياء المدينة • وألا يتركوا مراكز
الآليات ليلا ولا نهارا ، وأنه اذا وجد اثنان منهم فأكثر
مع بعضهم في المدينة فسيجرى ضبطهم بمعرفة رجال
الضبطية وسجنهم فيها • ثم أخذ يذهب بنفسه ليلا الى
مراكز الآليات ليرى هل تنفذ أوامره أم لا

ولما كانت تلك الأوامر مخالفة للقوانين العسكرية ومهينة
للشرف العسكري فقد ردت اليه تلك الأوامر من أمراء
الآليات

أما مأمور الضبطية عبد القادر باشا حلمي فانه أرخى
عنان الجواسيس حول منازلنا وفي الطرقات ليفتكوا بنا
غيلة وغدرا • ففكرنا في وضع حد لتلك الدسائس الدنيئة
التي اشتغل بها وزراء الحكومة ومأموروها • وذهبنا الى
راغب باشا الذي عرف بحسن السياسة ، وكمال الاقتدار
على تذليل المضاعف ، لنستنير برأيه وأوضحنا له الموقف
بحذافيره • فسألنا عن يمكن جمعه من العساكر وعن مقدار
الاسلحة والذخائر الحربية الموجودة بالمخازن والآليات •
ثم أشار علينا بارسال بلوك من العساكر لقتل الحديو •
وأظهر استعداداه لأن يقودنا بعد ذلك بما أوتيته من الحكمة
واصالة الرأي !!

فعلمنا مبلغ حكمته واستعدنا بالله من شر رأيه ، لأننا
لم نرد الا الاصلاح بالتي هي أحسن • ولأن ذلك العمل
الفظيع كان ضد مبادئنا على خط مستقيم
الديسيمة الرابعة :

أمر كومخلى ابراهيم أغا توتنجى الحديو أحد الشوبكجية

المدعو محمد حسن الحبشي باخفاء تراكيب الشـوبكات
المجوهرية التي كانت معدة للضيوف في التشريفات ليظهر
لأوروبا أن أموال الخديو في خطر الضـياع .
وليلصق عار ذلك العبت بعسـاكر الحرس . ولما بلغ
الأميرالاي على بك فهمى ذلك الأمر توجه بنفسه الى
السراى ، وأخذ في التحقيق الى أن اعترف له محمد حسن
المذكور بكل ما كان من أمر المكيدة . وأرشدته الى محل
وجود تلك الشوبكات فاستخرجت من (مجرور المراحيض)
ولما أردنا اجراء تحقيق رسمى لاطهار براءة رجال الحرس
أسرع الخديو بارسال ابراهيم أغا الشوبكجي المذكور الى
الآستانة خفية . كما أمر بارسال محمد حسن الى سواكن
حيث لقي المسكين حتفه جزاء صدقه وأمانته

وكذلك نفيت الست عائشة (الكوديا) التي كانت تبخر
الخديو وملابسه وتتلو عليه (العزائم والتمايم) الى جدة
جزاء نصيحها له بالكف عن الدسائس ، والتماسها موافقته
ومساعدته في اجراء الاصلاحات الوطنية بصفاء نية وخلوص
طوية . ثم أمر برفق زوج ابنتها من خدمته، ولما طلق الرجل
زوجه أعيد الى خدمته كما كان

ولما كثرت دسائس الخديو توفيق وبان ختله وعزمه على
اغتيالنا أخذنا حذرنا منه وسهرنا على احباط تلك الدسائس
المنكرة . وكان السير مالت (قنصل انجلترا بمصر) كثير
التردد على الخديو ليلا ونهارا دون غيره من وكلاء الدول
الأوربية . فأوجسنا من ذلك خيفة على مصر بلادنا
وخشيننا من مطاعم انجلترا التي كانت ترمى الى التهام
وادي النيل أسوة بما فعلته فرنسا بتونس الخضراء حتى
يتم التوازن الذي تدعيه أوروبا ، فعرضنا تفاصيل مخاوفنا
على جلالة أمير المؤمنين ليحيط علما بما كان جاريا في مصر .
ولكى لا يتورط في تصديق ما قد يصل اليه من دسائس

أعداء البلاد • وذيلنا العريضة المذكورة بامضائي
وامضاءات اخواني على بك فهمي وعبد العال بك حلمي
وأحمد بك عبد الغفار بالنيابة عن الجيش • وأحمد بك
أبو مصطفى وأحمد بك الصباحي وعثمان باشا فوزي
وغيرهم من وجوه الأمة بالنيابة عن جميع المصريين

بعد حادث قصر النيل

وبعد حادثة قصر النيل طلبنا الخديو قبل سفره الى
مصيغه بالاسكندرية وأمرنا بالمحافظة على الأمن العام في
البلاد • كما أمرنا بالذهاب الى جميع قناصل الدول
لتأمينهم على رعاياهم واعطائهم كلمة الشرف بحفظ ارواحهم
وأموالهم • فصدعنا بأمره وأبلغنا القناصل بأننا قد كفلنا
استتباب الأمن والراحة في البلاد • وطمانا خواطرهم على
رعاياهم • ثم بعثنا بناء على ذلك التعهد الرسمي الى جميع
الولايات البيادة والسواري والطوبجية وفروع الجهادية
والبحرية بأن يخلدوا الى الهدوء والسكينة

حادثه عابدین

مماثلة

لما رجع الحديو الى المحروسة من مصيفه صدر أمر من ناظر الجهادية الجديد داود باشا يكن الى الآلاى الثالث البيادة حكمدارية ابراهيم بك حيدر بالتوجه الى الاسكندرية . والى آلاى الاسكندرية حكمدارية حسين بك مظهر بالحضور الى المحروسة . فاضطرب ضباط الآلاى الثالث وذهبت بهم الظنون والشكوك كل المذاهب وقالوا ان الحكومة لم تقصد من ذلك الاجراء سوى الانتقام منهم . وكان قد تردد على الالسنه ان فى النية اغراقهم فى كوبرى كفر الزيات كما حصل للامير حليم باشا والامير أحمد باشا بن ابراهيم باشا فى عهد سعيد باشا . ولما جمع ابراهيم بك حيدر حكمدار الآلاى ضباطه وأخبرهم بأمر الجهادية رفضوا جميعا الاذعان له . فكتب الى الجهادية يحيطها علما بذلك

ولما رأينا كثرة الدسائس وشدة الضغط من الحكومة وعدم التصديق على القوانين العسكرية التى تم تنظيمها ، وعدم الشروع فى تأليف مجلس النواب الذى وعدنا الحديو بانشائه أيقنا ان الحكومة تماطلنا فى تنفيذ الطلبات الوطنية وصممنا على تجديدها فى صورة مظاهرة وطنية شاملة للعسكرية والأهالى الذين أنابونا عنهم فى المجادلة عن حقوقهم وتأمينهم على الأنفس والأموال والأعراض . وعند ذلك قمنا بمخاطبة جميع الآلايات البيادة والسوارى والطوبجية الموجودة فى القاهرة بواسطة فن الإشارة العسكرية للاستعداد للحضور الى ميدان عابدين فى الساعة

العاشرة عربى من يوم ٩ سبتمبر سنة ١٨٨١ لعرض
طلباتنا العادلة على الحضرة الحديوية

وكتبت الى ناظر الجهادية ليخبر الحديو بأن جميع
الآليات ستحضر الى ساحة عابدين فى الساعة المذكورة
لعرض طلبات عادلة تتعلق باصلاح البلاد وضمان مستقبلها .
ثم كتبت الى قناصل الدول مؤكدا لهم ان لا خوف البتة من
تلك المظاهرة على رعاياهم لانها متصلة الغاية بأحوال البلاد
الداخلية

ولما وصل كتابى الى ناظر الجهادية أسرع بعرضه على
الحديو الذى استدعى رياض باشا رئيس النظار فى الحال
وفأوضه فى الأمر . ثم بعث الينا بطه باشا لطفى لنعدل
عن القيام بالمظاهرة . وذهب الحديو بعد ذلك ومعه رياض
باشا وخيرى باشا رئيس ديوانه الى مركز آلاى الحرس
بقشلاق عابدين وجمع الضباط والعساكر وأخذ ينصح لهم
بقوله : « أنتم أولادى وحرسى الخصوصى فلا تتبعوا التعصب
الذميم ولا تقتدوا بأعمال الآليات الأخرى » فأجابوه
بالسمع والطاعة . ثم أمر على بك فهمى حكامدار آلاى الحرس
بأن يوزع عساكره على نوافذ السراى وأبوابها من الداخل
ليتخذوها متاريس لهم عند الاقتضاء ، ففعل . أما طه باشا
فانه قابلنا وسألنا عن قصدنا فأخبرناه بما عزمنا عليه من
عرض طلبات عادلة لا بد منها لضمان حرية الأمة وسعادتها .
فرجع ليخبر مولاه بما رأى وسمع . وبعد توزيع عساكر
آلاى الحرس على السراى كما أسلفنا توجه الحديو الى القلعة
وبمعيته رياض باشا وخيرى باشا ليحاول منع الآلاى
الثالث من الذهاب الى ساحة عابدين . وعند وصوله وجد
الآلاى المذكور واقفا تحت السلاح ينتظر الأمر بالسير .
فطلب الضباط ووبخهم . ثم أمسك بتلابيب البكباشى
فوده أفندى حسن وقال له : « أمثلك يعارض أوامر الحكومة

ويسعى في وقف اجراءاتها ؟ » وهنا هاج العساكر وماجوا وأمر اليوزباشى محمد أفندى السيد البروجية بضرب نوبة « سونكى ديك » فأسرع العساكر الى تركيب السونك فى رؤوس البنادق واحاطوا بالحديد ومن معه صارخين بقولهم (أترك البكباشى) • فتركه وقال : « مر العساكر بأن ينفرجوا عنا يا بكباشى » فأمرهم بالرجوع الى حالتهم الأولى • ثم تركهم الحديد وسار بمن معه من طريق الجبل قاصدا العباسية ليمنعنى من القيام بما عزمت عليه • فلما وصل الى مركز الآلاى طلبنى فلم يجدنى • وأخبره اليوزباشى حكمدار الحفر بأننى توجهت بالآلاى حكمداريتى والآلاى الطوبجية حكمدارية اسماعيل بك صبرى بمدافعه وجباخاته الى عابدين منذ ساعة • فقفل راجعا الى السراى وكان عبد العال بك حلمى حكمدار الآلاى السودانى قد قام مع آلايه • ولما وصل الى ساحة المنشية أمر العساكر بالاستراحة وتنظيف ملابسهم من الاتربة • وهناك بلغه خبر ذهاب الحديد الى القلعة فأخذ بلوكين من العساكر وصعد الى القلعة ليستكشف الأمر الذى أوجب الحديد أن يترك مركزه فى الوقت المعين لاستعراض الآلايات عليه والمطالبة بالاصلاحات اللازمة للجهادية وللأمة جميعا

فلما وصل الى مركز الآلاى الثالث واستعلم عن سبب مجيء الحديد أحيط علما بما حصل • وكان الوقت قد حان فنزل من القلعة وخلفه الآلاى الثالث يقوده البكباشى فوده حسن لأن الأميرالاي ابراهيم بك حيدر قد ترك الآلاى وذهب الى بيته حتى لا يشترك فى تلك المظاهرة هلعاً وجبناً ونذالة

الجيش فى ساحة عابدين

كان أول من حضر الى ميدان عابدين الآلاى السوارى بقيادة أحمد بك عبد الغفار • ثم حضرت بالآلاى العباسية



عربي في ساحة عابدين

ومعى آلاى الطوبجية يقوده اسماعيل بك صبرى • وكانت بطاريات المدافع تتخلل أورطة البيادة أثناء المسير • وكان ذلك فى يوم الجمعة الواقع فى ١٥ شوال سنة ١٢٩٨ هـ و ٩ سبتمبر سنة ١٨٨١ م • وهناك أخبرنى بعض الضباط ان آلاى الحرس الحديوى (حكمدارية على بك فهمى) وزع داخل السراى وهو على استعداد للدفاع عنها اذا مست الحاجة ومعه كمية وافرة من الجباخانة • فبعثت بالملازم محمد أفندى على الى الحكمدار المذكور ليستدعيه الى • فلما حضر سألته عن سبب وضع العساكر فى أبواب السراى ومنافذها من الداخل وما هو القصد من ذلك ؟ فقال : « ان السياسة خداع » فطلبت منه أن يجمع آلايه ويأخذ محله فى الميدان • فأمر بخروج الآلاى جميعه وأخذ المحل المعين له فى الدائرة • ثم صار ترتيب آلاى الطوبجية والسوارى والبيادة على شكل مربع • وحضر بعد ذلك الآلاى الثانى من قصر النيل يقوده أحمد أفندى صادق اليوزباشى ومعه أحمد أفندى عبد السلام ورسول أفندى اليوزباشى لامتناع الأميرالاي محمد بك شوقى واليكباشية عن مرافقتهم • ثم جاء الآلاى الثالث من القلعة بقيادة فوده أفندى حسن والآلاى السودانى بقيادة عبد العال بك حلمى • وأورطة المستحفظين يقودها القائمقام ابراهيم بك فوزى

حديثى مع الحديو

فلما كمل اجتماع الجيش فى عابدين كان الميدان غاصا بجماهير المتفرجين من الوطنيين والأجانب ونوافذ البيوت المجاورة للسراى وأسطحتها ملأى بالمتفرجين والمتفرجات وأما الحديو فانه لما عاد من العباسية دخل السراى من الباب الشرقى المسمى (بباب باريز) وصعد الى الايوان ثم نزل منه ومشى فى الميدان وحواليه المستر كوكسن

(قنصل انجلترا فى الاسكندرية) والجنرال جولد سميث
 (مراقب الدائرة السننية) ونفر من جاوشية المراسلة
 الحديوية . حتى اذا ما توسط الساحة طلبنى فتوجهت اليه
 لأعرض مطالب الأمة وكنت راكبا جوادى وسيفى فى يدى
 ومن خلفى نحو ثلاثين ضابطا . فلما دنوت منه صاح بى
 أن ترجل وأغمد سيفك . ففعلت . ثم أقبلت عليه وفى تلك
 اللحظة أشار عليه المستر كوكسن بأن يطلق غدارته على
 فالتفت اليه، وقال : « أفلا تنظر الى من حولنا من العساكر »
 ثم صاح بمن خلفى من الضباط أن اغمدوا سيوفكم وعودوا
 الى بلكاتكم . فلم يفعلوا وظلوا وقوا خلفى ودم الوطنية
 يغلى فى مراحل قلوبهم والغضب ملء جوارحهم . ولما وقفت
 بين يديه مشيرا بالسلام خاطبنى بقوله : « ما هى أسباب
 حضورك بالجيش الى هنا ؟ » فأجبتة بقولى : « جننا يا مولاي
 لنعرض عليك طلبات الجيش والأمة ، وكلها طلبات عادلة »
 فقال : « وما هى هذه الطلبات ؟ » فقلت : « هى اسقاط
 الوزارة المستبدية ، وتأليف مجلس نواب على النسق
 الأوربى ، وابلاغ الجيش الى العدد المعين فى الفرمانات
 السلطانية ، والتصديق على القوانين العسكرية التى أمرتم
 بوضعها » . فقال : « كل هذه الطلبات لا حق لكم فيها ،
 وأنا ورثت ملك هذه البلاد عن آبائى وأجدادى ، وما أنتم
 الا عبيد احساناتنا » . فقلت : « لقد خلقنا الله أحرارا ولم
 يخلقنا ترانا وعقارا ، فوالله الذى لا اله الا هو ابنا سوف
 لا نورث ، ولا نستعبد بعد اليوم ! »

وكنت أرى الجنرال جولد سميث كلما سمع جملة من
 كلامى رجع القهقرى خطوات ، ثم يعود الى محله فى الدائرة
 المحاطة بالضباط والجاوشية . فأشار المستر كوكسن على
 الحديو بالرجوع الى السراى زاعما أنه يخشى عليه سوء اذا
 زادت المخاطبة عن ذلك الحد

كدنا نعزل الحديو

وبعد رجوع الحديو الى داخل السراى عاد المستر كوكسن ومعه المستر كلفن المراقب المالى الانجليزى ، وخاطبني بالنيابة عن الحديو كرسول من طرفه . قال :

« ان طلب اسقاط الوزارة وطلب تأليف مجلس النواب من حقوق الأمة لا من حقوق الجيش ، ولا لزوم لطلب زيادة الجيش لأن المالية لا تساعد على ذلك »

فقلت :

« اعلم يا حضرة القنصل ان طلباتى المتعلقة بالاهالى لم اعمد اليها الا لانهم اقامونى نائبا عنهم فى تنفيذها بوساطة هؤلاء العساكر الذين هم اخوانهم وأولادهم . فهم القوة التى ينفذ بها كل ما يعود على الوطن بالخير والمنفعة . وانظر الى هؤلاء المحتشدين خلف العساكر فهم الاهالى الذين انا بونا عنهم فى طلب حقوقهم . واعلم علم اليقين اننا لا نتنازل عن طلباتنا ولا نبرح هذا المكان ما لم تنفذ »

فقال القنصل : « علمت من كلامك انك ترغب فى تنفيذ اقتراحاتك بالقوة وهذا أمر ينشأ عنه ضياع بلادكم وتلاشيها »

فقلت :

« كيف يكون ذلك ومن ذا الذى يعارضنا فى احوال داخليتنا . فاعلم أننا سنقاوم من يتصدى لمعارضتنا أشد المقاومة الى أن نفنى عن آخرنا »

فقال القنصل : « وأين هى قوتكم التى ستدافع بها ؟ »
فقلت : « عند الاقتضاء يمكن أن يحشد مليون من العساكر يدافعون عن بلادهم يسمعون قولى ويلبون اشارتى »
فقال القنصل :

« وماذا تفعل اذا لم تجب الى ما تطلب ؟ »

فقلت : « أقول كلمة أخرى »

فقال : « وما هي ؟ »

فقلت : « لا أقولها الا عند اليأس والقنوط » ١٠٠ !

اجابة مطالبنا

ثم انقطعت المخابرات ساعة تقرر في غضونها اجابة مطالبنا وتنفيذها بالتدريج . ثم اسقطت الوزارة وطلب الى الحديو قبول تعيين حيدر يكن رئيسا للوزارة الجديدة . فلم أوافق على ذلك لانه من اقربائه وعرضت تعيين محمد شريف باشا . وبناء على ذلك استدعى شريف باشا من الاسكندرية بالتلغراف

وبعد صدور امر الحديو باجابة مطالبنا توجهت اليه وشكرت له ارضاءه ضمير الامة ، فاقسم بأنه مرتاح لما فعل ، وانه وافق على تلك الطلبات بنية صافية . فكررت له الشكر والدعاء . ثم امرت فانصرفت الآليات الى مراكزها ما عدا آلاى السودان فانه قضى ليلته فى ضيافة آلاى الحرس بقشلاق عابدين

وفى يوم ١٠ سبتمبر سنة ١٨٨١ توجهت الى سراى شريف باشا وهنأته برياسة الوزارة الجديدة ، وطلبت منه أن يعنى بانتخاب من يؤازرونه فى سرعة تأليف مجلس النواب . ونشر الحرية فى البلاد . ورغبت اليه فى تعيين محمود سامى باشا ناظرا للجهادية . ومصطفى فهمى باشا ناظرا للخارجية لما أعلمه من ميلهما الى العدل والحرية . فأبى وقال : « انى لا أقبل أن يكون فى وزارتى محمود سامى ولا مصطفى فهمى لانهما لم يوفيا بالعهد الذى تعاهدنا عليه من قبل . فقد اتفقنا على انه اذا رفض الحديو الموافقة على تأليف مجلس نواب استقالت وزارتنا ولا يشترك أحد منا بعد ذلك فى الوزارة الجديدة ولكنهما

نكثا بالعهد وقبل الدخول فى وزارة رياض باشا التى قامت بعد وزارتنا والتى سقطت بالأمس . لذلك لا أستطيع أن أشتغل معهما » . فقلت له : « ان لكل وقت حكما واني أثق بحبهما للحرية والعدل والمساواة . فضلا عن ذلك فان الجيش لا يطمئن لغير محمود سامى باشا » . فقال : « أفلا ترضون أن أكون ناظرا للجهادية ، فاني قد تربيت معكم فى العسكرية » . فقلت : « لقد اخترناك رئيسا للوزارة ولا بد من مراعاة ميول رجال الجيش » فلما أصر على عدم قبولهما فى وزارته تركته ، ورجعت الى أشغالى من غير أن يتم شىء فى أمر الوزارة

وزارة شريف باشا

وفى يوم ١٤ سبتمبر سنة ١٨٨١ قابلته مرة أخرى ، وقلت أنه لا يمكن ترك البلاد بلا وزارة فأصر على الرفض . فقلت له : « ان لم تؤلف الوزارة اليوم فسنطلب غيرك . ولا تظن أن ليس بالبلاد سواك . ففيها بحمد الله العلماء والحكماء ولم يكن اختيارك لعدم وجود غيرك لهذا المركز الخطير » فأغرورقت عيناه بالدموع ولم يحجر جوابا . ثم خرجنا من عنده وبعد قليل جاءنا الشيخ بدرأوى عاشور (وكيل زراعته الذى نال رتبة باشا فى زمن الاحتلال حين كان شريف باشا رئيسا للنظار أيضا) وقال ان الباشا قبل ما عرضته عليه وأنه يريد مقابلتي . فذهبت اليه مع محمود سامى باشا حيث أعلن لنا تأليف الوزارة على الوجه الآتى :

شريف باشا : رئيسا للنظار وناظرا للداخلية - محمود سامى باشا : ناظرا للجهادية والبحرية - حيدر باشا : ناظرا للمالية - اسماعيل أيوب باشا : ناظرا للاشغال - مصطفى فهمى باشا : للخارجية - زكى باشا : ناظرا

للاوقاف والمعارف - قدرى باشا : ناظرا للحقانية
ثم رفع الى الخديو تقريراً ضمنه الكلام على السياسة
التي ستجرى عليها وزارته والاعمال التي ستبشرها .
فأجاب عليه الخديو بالموافقة



وفى يوم الأحد الواقع فى ١٤ شوال سنة ١٢٩٨ وفد
على شريف باشا كثير من وجوه البلاد وأعيانها نذكر منهم
سليمان باشا أباطه وشريعى باشا وسلطان باشا وأمين بك
الشمسى ومنشاوى بك والشيخ على الليثى وعبد السلام
بك المويلحى والشيخ أحمد محمد والشيخ الصباحى
وابراهيم أفندى الوكيل وقدموا لدولته تقريرين أولهما
كضمانة وكفالة لتعهداتنا ودليل على اشتراكهم معنا فى
الطلبات الوطنية التي نحن متضامنون عليها وهذه صورته :

« نحن الواضعون أسماءنا أدناه علماء ومشايخ وأعيان
وعمد مصر واسكندرية والثغور والوجهين البحرى والقبلى
لاعتقادنا التام بحسن صفات وغيره أعضاء مجلس النظر
الذين صار انتخابهم بمعرفة دولتكم بالحكومة المصرية .
واظهارا ل صداقتنا التامة ولخلوص نية الجيش نحن ضامنون
ومتكفلون بصدق وصحة التعهدات التي من مقتضاها تمام
الانقياد لأوامر دولتلو شريف باشا » اهـ

أما الثانى وعليه ١٦٠٠ توقيع فهو يتضمن طلب تأليف
المجلس النيابى وفقا للارادة الخديوية وهذه صورته :

« لما كان لا ينتظم نظام العالم ولا يقوم قوام الهيئة
الاجتماعية الا بالعدل والحرية حتى يكون كل انسان آمنا
على نفسه وماله حرا فى أفكاره وأعماله مما فيه سعادته
وحسن حاله . وهذا لا يتأتى الا بايجاد حكومة شورية

عادلة لا تشوبها شوائب الاستبداد ولا تتطرق اليها طوارق الفساد . اتخذت الممالك المتمدنة العادلة مجالس ملية من نبهاء أممها ينوبون عنها في حفظ حقوقها تجاه هيئة حكوماتها ويكون الوسطة الحقيقية في تنفيذ ما تصدره الحكومات من الأحكام العادلة . وعلى هذه القواعد ولاجل هذه المقاصد كان قد اتخذ لحكومتنا مجلس نواب في العهد السابق . وبما أن مقاصد خديونا المعظم جميعها خيرية ونياته سليمة فطلبنا لحفظ بلادنا من بوائق الدهر تجاسرنا بعرض هذا راجين من المراحم الداورية صدور الأوامر الكريمة بتشكيل مجلس نواب لامتنا المصرية يكون له ما لمجالس الأمم الأوربية المتمدنة من الحقوق الشرعية ازاء هيئة الحكومة . وبذلك تكون الحضرة الفخيمة الخديوية قد خولتنا نعمة لا تعادلها نعم وتصير حكومتها العادلة أنموذجا شريفا يبرهن على حسن نتائج العدل والجرية أمام العالم . واننا على يقين من قبول التماسنا هذا وفقا لارادة ولي النعم أدام الله اجلاله »

الجيش هو القوة المنفذة

وفي يوم الجمعة ٢٢ شوال سنة ١٢٩٨ توجهت مع بعض الضباط لمقابلة شريف باشا وتهنئته برياسة الوزراء بالنيابة عن الجيش فقلت له : « أعرض لدولتكم اننا جميعا واثقون بصداقتكم وخلوص طويتكم لمحبة الوطن وأهله وجازمون بأن الصفات التي تحليتم بها ستكون سببا في وقاية بلادنا واستتباب الراحة العمومية فيها . واننا لنعلم واجباتنا والفروض التي توجبها علينا وظائفنا العسكرية وأعظمها حفظ البلاد ومن فيها . ولذلك فاننا نعترف بأننا القوة المنفذة لما يصدر من الأوامر التي تكون ان شاء الله في خير البلاد وصلاح العباد . الا أن لنا حقوقا معلومة يمنحها لنا القانون فنرجو من الله سبحانه وتعالى أن يحسن

الينا بنوالها بمساعدتكم • ونسأله سبحانه أن يوفقنا جميعا لما فيه الخير والصلاح آمين » ثم أمن الحاضرون فرد علينا بقوله :

« في علمكم ما قال الاقدمون : آفة الرياسة ضعف السياسة • ولا حكومة الا بقوة ولا قوة الا بانقياد الجنود انقيادا تاما وامثالهم امثالا مطلقا

« كل حكومة عليها فرائض وواجبات من أهمها صيانة الوطن وحفظ الأمن العمومي فيه وهذا وذاك لا يتأتيان الا بطاعة رجال الجيش • فترددى أولا فى قبول الرياسة ما كان الا تجافيا عن تأسيس حكومة غير قوية تخبى بها الآمال ويزيد معها الاشكال فأكون عرضة للملامة بين اخوانى فى الوطن وبين الأجانب • وحيث أغاثتنا اللطاف الالهية وحصل عندى اليقين بانقيادكم ، فقد زال الاضطراب من القلوب ورتبت الهيئة الجديدة من رجال ذوى عفة واستقامة • فأوصيكم بملاحظة الدقة فى الضبط والربط لانهما من أخص شؤون العسكرية وأساس قواها • واعرفوا انكم مقلدون أشرف وظيفة وطنية فقوموا بأداء واجباتها الشريفة وعلى القيام بأداء كل ما يزيدكم فخرا وسوددا وفقنا الله وإياكم »

وفى ٢٨ شوال سنة ١٢٩٨ الموافق ٢٢ سبتمبر سنة ١٨٨١ قدم شريف باشا الى الخديو تقريرا بقوانين الاصلاحات العسكرية التى كانت من ضمن طلباتنا فى يوم حادثة عابدين المشهورة

الوفد العثماني

فى ٣ اكتوبر سنة ١٨٨١ ورد تلغراف من الآستانة ينبىء بأن جلالة السلطان عقد عزمه على ارسال وفد الى القطر المصرى من غير أن يشاور الوزراء فى الأمر • وأنه

عين على نظامى باشا رئيسا للوفد المذكور • وعلى فؤاد بك معتمدا ثانيا • وأحمد راتب باشا وصفر أفندى وهما من ياوران الحضرة السلطانية • وأنهم قد سافروا جميعا فى يوم ٢ أكتوبر قاصدين الاسكندرية • فوقع ذلك النبأ موقع الدهشة والاستغراب لدى جميع الدول الأوروبية • لأنه لم تسبقه مقدمات ولا مخابرات مع تلك الدول • وقد توجه كل من قنصل فرنسا الجنرال وقنصل انجلترا (السير مالت) الى الخديو وأخبراه بأنهما لا يعلمان شيئا عن أسباب قدوم الوفد العثمانى • وأكدوا له بأن الوفد المذكور لا يمكنه أن يعيث بشيء من حقوقه

وفى يوم الخميس ١٣ ذى القعدة سنة ١٢٩٨ وصل الوابور الهمايونى (طليعت) الى ميناء الاسكندرية فى منتصف الساعة السادسة مقلًا حضرة صاحب الدولة على نظامى باشا وحضرة صاحب العطفة على فؤاد بك وقدرى بك وصفر أفندى وسيف الله أفندى من ياوران الحضرة الشاهانية • فأطلقت مدافع السلام من وابور محمد على وطابية رأس التين • كما أديت التحية من بقية المراكب المصرية الراسية فى الميناء • وتوجه ذو الفقار باشا سر تشريفاتى خديوى ومعه المحافظ ومأمور الضبطية وفريق آليات الاسكندرية ووكيل البحرية الى الوابور (طليعت) وبلغوا حضرات القادمين سلام الخديو • ثم نزلوا الى البر وذهبوا الى سراى رأس التين للاستراحة من متاعب السفر وبعد أن ارتاحوا ركبوا الى محطة السكة الحديدية ، حيث شيعهم فيها حضرات الذين استقبلوهم من قبل • وكان فى انتظارهم قطار خاص أقلهم فى منتصف الساعة الرابعة بعد الظهر الى القاهرة فوصلوها فى الساعة الثامنة مساء • وكان فى استقبالهم فى محطة مصر سعادة طلعت باشا باشكاتب الديوان الخديوى وغيره من المأمورين • فبلغهم

طلعت باشا سلام الحديو ثم ركبوا الى قصر النزهة بجهة شبرا وكان قد أعد لنزولهم فيه مدة اقامتهم فى مصر

وفى الساعة الرابعة العربية من صبيحة يوم الجمعة توجهوا الى سراى الاسماعيلية لزيارة الجناب الحديو ، فقبلوا عند وصولهم بغاية التعظيم . وكان على سلم السلامك سعادة طلعت باشا وسعادة خيرى باشا والتشريفاتية وياوران الحضرة الحديوية . فساروا بهم الى حيث الجناب العالى الذى حياهم وأكرم مثواهم

وفى منتصف الساعة العاشرة ركب الحديو عربته وتوجه الى قصر النزهة ليرد لهم الزيارة ثم عاد الى سراى الاسماعيلية

زيارة على نظامى باشا للآلئ الثانى بقصر النيل

توجه على نظامى باشا المندوب السلطانى لزيارة الآلئ الثانى بقصر النيل ، فلما وصل اليه استقبله حكامدار الآلئ طلبه عصمت بك بعساكره حاملى السلاح . وبعد آداء التعظيم اللازم دخل ديوان الجهادية مع ناظرها محمود باشا سامى والاميرالائ طلبه بك عصمت ثم خاطب طلبه بك بقوله : « أخبر حضرات الضباط الكرام انى عسكرى دخلت العسكرية وتربيت فيها الى أن نلت الرتب السامية . فقد كنت قائد جيش عظيم ثم تفضل على مولانا وسيدنا السلطان الاعظم بترقيتى الى وظيفة سر ياورانه بمعنى انى نائب عن مقامه السامى فى تنفيذ أحكامه العالية . فانكم تعلمون أن الجندحامية الملك وعون الخليفة على تنفيذ أوامره . وقد قضيت فى العسكرية اثنين واربعين عاما وهذا هو الشرف الذى اعتر به فانه لا شرف للانسان الا خدمة الملة بنفسه وروحه . وبصفة كونى سر ياورا شاهانيا أخبر حضرتم أن مصر قلب الدولة العلية وهى بين أعين مولانا وسلطاننا المعظم نخشى عليها ما نخشاه على أنفسنا وديارنا

فانها من الاراضى السلطانية • والجناب الحديو العالى هو
نائب السلطان فالناظر اليه ناظر للسلطان »

فاجابه طلبه بك عصمت بقوله :

« أقدم لدولة السر ياور الأعظم احتراماً يليق بمقامه
السامى وأعرض على مسامحه ان الجيش المصرى الشاهانى
يعترف لمولانا وامامنا سلطان الملة الاسلاميه بالسلطة
والسيادة على مصر • وانى بالاصالة عن نفسى وبالنيابة عن
اخوانى الأمراء واخوتى العساكر المصرية أقدم لمولانا
السلطان الأعظم خضوعنا واعترافنا بسيادة جلالته ، كما
انى أعترف مع جميع اخوانى بحفظ ناموس مولانا الحديو
وامتيازاته السلطانية ونخضع له خضوع الأبناء لأبائهم
ونقر بسيادته علينا ونيابته عن المقام الشاهانى • وليس
بيننا وبين مقامه السامى ما يوجب اضطراباً أو يحدث قلقاً
أو يحرك ذكراً فى السياسة وغيرها • وانى أقدم لدولتكم
العلية هذا الخطاب ، وأنا معتقد بأنى أخطب وكيل الحضرة
السلطانية • وانا نشكر عنايتها وسعيها واجتهادها فى دفع
أفكار السياسيين عنا بما ألفناه من رحمتها وحنوها ورافتها
بنا »

فرد عليه على نظامى باشا بقوله :

« كذا تكون أمراء الجيوش • وانى قد سررت بما علمته
من حسن نيتكم وطهارة بواطنكم وحبكم للجناب الحديو
السامى • وقد تأكد عندى أن تظاهركم العسكرى لم يكن
لاضرار ولا افساد »

فقال طلبه بك :

« سيدى •• ان تظاهرنّا كان لحفظ البلاد ووقاية شرف
أميرنا ومولانا الحديو • ومع النوازل التى رأيناها قد أحاطت
بأوطاننا فاننا رأينا رئيس النظار السابق يبذل جهده فى
تقليل الجند وتبديده • فعلمنا أنه يريد بالبلاد شراً • اذ

لا يخفى على فطنة دولتكم أن الملك لا يحفظ الا بحامية الجند والجند ان لم يكن كافيا لحفظ الحدود ورد العدو كان كعدمه .
وبلادنا مع كثرة الأجانب فيها واحتياجها لحفظ الأمن ومراقبة الأعداء لا يقوم بحفظها الا قوة عظيمة من الجند .
وقد عارضنا في تقليل القوة العسكرية فاستبد علينا رئيس
النظار وأبى الا تنفيذ أغراضه . فضلا عن أننا رأينا يمشى
في غير طريق الوطنية ولا يفعل الا ما يشاء . وهذا ما يضر
بالوطن وصالح الدولة العلية ويمس شرف مولانا الحديو

« وقد كررنا طلب حقوقنا وحقوق الأمة ، فلم نجد غير
أذن صماء وعين عمياء ، فاضطررنا الخوف على بلادنا وأميرنا
للقيام بالجند ووقوفنا في ساحة عابدين . وقدمنا طلبنا
للجناب الحديو بوساطة أخينا الأكبر ونائبنا جميعا (أحمد
بك عرابي) . ففضل علينا بالإجابة وسلم الرئاسة
العظمى لصاحب الدولة والهمة العلية دولتلو محمد شريف
باشا وهو خير كفؤ لذلك . ونحن الآن راضون عن الهيئة
الحاضرة معترفون بسيادة مولانا السلطان الأعظم خاضعون
لأميرنا الحديو . ولم يبق عندنا شيء سوى خدمة الوطن
العزیز بحياتنا

« وكما أن الدولة العلية ترى مصر قلب الدولة فكذلك
نحن نرى الدولة محل سطوتنا ومركز آمالنا ودار الخلافة
الاسلامية . واننا نرجو أن تجتمع كلمة المسلمين في سائر
الاقطار وتتحد قلوب المؤمنين لتكون يدا واحدة في وقاية
دولتنا من جميع النوازل أعازها الله منها . ولا نشك في
أن اخواننا المسلمين يجدون في بث الاتحاد بينهم وجمع
الكلمة على تأييد ملكنا وسلطاننا المعظم خلد الله سلطانه »

ولما أتم كلامه وقف على نظامي باشا وصافح طلبه بك
ومن معه من الضباط وأثنى عليهم ثناء جميلا . ثم جلس
مع ناظر الجهادية محمود سامي باشا نحو نصف ساعة

وذهب بعد ذلك فزار شيخ الجامع الأزهر ونقيب الاشراف
والشيخ عlish شيخ السادة المالكية • وكانوا يباهون
جميعا بما فعلته الجهادية وما وصلت اليه الحالة بفضل
رجالها

وقد مكث رجال الوفد في مصر بضعة عشر يوما اقيمت
لهم في خلالها المآدب الفاخرة • أما الحديو فقد أكد لهم بأن
الجيش على طاعته ، وان ليس في مصر ما يوجب الاضطراب
وفي ١٨ اكتوبر سنة ١٨٨١ سافر الوفد الشاهاني الى
الاسكندرية مقتنعا بما رأى وسمع • وفي صباح اليوم
التالى أقلته البارجة (طليعت) الى الآستانة • وقد أطلقت
المدافع ايدانا بسفرهم واجلالا

سفر الآلاى السودانى الى دمياط وسفرى بالآلاى الرابع الى رأس الوادى

لما ورد من الآستانة تلغراف ٣ اكتوبر سنة ١٨٨١ المار
ذكره عام الجميع أن مجيء الوفد الشاهاني هو لتحقيق
التمردالعسكرى الذى أشاعته أوربا لتجعله وسيلة لتتدخل
في افساد ما تم من الاصلاحات في القطر المصرى • ولقد
هاجت الافكار واضطربت خواطر رجال الاستبداد وأوجس
الحديو من جراء ذلك شرا • فاتفق مع الوزارة الجديدة على
أن لا يسمح لرجال الوفد المذكور بمقابلتنا ، وأن يعترف
الحديو بأن لا تمرد ولا عصيان في الجيش ، وأن الجيش على
طاعته ولا موجب للاضطراب • وانه يلزم ارسال الآلاى
السودانى الى دمياط ، والآلاى الرابع حكمداريتى الى رأس
الوادى

هذا ما تم الاتفاق عليه بين الحديو والوزارة • وقد
أخبرنا ناظر الجهادية محمود سامى باشا بكل ذلك فوافقنا
عليه مبدئيا تطمينا للنفوس وتسكينا للقلوب ، ولكن على

شرط صدور أمر الحديو بانتخاب النواب قبل سفرنا
ثم نبهنا على عبد العال بك بالتأهب للسفر الى دمياط
وأن يأخذ معه موسيقى الآلاى الثانى البيادة

سفر الآلاى السودانى

سافر عبد العال بك حلمى بالآلاى السودانى الى محطة
السكة الحديدية مارا وسط المدينة . وكان قد سبقه اليها
معظم ضباط الجيش وضباط البوليس للقيام بواجب
التوديع . وكان عدد الحضور غير قابل للعد والاحصاء .
ولما وصل الآلاى المذكور الى المحطة أخذ عنانى بك من
أعيان القاهرة ينثر الورد والرياحين على رؤوس العساكر .
وقد سقى الناس شرابا سكرى فى ذلك اليوم اكراما
للجيش المنقذ للبلاد من هاوية الاستبداد . وكنت حينذاك
مع ناظر الجهادية محمود سامى باشا فى جملة المودعين

وتلا كل من محررى جريدتى الطائف والمفيد (السيد
عبد الله نديم والسيد حسن الشمسى) خطابا تضمن المدح
والثناء علينا وعلى هيئة الجيش

وهذا هو خطاب السيد عبد الله نديم :

« حماة البلاد وفرسانها

« من قرأ التواريخ وعلم ما توالى على مصر من الحوادث
والنوازل عرف مقدار ما وصلتم اليه من الشرف وما كتب
لكم فى صفحات التاريخ من الحسنات . فقد ارتقيتم ذروة
ما سبقكم اليها سابق ولا يلحقكم فى ادراكها لاحق الا وهى
حماية البلاد وحفظ العباد وكف يد الاستبداد عنهما .
فلکم الذكر الجميل والمجد المخلد يباهى بكم الحاضر من أهلنا
ويفاخر بماثرکم الآتى من أبنائنا . فقد حيى الوطن حياة
طيبة بعد أن بلغت الروح التراقى . فان الأمة جسد والجند

روحه ولا حياة للجسم بلا روح • وهذا وطنكم العزيز أصبح
يناديكم ويناجيكم ويقول :

اليكم يرد الأمر وهو عظيم فاني بكم طول الزمان رحيم
اذا لم تكونوا للخطوب وللردى فمن أين يأتي للديار نعيم
وان الفتى ان لم ينازل زمانه تأخر عنه صاحب وحميم
فردوا عنان الحيل نحو مخيم تقلبه بين البيوت نسيم
وشدوا له الأطراف من كل وجهه فمشدود أطراف الجهات قويم
اذا لم تكن سيفاً فكن أرض وطاة فليس لمغلول اليدين حريم
وان لم تكن للعائدين حماية فأنت ومخضوب البنان قسيم

« ولقد ذكرت باتحادكم وحسن تعاهدكم ما كان من رسول
الله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم عند تغيب سيدنا
عثمان في أهل مكة من مبايعة أهل الشجرة على حفظه
وصيانيته صلى الله عليه وسلم • فصاروا يعنونون بالعشرة
المبشرين بالجنة • وأنتم قد تعاهدتم على حفظ الاوطان وبقاء
سطوة مولانا الحديو وتأييد ملكه • وتبايعتم على الدفاع
ووقاية أهليكم من كل ما يذهب بالثروة أو يضعف القوة
أو يخدش الشرف فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به •
وذلك هو الفوز العظيم »

سفر الآلاى الرابع

وفى ٨ اكتوبر سنة ١٨٨١ تاهبت للسفر الى رأس
الوادى • وكان قد صدر الأمر العالى بانتخاب النواب قبل
ذلك بأربعة أيام • فمررت بالآلاى المذكور فى وسط مدينة
القاهرة المحروسة من باب النصر والموسيقى العسكرية
تعزف فى مقدمة الآلاى على حسب العادة الى أن بلغنا
مسجد سيدنا وولى نعمتنا الامام الحسين • فوقف الآلاى
مقابلاً للمسجد تعظيماً واجلالاً لسبط الرسول عليه الصلاة
والسلام • ثم دخلت الى المقام الحسينى مع بعض الضباط

وأمرنا بريق الآلاى على الضريح الشريف • وسألنا الله
جل شأنه أن يوفقنا لما فيه خير البلاد ونفع العباد • ثم
خرجنا وسرنا بالآلاى على الهيئة السالف ذكرها وكانت
الشوارع ممتلئة بالمودعين والمتفرجين الى أن بلغنا محطة
السكة الحديدية • وكان قد سبق اليها جميع ضباط الجيش
المصرى ورؤسائه وكثير من الذوات والتجار وعامة الناس
وبالجملة فان هذا الاحتفال كان فى ذلك اليوم مما لم يسبق
له مثيل فى مصر ، فقامت فى الحاضرين خطيبا قبل سفرنا
وقلت ما يأتى :

« سادتى واخوانى

« بكم ولكم قمنا وطلبنا حرية البلاد وقطعنا غرس
الاستبداد ولا ننثنى عن عزمنا حتى تحيا البلاد وأهلها •
وما قصدنا بسعيينا افسادا ولا تدميرا ، ولكن لما رأينا أننا
بتنا فى اذلال واسعباد ولا يتمتع فى بلادنا الا الغرباء •
حركتنا الغيرة والوطنية والحمية العربية الى حفظ البلاد
وتحريرها ، والمطالبة بحقوق الأمة • وقد ساعدتنا العناية
الالهية ومنحنا مولانا وأميرنا الحديو ما طلبناه من سقوط
وزارة المستبد علينا السائر بنا فى غير طريق الوطنية •
وتمتعنا بمجلس الشورى لتنظر الأمة فى شئوننا وتعرف
حقوقها كباقي الأمم المتقدمة فى العالم • ومن قرأ التواريخ
يعلم أن الدول الأوروبية ما حصلت على الحرية الا بالتهور
واراقة الدماء وهتك الأعراض وتدمير البلاد ونحن
اكتسبناها فى ساعة واحدة من غير أن نريق قطرة دم أو
نخيف قلبا أو نضيع حقاً أو نخدش شرفاً ، وما أوصلنا
الى هذه الدرجة القصوى الا الاتحاد والتضافر على حفظ
شرف البلاد • فالآن ننادى بصوت واحد « فليعيش الحديو
واهب الحرية • فليعيش الجيش المصرى طالب الحرية •
فلتعش الحرية فى مصر خالدة مؤبدة

« نحن الآن في نعمة جليلة وعزة جميلة • وقد فتحنا باب الحرية في الشرق ليقتردي بنا من يطلبها من اخواننا الشرقيين على شرط أن يلزم الهدوء والسكينة • ويحانب حدوث ما يكدر صفو الراحة • ولقد ألقينا مقاليدنا الى وزرائنا الكرام ورئيسهم الشهم الهمام شريف النفس عظيم القدر وبين أيديهم عقبات ومصاعب فلا نردهم ارتبنا كما يتخاذلنا • بل نلزم وحدة الاتحاد ونحافظ على البلاد ونسير معهم في طريق الإصلاح أينما ساروا • وانا قائمون الى رأس الوادي امثالاً لأمر رئيسنا الوطني الحر القائم بخدمة الوطن وأهله سعادة محمود باشا سامي ناظر جهاديتنا • ليعلم الجميع ان قيامنا كان لطلب الحقوق لا للعقوق • وان الطمأنينة عادت كما كانت وعدنا الى ما نشأنا عليه من طاعة مولانا الخديو وخضوعنا له ولوزرائه الفخام • فلا تأخذكم الأراجيف واشاعات أعداء الوطن وثقوا بسعي أميرنا ورجاله

« وأخص اخواني رجال الجيش بحفظ وحدة الاتحاد وعدم الاصغاء الى الوشاة والحساد • فانكم تعلمون أننا جاهدنا في هذا الأمر أعواماً طويلاً حتى ربطنا القلوب وألفنا النفوس • وبيننا من الأعداء من يسعى في تفريق كلمتنا واضرام نار الفتنة بيننا • فاردعوهم بلسان التقرير واحفظوا لنا ما عاهدناكم عليه • فالبلاد محتاجة اليها وأمانها عقبات يجب أن نقطعها بالحزم والثبات والا ضاعت مبادئنا ووقعنا في شرك الاستبداد بعد التخلص منه

« تعلمون أنكم كما قمتم وأنقذتم أمراءكم الثلاثة بل اخوانكم من السجن ، بل من القتل • كذلك قمنا لكم وبكم فانقذنا الوطن من الاستبداد ورفعناه الى عرش الحرية وما الفخر بالعظم الرميم وانما فخار الذي يبغى الفخار بنفسه » ونحن نفتخر بالآبناء • فقدفتح لنا الآباء الفتوح ونحن حفظناها • فاجعلوا عروة الاتحاد بينكم وثيقة • واني سائر

باخوانكم الى رأس الوادى فاستودعكم الله جميعا وأقبل أخى
على بك فهمى بالنيابة عن الجيش كله وأخى محمد أفندى
عبيد بالنيابة عن جميع المودعين من أمتنا الشريفة المحبوبة»
فقام السيد عبد الله نديم • وكان قد عاد من دمياط
فخطب الحاضرين بمعنى ما خطبت • وكان مصطفى بك
عنانى وبعض الأهالى ينثرون الزهور والرياحين على رؤوس
العساكر ويقدمون لهم الحلوى ويسقون الناس شرابا سكريا
لذيذا

ولما قرب وقت مسير القطار صحت مودعا جميع
المشيعين • ثم سار بنا القطار قاصدا مدينة الزقازيق
يصحبنا السيد عبد الله نديم

وكنا فى أثناء المسير كلما وقفنا فى محطة يستقبلنا
الأهالى بالفرح والسرور ومزيد الاحتفاء والاحلال ، فيخطب
السيد عبد الله نديم فيهم بمثل ما سلف ذكره • واستمرت
مظاهر الاحتفالات على هذا المنوال الى أن دخل القطار محطة
الزقازيق (مركز مديرية الشرقية) فاستقبلنا فيها جمهور
الأهالى والتجار يتقدمهم أمين بك الشمسى وهتفوا لنا
وللجيش بالدعاء وعلى وجوههم علامة الفرحة والسرور • ولما
وقف القطار نشروا على العساكر الورد والأزهار العطرية
وسقوهم الأشرية السكرية

ثم خرجت من القطار وسلمت على جموع المستقبليين •
وألقيت عليهم الخطاب الآتى :

« سادتى واخوانى

« أنا أخوكم فى الوطنية واسمى أحمد عرابى ولدت فى
بلدة (هرية رزنة) من بلاد الشرقية هذه • فمن عرفنى
منكم فقد عرفنى ومن لم يعرفنى فقد عرفته بنفسى •
وها أنذا واقف بين أيدي الأهلى والحلان • وقد بلغكم

ما تطلبناه من قطع عرق الاستبداد وتحرير البلاد وأهلها .
وبعناية الله سبحانه منحنا مولانا الحديو هذه الأمانة
فنحن لم نخرج من العاصمة عصيانا ولا تظاهرا بعدوان .
وانما سرت بالجيش ووقفت بين يدي الحديو وقفة الطالب
الراجي كرم مولاه . فلا تعولوا على الأراجيف واشاعات
أهل الفساد . واعلموا أن البلاد محتاجة الى الخدمة بالقوة
والفكر والعمل . أما القوة فنحن رجالها ولا ننثنى عن
عزمنا وفي الجسم نفس . وأما الفكر فهو منوط بأمرنا
الأعظم ووزرائه الكرام وهم لا يهنأ لهم عيش الا اذا طاب
لنا ولا يدركون الراحة الا بأمتنا . فهم يسهرون الليل
ويقضون النهار في سلوك السبل المؤدية الى حفظ الأمة
وسلامتها من العوارض . وأما العمل فهو منوط بكم فان
القوة والفكر يعطلان بفقد ثروة تربتنا الطيبة المباركة .
وقد طلبنا لكم مجلس الشورى لتكون الأمور منوطة بأهلها
والحقوق محفوظة لذويها . وهذه نعمة كبرى نشكر الله
عليها كما نشكره على نجاة الوطن وأهله من رق العبودية
واستنشاق نسيم الحرية . ونحمده على سلامة باطن أميرنا
المعظم وخديونا الأفخم أيده الله »

ثم قام بنا القطار قاصدا رأس الوادي . وبعد استقرارنا
فيه بيومين دعانا الفاضل أمين بك الشمسي رئيس تجار
الزقازيق الى وليمة شائقة اكراما لنا واحتفالا بنا وبضباطنا
ورجالنا . فألقيت على جماهير المودعين من أعيان المديرية
المذكورة خطابا هذا نصه :

« سادتي واخواني الأعزاء

« أحلى أسماعكم باسم مولانا وأمرنا الحديو الساعي في
عمران الوطن وقطع عروق الاستبداد منه . وأذكركم بمدة
حجبت عنا أنوار الحرية واستعبدتنا فيها الظلمة حتى
صرنا نتألم ولا يرحمنا أحد . وأصبحت أموالنا وأرزاقنا

معرضة للنهب والسلب تتخطفها أيدي المستبدين الذين
تمكنت القسوة من قلوبهم وألفوا الظلم وكرهوا العدل
والانصاف حتى كانت عاقبة أمرهم أن أصبح الناس في
قيد الفقر وذل الفاقة . والقطر معرضا للاخطار مهيا
لامتداد أيدي الطامعين اليه . فعز ذلك على اخوانكم وأولادكم
في الجهادية حماة البلاد . وتحركت فينا الحمية العربية
والغيرة الوطنية فتعاهدنا على حفظ البلاد ووقاية أميرنا من
كل سوء . وسرت بهذا الجيش ووقفت بساحة عابدين أمام
مولانا الحديو حفظه الله . وقد اشتدت شوكة جيش البغي
وقويت معارضته ، « هنالك ابتلى المؤمنون وزلزموا زلزالا
شديدا »

ثم قام صديقي الأعز الهمام صاحب الغيرة والعزم القوى
السيد عبد الله نديم بين الصفوف ينادى :

« وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما .
فان بغت احدهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغى حتى تفيء
الى أمر الله » ، فكان معي ثاني اثنين في حفظ قلوب الرجال
من الروع والارتجاف . وأخذ الكل يردد هذه الآية الكريمة
كانهم لم يسمعوها الا من فمه في تلك الساعة

ثم قام وألقى خطبة غراء كثر في أثنائها هتاف
الاستحسان من الحاضرين . وفي اليوم الثاني دعيت لوضع
أساس المدرسة الأميرية بالزقازيق، فتوجهت ووضعت حجر
الزاوية فيها باسم الحضرة الحديوية . وتلوت على الحاضرين
خطبة ذكرت لهم فيها فوائد التعليم ومنافعه . وفضل العالم
على الجاهل والبصير على الأعمى . وحرصتهم على الاهتمام
بأمر تعليم أولادهم ليكونوا مستعدين لخدمة بلادهم في
المستقبل

وفي ٢٠ اكتوبر أرسل الينا نوبار باشا مندوبا من طرفه
يدعى أحمد قبودان البكرى من موظفى بوغاز الاسكندرية،

ليشكرنا على انقاذ الوطن من ظلم الظالمين وجور المستبدين، ويعرض علينا أنه مستعد لأن يقود حركتنا الوطنية بصائب رأيه اذا دعوناه الى رئاسة الحكومة واعتمدنا عليه وسلمنا أمورنا اليه . فعجبنا لذلك وأجبناه بأن مبدأنا هو أن تكون « مصر للمصريين » . وللنزلاء عندنا حسن الضيافة ومزيد الاكرام . وانا لا نجهل الأدوار التي لعبها نوبار باشا في مسألة تغيير قواعد فرمان الوراثة الخديوية . وفي مسألة تأليف المجالس المختلطة في مصر ، تلك المجالس التي صرف عليها ١٢ مليوناً من الجنيهات من أموال المصريين المساكين على يده وبسعيه ، وكان هو أكبر مساعد للمستبدين وله الحظ الأوفر من تلك الغنائم

عودتي الى القاهرة

بلغ الحكومة من جواسيسها أنى أتجول في أنحاء مديرية الشرقية لبحث مبادئ وأفكارى فى نفوس عمد البلاد ومشايخ العربان ، حاضراً على وجوب مؤازرتى فى مشروعاتى الوطنية . وأن كثيراً من المظلومين يأتون لى شاكين من ظلم الظالمين . فأوجست خيفة من ذلك وقررت طلبى الى العاصمة فأجبت طلبها . ثم عرضت على وظيفة وكيل نظارة الجهادية ورتبة اللواء (باشا) فقبلت وكالة الجهادية مع بقاء الآلاى فى عهدتى ورفضت رتبة الباشا حتى لا أدنس سمعتى . وحتى لا يقال بأنى انما أشغل لمصلحتى الخصوصية لا للمصلحة العمومية

ولما استلمت منصبى الجديد كثر وفود المتظلمين على من أرجاء البلاد وأكنافها حتى كانت ساحة منزلى لا تسع الزائرين والمتظلمين وكان كثير من الأوربيين ومكاتبى الجرائد الافرنكية والوطنية يحضرون الى منزلى لاستطلاع سياستى . والوقوف على مكنونات أفكارى بحيث كنت فى

تعب دائم ليلا ونهارا • وفى تلك المدة حضر الى منزلى الرجل الكريم المتفانى فى حب الحق والعدل والحرية ، محب الشرقيين عموما والمصريين خصوصا (المستر ولفرن سكاون بلانت) • وكان معه صاحبه العلامة القس لويس الصابونجي (صاحب جرنال النحلة) وعرض على قبول صداقته لى فقبلت منه ذلك • فمد يده الى ومددت يدي اليه • وتصافحنا وتعاقدنا على الصداقة والاخلاص وكنت أظن أننا بواسطته وبفخامة مركزه فى قومه وشدة غيظه على الحرية ، نتمكن من تذليل الصعوبات التى يلقيها قناصل الانجليز هنا فى طريق حريتنا ونجاح بلادنا ، بدعوى الانسانية والعدل والانصاف بين الأمم والشعوب وهذا ما يدعى الغربيون زورا وتضليلا دائما وهى كلمات محبوبة يدسون بها السم فى الدسم ليتمكنوا بها من الاستيلاء على مشارق الأرض ومغاربها طمعا وجشعا

وكذلك حضر لزيارتنا كاتم أسرار ملكة الانجليز محب الحرية (السير وليم جريجورى) • الرجل الأيرلندى الذى كان قد تولى حكومة جزيرة سيلان مرتين اجابة لرغبة أهل تلك البلاد • وسألنا عن مقاصدنا فأكدنا له أن لا خوف على رعايا الدول المتحابة ، فهم آمنون على أنفسهم وأموالهم بضماننا وكفالتنا • وأنا لا نريد الا الحرية وقطع عروق الاستبداد • وقد تم لنا ذلك بتأليف مجلس نيابى، وبرضاء واستحسان الخديو • وقد التمسست من الخديو فى تلك المدة بواسطة ومساعدة ناظر الجهادية ورئيس النظار الافراج عن المسجونين ظلما فى مدة الاستبداد فأجيب التماسى • وكان من ضمن أولئك المسجونين أحمد بك أبو ستيت من مديرية سوهاج • والسيد حسن موسى العقاد من أعيان العاصمة • وكانا منفيين الى السودان ظلما وعدوانا • ولما قدم السيد حسن موسى العقاد أقام الافراج وأولم ولائم كثيرة لضباط

الجيش وأعيان العاصمة تعد من ليالى مصر المشهورة

وفى تلك المدة أيضا أنشئت جرائد وطنية صادقة منها
جريدة الحجاز ومحررها السيد ابراهيم سراج المدنى •
وجريدة المفيد ومحررها السيد حسن الشمسى • ولسان
الامة ومحررها السيد عبد الله نديم • وكان موضوعها
سياسيا تهديبيا للذب عن حقوق الامة

وفى أوائل شهر يناير سنة ١٨٨٢ خلوت بالمغفور له
محمود باشا سامى ناظر الجهادية فأطنب فى الثناء على
لقيامى بنشر راية الحرية فى مصر وملحقاتها من بعد مضى
خمسة آلاف سنة على المصريين وهم يرسفون فى قيود
الاستبداد • ثم أقسم أنه مستعد لأن يضحي حياته ويوجد
بآخر نقطة من دمه فى تنفيذ رغبتى • ويجرد حسامه
وينادى باسمى خديويا لمصر اذا رغبت فى ذلك

فقلت له : « مه يا محمود باشا • فانى لا أريد الا تحرير
بلادى ولا أرى سبيلا لنوالنا ذلك الا بالمحافظة على الخديو
كما صرحت بذلك مرارا وتكرارا • وليس بى طمع أصلا
فى الاستئثار بالمنافع الشخصية • ولا أريد انتقال الأريكة
الخديوية الى عائلة أخرى لما فى ذلك من الضرر ، مع علمى
بأنك تنتسب الى الملك الأشرف (سبرباى) • فقال : « أنا
لا أقول لك الا حقا ، وأنت أحق بهذا الأمر منى ومن غيرى »
فشكرته على ثقته بى وتم الحديث

مجلس النواب
طبعة

الأمر العالى بتأليف المجلس

رفع رئيس النظار شريف باشا فى ٤ اكتوبر سنة ١٨٨١ الموافق ١١ ذى القعدة سنة ١٢٩٨ الى الجنب الخديوى تقريراً بشأن انشاء مجلس نواب وانتخاب أعضائه . وذلك بناء على الطلب المقدم منا والمذيل باءضاءات ألف وستمئة مصرى لتأليف مجلس نيابى ، فصدر الأمر العالى الآتية صورته :
« نحن خديو مصر

» بناء على التقرير المرفوع الينا من رئيس مجلس نظار حكومتنا بتاريخ ١١ ذى القعدة سنة ١٢٩٨ الموافق ٤ اكتوبر سنة ١٨٨١ المرفوق صورته بأمرنا هذا . وبعد الاطلاع على لائحة مجلس شورى النواب الصادرة بتاريخ ٢١ رجب سنة ١٢٨٣ وبناء على موافقة رأى مجلس نظارنا تأمر بما هو آت :

المادة الأولى : يصير انتخاب النواب بالصفة والشروط الموضحة بتلك اللائحة ، وافتتاح مجلس الشورى يكون فى ١٥ كيهك سنة ١٥٩٨ غرة صفر سنة ١٢٩٩ اتباعاً للمادة ١٦ من اللائحة المذكورة

المادة الثانية : ناظر داخلية حكومتنا مكلف بتنفيذ أمرنا هذا

صدر بسرأى الجزيرة فى ١١ ذى القعدة سنة ١٢٩٨ الموافق ٤ اكتوبر سنة ١٨٨١

الامضاء : محمد توفيق

بأمر الحضرة الفخيمة الحديوية رئيس مجلس النظار
وناظر الداخلية

الامضاء : محمد شريف

ولقد صادف المشروع بعد صدور التقرير والأمر العالى
السابقين استحسنانا يجعل عن الحصر والوصف فى البلاد .
فلم يكن المرء يلقى الا وجوها طلبة وثغورا باسمه . وكان
أهم ما استوجب الاستحسان قول رئيس الوزراء : « ان
مشاورة أهل الرأى والسداد من وجوه البلاد فيما تحتاج
اليه من الاصلاح هو الوسيلة الوحيدة للحصول على الفائدة
المقصودة . وان هذا المأخذ مطابق لرأى عمد الأهالى بالنيابة
عن عمومهم » . وكان ذلك عند الأئمة دليلا على قرب الصلة
وارتفاع الحجاب بينها وبين الحكومة

أما اللائحة التى ورد عنها الكلام فى تقرير شريف باشا
وجاء فى شأنها : أن مجلس النواب سيجتمع بمقتضاها
ولكن هيئة النظار ستتحد معه فى البحث فيما يجب تعديله
وتنقيحه منها مع مراعاة حقوق الحضرة الحديوية وحالة
القطر ، فقد كان فى الكلام عنها فى ذلك التقرير موضعان
للاستحسان . الأول : تعديل اللائحة بمعنى تقريبها من
جانب الحرية بقدر تبعيدها من حد التقييد . والثانى :
مراعاة الحقوق الحديوية وحالة القطر بمعنى احترام تلك
الحقوق وحفظ المناسبة بين أحوال البلاد وأحكامها

ولما كان قد ورد فى التقرير المذكور أن الانتخاب الجديد
سيكون بمقتضى اللائحة الاساسية الصادرة عام ١٢٨٣ هـ .
وكان قد تقادم العهد على تلك اللائحة وعلى نظام مجلس
النواب المسنون فى ذلك العام ، فقد تاق الناس أثر صدور
الأمر الحديوى بتأليف المجلس النيابى الى الوقوف على ذلك
النظام ليعلموا منه مجرى الانتخاب ، وماهية مجلس النواب

فى دوره الاول . فنشرته جريدة المحروسة حينذاك . وكان فى اليقين أن الحضرة الخديوية توافق عليه بعد أن يرفع اليها وتضعه موضع الاجراء . على أنه بالنظر لما ورد فى تقرير الوزير بصراحة لا تحتمل التأويل ، أن المجلس الجديد وان جرى تأليفه بمقتضى اللائحة القديمة الا أنه سينظر فى أحكام تلك اللائحة ليعديلها من طريق توسيع الحقوق ومنح الحرية لنواب الأمة ، كان المجلس الجديد بهذا الاعتبار مجلس تنظيم وتشريع يضع لنفسه قانونا جلى الأحكام

انتخاب النواب

وفى ٤ اكتوبر سنة ١٨٨١ صدر منشور نظارة الداخلية الى جميع المديریات والمحافظات بانتخاب النواب وهذه صورته :

« انه اجابة لاستدعاء أهالى القطر وبناء على التماس مجلس النظار قد أصدرت الحضرة الخديوية أمرها السامى بتاريخ ١١ ذى القعدة سنة ١٢٩٨ الموافق ٤ اكتوبر سنة ١٨٨١ بافتتاح مجلس شورى النواب فى ١٥ كيهك سنة ١٥٩٨ وبتكليف ناظر الداخلية باتخاذ كافة الوسائل اللازمة ليكون انتخاب حضرات النواب على حسب النصوص والشروط المدونة فى لائحة مجلس شورى النواب . فعملا بالأمر المشار اليه السابق نشره مع صورة التقرير المقدم منا للاعتاب السنية قد عينا يوم ١٥ نوفمبر سنة ١٨٨١ لاجتماع المنتخبين (بكسر الحاء) أى الذين ينتخبون النواب . واجتماعهم يكون بالمديریات والمحافظات

« وليكن معلوما لحضرتكم أن الواجب عليكم انما هو تسهيل انتخاب النواب الموما اليهم . ومراعاة نصوص اللائحة بحيث يكون ذلك على حسب آراء أهالى القطر ورغبتهم . وبدون أن تتدخلوا فى الانتخاب لمساعدة أى

شخص كان . اذ أن المشايخ هم نائبو الأهالي ولهم دون
غيرهم أن ينتخبوا من يعتمدون عليه ويثقون به ليكون نائبا
عنهم بالمجلس المذكور . ١ هـ

وبعد أن صدر هذا المنشور توجهت الأنظار الى ماسيكون
من أمر الانتخاب لمجلس النواب . وأخذت النصائح تبذل
لأرباب الانتخاب بأن ينتخبوا نوابا يكونون وكلاء عنهم
في كل ما يقولون وما يفعلون . وينتقوا حكاما مصلحين
يضعون لبلادهم نظمات وقوانين تكون بعد التقرير مرعية
الاجراء . ويختاروا من يضرب عليهم الضرائب ويعدل لهم
الرسوم وينظر في أمر الودائع . ويعينوا من أنفسهم جماعة
تدل آثارهم على مكانتهم من المدنية ومقامهم في الوجود
السياسي . وأن ينظروا الى المنتخب من حيث ما يترتب على
انتخابه من الأثر في خير البلاد ، لا من حيث ما يرى منه
أول النظر . وغير ذلك من النصائح والارشادات . ثم شرع
عمد البلاد ومشايخها في انتخاب النواب على مقتضى القانون
وبذل الجهد في انجاز الأعمال الانتخابية

ومرت أيام الانتخاب بما كانت فيه من الأعمال
الانتخابية العظيمة، فكانت موضوعا للاهتمام والمذاكرة في
كل مجمع وطني . ولقد أشرنا بتعيين محمد سلطان باشا
رئيسا لمجلس النواب لما نعهد فيه من صحة الوطنية .
وبتعيين عبد الله باشا فكري رئيسا لمكتب المجلس مع بقائه
وكيلا لنظارة المعارف . وبتعيين أديب أفندي اسحق
(اللبناني) كاتباً ثانياً له مع بقائه ناظراً لقلم الانشاء
والترجمة . وكان مكان انعقاد المجلس في ديوان الاشغال

افتتاح مجلس النواب

لما تم انتخاب النواب في الوجهين القبلي والبحري عين
يوم الاثنين ٥ صفر سنة ١٢٩٩ و ٢٦ ديسمبر سنة ١٨٨١

لافتتاح هذا المجلس . ولم تطلع شمس ذلك اليوم حتى
ازدحم مكان الاجتماع بكثير من الناس ووقفت أورطة من
الآلاى الأول على جانبى الطريق من سلم القاعة الى الباب
تحت حكمدارية البطل المغوار محمد أفندى عبيد . وعند
حضور الجنب الحديوى صدحت الموسيقى بالسلام ونادى
الجند (أفندى مزجوق يشا) وبعد أن تبوأ مقعده تمثل بين
يديه محمد باشا سلطان رئيس المجلس وأبلغه استعداد
النواب لسماع مقاله الافتتاحى فقام على قدميه وقال :

« أبدى حضرات النواب مسروريتى من اجتماعهم لأجل
أن ينوبوا عن الأهالى فى الأمور العائدة عليهم بالنفع .
وفى علم الجميع انى من وقت ما استلمت زمام الحكومة
عزمت بنية خالصة على فتح مجلس النواب ولكن تأخر للآن
بسبب المشكلات التى كانت محيطة بالحكومة . فأما الآن
فنحمد الله تعالى على ما يسر لنا من دفع المشكلات المالية
بمساعدة الدول المتحابة ، ومن تخفيف أحمال الأهالى على قدر
الامكان فلم يبق مانع من المبادرة الى ما أنا متشوق لحصوله
وهو مجلس النواب الذى أنا فاتحه فى هذا اليوم باجتماعكم .
وأنتم تحيطون علما ان جل مقاصدى ومساعى حكومتى هو
راحة الأهالى ورفاهيتهم وانتظام أمورهم بتعميم العدالة
بينهم وتأمين سكان القطر على اختلاف أجناسهم . وهذا
منهجى واضح مستقيما وعليه سيرى منذ توليت أمركم
محبا للتربية ونشر العلوم والمعارف . فعلى المجلس
أن يكون مساعدا للحكومة فى هذه الأمور كلها خالصا
مخلصا فى خدمة الوطن منحصرة أفكاره ومذاكراته فى
المنافع العمومية مع مراعاة قرار لجنة التصفية وسائر تعهدات
الحكومة مع الدول . سالكا المسلك المعتدل والمنهج القويم
الذى هو أهم شئ فى هذا الوقت الذى هو عصر الترقى
والتمدن . فالواجب علينا الاعتدال والتأنى وحسن التبصر .

وأن نكون يدا واحدة فى اتمام الاعمال النافعة متوسلين
بعناية الله تعالى وامداد رسوله الكريم ومتمسكين بقوة
ارتباطنا بالحضرة الشاهانية والدولة العلية ادامها الله .
ونسأل الله النجاح انه ولى التوفيق « ١ هـ

شريف باشا فى المجلس

عكف مجلس الشورى بعد ذلك على الاهتمام بشؤونه
الداخلية ورتب أعلامه وانتخب رؤساءها . ثم توجهت
الانظار الى اللائحة الأساسية الجديدة التى عزم مجلس
النظار على ارسالها اليه ليضعها موضع النظر

وفى عصر يوم الاثنين الواقع فى ١١ صفر سنة ١٢٩٩
و ٢ يناير سنة ١٨٨٢ توجه محمد شريف باشا رئيس
مجلس النظار الى مجلس النواب لتقديم اللائحة الأساسية
التى أعدها له مع سائر النظار ، فقدمها وخطب فى ذلك
خطابا أثر فى أذهان النواب . وقد جاءت هذه اللائحة
مشملة على أحكام حرة وحدود مطلقة يكون بمقتضاها
للنواب حق النظر فى القوانين والمصروفات العمومية . وأن
لا ينفذ قانون ولا يعتبر نظام ما لم يقرر فى مجلسهم مع
تحويلهم الحرية التامة فى ابداء آرائهم وقراراتهم . وقد
تألفت لجنة من أعضاء المجلس للنظر فى اللائحة وانصرفت
آمال الناس الى أن هذه اللجنة تسارع الى النظر فيها ليتم
للمجلس فى وقت قصير تقريرها . ويؤخذ بعد ذلك فى
الاهتمام بالمصالح العمومية والمنافع الوطنية

وها نحن ننشر فقرات من الخطاب التاريخى الذى ألقاه
شريف باشا فى مجلس النواب :

« أيها السادة النواب

« انى لا أقدر أن أعبر لحضراتكم عن سرورى بالحضور

بينكم فى هذا اليوم الذى أعده مبدأ لعصر جديد ان شاء الله
يعود على القطر بالتقدم والنجاح

« حضراتكم تعلمون انه منذ ثلاث سنوات تراءى لى ان
الطريقة الوحيدة لخلاص البلاد من الورطات التى كانت
محيطه بها هى توسيع نطاق الشورى واشتراك رأى نواب
الاهالى مع الحكومة فى نظر كل أمر مهم تعود منه المنفعة
وكنتم قدتمت مشروعا لمجلس النواب الذى كان موجودا
وقتئذ ، وهو أجرى فيه تغييرات لم ييسر للحكومة النظر
فيها ، ثم طرأت حوادث سياسية ومالية ليست خافية عليكم
ترتب عليها تعويق اتمام المشروع والحمد لله قد زالت العوائق
وانى لأعد نفسى سعيدا حيث ان أفكارى فى هذا الخصوص
ما كانت الا نتيجة مقاصد الحضرة الحديوية ، وهذه الأفكار
قد طابق عليها عموم الاهالى ولهذا حصل انتخاب حضراتكم
 واجتمعتهم فلنهنىء القطر على ذلك ونهنىء أنفسنا وندع
للذات الشاهانية وللحضرة الحديوية ببقائهما مصدرا لكل
خير

« ولما كانت لائحة النواب التى اجتمعتهم على مقتضاها
لا تلائم أفكارنا جميعا كما أوضحت ذلك من منذ ثلاث
سنوات وكررتة بالمعروض الذى رفعتة أخيرا للسدة
الحديوية عن طلب اجتماع مجلسكم هذا فقد اشتغلت مع رفقائى
بتحضير لائحة موافقة لمقاصد العموم ، وقد تمت وها أنا
الآن أقدمها لحضراتكم للنظر فيها

« ومع كون هذه أول مرة اجتمع فيها مجلس نواب حر
كان يلزم ان السلطة التى تعطى له لا تكون مطلقة بالكلية
حتى يحكم المستقبل باطلاقها بالتدريج شيئا فشيئا لكن
حيث ان مقصدنا جميعا واحد وهو خير البلاد والحكومة
معتقدة بكفاءة النواب وعملهم بحقوقهم وواجباتهم ومحبتهم

للوطن فقد أعطت لكم الحرية التامة في ابداء آرائكم وحق المراقبة على أفعال مأموري الحكومة من أى درجة وأى صنف كانوا وتصرح لكم بنظر الموازين العمومية وابداء رأيكم فيها ونظر كافة القوانين واللوائح ، وقد التزمت الحكومة بعدم وضع أى ضريبة ولا نشر أى قانون أو لائحة ما لم يكن بتصديق وإقرار منكم وكذلك تعهدت بأن تجعل النظار مسئولين لديكم عن كل أمر يترتب عليه إخلال بحقوقهم والغاية ، فانه لم يحجز عليكم فى شىء ما ولم يخرج أمر مهم عن نظركم ومراقبتكم ٠٠٠ » (١)

وتوالى بعد ذلك انعقاد اللجنة المتشكلة للبحث فى اللائحة المذكورة وتعديل بعض أحكامها فقررت أكثر بنودها ثم وقع خلاف بين النواب والنظار فى شأن ما يتعلق بالميزانية من بنود هذه اللائحة ومضت على ذلك بضعة أيام تنوعت فى خلالها الآراء والأقوال حتى كان يوم الأربعاء الواقع فى ٢٧ صفر سنة ١٢٩٩ و ١٨ يناير سنة ١٨٨٢ تقدمت اللجنة اللائحة الأساسية لرئيس مجلس النظار على يد رئيس مجلس النواب فأمر باستنساخها وتوزيعها على النظار لتكون موضوع مذكراتهم فى الجلسة الآتية ، وكانت اللجنة قد حفظت العدد الكثير من بنودها وعدلت ما رأت لزوم تعديله

وبعد مذاكرة النظار فيها رأوا أن يعدلوا بنودها المتعلقة بالميزانية فأصر النواب على ألا يقبلوا البتة تعديلا فى لائحتهم الأساسية التى وضعتها لجنّتهم المؤلفة لذلك ، واشتد الخلاف بين مجلس النظار ومجلس النواب ، حتى أدى ذلك الى استقالة وزارة محمد شريف باشا

(١) ملاحظة : جاء بالمذكرات بيان واف بعد هذا الخطاب عن اللائحة الأساسية لمجلس النواب فى ذلك الحين ، وهى لا تختلف كثيرا عن لائحة مجلس النواب فى العهد الأخير

عبث انجلترا وفرنسا

فى خلال هذه الأحداث ورد على لسان البرق أن الدولتين انجلترا وفرنسا متفقتان على أن تبعثا الى الحكومة الحديوية كتابا تعلنان فيه انهما تساعدانها بالفعل اذا استمر الاضطراب فى القطر المصرى أو مس السلطة الحديوية شىء وقد تحقق ذلك فان وكيلى الدولتين السياسيين توجهوا الى سراى عابدين فى ١٩ صفر سنة ١٢٩٩ الموافق ١٠ يناير سنة ١٨٨٢ وقدا للخدو مذكرة مشتركة وردت اليهما بصفة خطاب من وزارة الخارجية الى القنصل الجنرال بمصر وهذه ترجمتها :

« حضرة القنصل الجنرال »

« كلفناكم غير مرة أن تخبروا الجناب الحديوى وحكومته عن رغبة حكومتى فرنسا وانجلترا فى مساعدته ومساعدة حكومته للتغلب على المصاعب المتنوعة التى تزيد الارتباك والقلق فى القطر المصرى ، فان الدولتين على وفاق وطيد واتحاد تام فيما يتعلق بمصر ، لا سيما بعد حدوث الحوادث الاخيرة أخصها صدور الامر الحديوى بجمع مجلس شورى النواب مما أوجب المخابرة بين الدولتين واعادة النظر فى شؤون اتفاقهما المذكور

« وبناء على ذلك نرجوكم أن تصرحوا الآن للجناب الحديوى ان حكومتى فرنسا وانجلترا تريان وجوب تأييد جنابه فى الحديوية وفقا للاحكام المقررة للفرمانات السلطانية التى قبلتها الدولتان قبولا رسميا ، باعتبار انها وحدها تكفل الآن وبعد الآن استمرار السلم والسكون ، وتوجب توسيع نطاق الثروة والعمارة فى البلاد المصرية مما فيه مصلحة الحكومتين المذكورتين المتفقتين على الاشتراك فى

السعى الى دفع كل ما من شأنه أن يحدث في مصر ارتباكاً أو يخل بنظوماتها وأحوالها ، سواء كان هذا الخلل وهذا الارتباك ناشئين عن أسباب خارجية أم داخلية

« ولا ريب عندنا ان هذا التصريح العلني المبين لمقاصد الحكومتين يمنع حدوث ما عساه أن يطرأ على حكومة الجنب الحديوى من الاخطار ، وان حدث فالحكومتان لا تترددان في دفعه ولا تحجمان عن صده

« وفي أمل الدولتين ان الجنب الحديوى يعرف كنه المعرفة ما في هذا التصريح ، فتحقق له الثقة والقوة اللتين لا بد له منهما لادارة أمور القطر المصرى »

فأثرت هذه المذكرة فى النفوس تأثيراً عظيماً واضطرب منها الجند وأعضاء مجلس النواب ومأمورو الحكومة ، وراهم منها أمور كثيرة وأيقنوا ان المراد منها مزيد التدخل وجعل البلاد تحت حماية انجلترا وفرنسا ثم توجه ناظر الجهادية محمود باشا سامى الى النظار وفاوضهم فى الأمر وأبلغهم انفعال الضباط والعساكر من هذه المذكرة . ثم سار واياهم الى الحديوى ، فبسطوا لديه الأمر والرأى والتمسوا المداركة بما يذهب الآثار التى نشأت عنها فاستقر الرأى على اشعار الباب العالى به

وقد اعترض الباب العالى على هذه المذكرة بمذكرة مثلها بعثت بها وزارة الخارجية العثمانية الى الدولتين المتفقتين على يد سفيرى الدولة العلية لديهما وهذه صورتها :

« يا حضرة السفير

« تعلمون ان قنصلى دولتى انجلترا وفرنسا الجنرالين قدما للجنب الحديوى المذكرة المتفق عليها بين الدولتين بناء على الافادات الواردة لهما من جانب دولتيهما ، وقد أثبت لنا هذا العمل بالنظر الى فرمان الذى أصدره الباب العالى

متعلقا بولاية مصر وبالنظر الى اجراءات الوفد العثماني
الملوكي الذي أرسل الى مصر من عهد قريب ان التأكيدات
التي كررت حكومة الباب العالي اصدارها لم ينظر اليها
بالعين التي تستحق أن ينظر اليها بها ، ومن أجل هذا
لا نتمالك من اخفاء سوء الأثر الذي حصل لنا من جراء
هذا العمل ونرى بعد ذلك من واجب الضرورة أن نصرح
للحكومة التي تنوبون عنا لديها ببعض ملاحظاتنا في
معارضة هذه المذكرة لتنظر فيها بعين العدل والانصاف

« ان الحكومة السلطانية موجهة عنايتها أبدا الى المحافظة
على الامتيازات الممنوحة لمصر حرصا على الراحة العمومية
وجلبا للسعادة والرفاهية في الولاية المذكورة ، وذلك جل
ما نرغب فيه ونرى فيه مصلحة لها . وفي ظننا انه يستحيل
إبداء أقل الأدلة على ما ينافي ذلك والاستشهاد بأى حادث
داخلي متعلق بمصر يكون داعيا لإصدار مثل تلك المذكرة

« بناء على ذلك لا نرى شيئا مما يقضى باستصواب
ما أجرته الدولتان من تقديم تلك المذكرة لسمو توفيق
باشا ، فضلا عن ذلك فان مصر جزء ملازم من ممالك الحضرة
السلطانية والسلطة المعطاة للخديو لحفظ الراحة العمومية
عند اللزوم والمحافظة على سعادة حال البلاد ولادارة القطر
على محور حسن وتأيد هذه السلطة هي من حقوق الباب
العالي وحده ومن اختصاصاته دون سواء فكان من اللازم
طبعاً عندما اتضح وجوب اجراء مثل هذه الاجراءات أن
يؤخذ بأدى بدء رأى الدولة المتبوعة وبواسطتها وحدها
ترسل التصريحات اللازمة وبواسطتها أيضا دون سواها
ينتظر الحصول على التأكيدات المأمولة

« ومما تقدم يعلم انه يحق لنا أن نرى مخابرة الدولتين
مع الخديو غير حقة ولا عادلة وقد صار الباب العالي مضطرا

أن يحاول الوقوف على الأسباب التي لجأت حكومة فرنسا
للاشتراك مع حكومة بريطانيا في مسألة مجحفة بحقوق
سلطته على مصر وقد أرسلت هذه الملاحظات الى سفارة
الباب العالي بلنדרه وسفارته بباريس

« والآن أفوض سعادتكم يا حضرة السفير أن تخابروا
في هذا المعنى حضرة وزير الخارجية وتشرحوا له الشرح
الذي ترونه موافقا في هذا الشأن وذلك لكي تظهروا لحضرتهم
شدة اضطرارنا الى الحصول على هذا التصريح الشافى الكافى
لأن يخرج الحكومة السلطانية من ضنك المقام الذى وجدت
فيه الآن أثر ما حدث بمصر

التوقيع : عاصم باشا »

تحسين حالة الموظفين

في ٢٤ ذى القعدة التمسنا من رئيس النظار شريف باشا
امعان النظر في تحسين حالة موظفى المصالح الملكية
ومستخداميها وترقيتهم ورفعهم أسوة برجال الجيش ، فرفع
الرئيس المشار اليه الى الحديو تقريراً جاء فيه :

« مولاي ٠٠ أعرض لسدتكم العلية انه قد تشكل بمقتضى
أمركم العالى الصادر بتاريخ ٢٠ ابريل سنة ١٨٨١ قومسيون
كلف بتحضير القوانين المتعلقة بتسوية حالة الضباط
الجهادية البرية والبحرية وترقيتهم فنظمها وعرضها لمقامكم
السامى فحقت بالقبول لديكم وفازت بالتصديق عليها
من فخامتكم

« هذا وحالة المستخدمين الملكية تستحق أيضا التفات
الحكومة اليها فانه ينبغى أن توضع قوانين بعد مطالعة
أحكامها وامعان النظر فيها بغاية الدقة ومزيد الاعتناء تتبين
فيها الشروط التى يلزم مراعاتها فى قبول المستخدمين من

أى رتبة كانوا بالمصالح الملكية وترقيهم ورفتهم ليكونوا
آمنين مما عسى أن يحصل فى أى وقت من الاجراءات
الاستبدادية التى يترتب عليها منع تقدمهم وتعويق ترقيتهم
فانها تلغى الحقوق المكتسبة بمزيد الشرف وتمازى الفخار .
وان الحكومة بواسطة تأييدها حالتهم يحق لها أن تعتمد
تمام الاعتماد على ما يأتون به من المساعدة والمعاونة فى أمر
ترتيب المصالح وتنظيمها الموجهة عنان اجتهادها نحوه الآن
» فلهذه الأوجه قد تراءى لمجلس نظار حكومتكم السنية
لزوم احوالة تحضير القوانين السابقة الذكر على عهد
قومسيون يتعين لهذا الشأن . . . »

وقد أصدر الحديو أمرا بتأليف لجنة لهذا الغرض كان من
أعضائها محمد زكى باشا ناظر المعارف ، ومحمد سلطان
باشا ، وبطرس باشا غالى ، وأحمد بك نشأت ، ويعقوب
بك أرتين

ولما وافق الحديو على سن قوانين عادلة تضمن حقوق
الموظفين الملكية وتسوية حالتهم ارتاحت الخواطر الى هذا
الترتيب وطابت به النفوس ولهجت الألسنة بذكر فوائد
القانون ، وقالت انه ما دام وافيا وكافلا لأن يعين للرؤساء
حدودهم ويبين للعمال حقوقهم ، ويكف يد المظالم عن جميع
الداخلين فى خدمة الحكومة كبارا وصغارا ، فلا خوف من
اختلال الاشغال وفساد الأعمال وانصراف النفوس الى
الشهوات واتباع الأغراض فان القانون بمنزلة أصبع يققا
عيون الرقباء ، ويد قوية تكره أهل العسف على عدم الخروج
من الدائرة التى خطت ويمنع صنيعه الأمير ومحسوب الخطير
من الدخول فى خدمة الحكومة ما لم تتوفر فيه اللياقة
المطلوبة والعفة المرغوبة

وانصرفت الأفكار كذلك الى لزوم تنظيم المحاكم الاهلية فتوجهت عناية الوزراء الى ترتيب مشروعاتها لما له من العلاقة باستقامة سائر الأمور ، ولأنه هو الموجب لثقة الأمة بالحكومة

ففى ١٧ نوفمبر سنة ١٨٨١ الموافق ٢٥ ذى الحجة سنة ١٢٩٨ صدر الأمر الحديوى بلائحة ترتيب المحاكم المذكورة

الفرية الكبرى

الوفد المصرى فى الآستانة

وفى أواسط شهر نوفمبر سنة ١٨٨١ أرسل ثابت باشا الى الآستانة مندوبا من قبل الحديو . وكان ذلك على أثر عودة الوفد العثمانى الى الآستانة وكانت مهمة ثابت باشا تفهيم رجال الدولة العلية بأن القصد من الحركة المصرية الوطنية هو انشاء خلافة عربية تضم تحت لوائها كل ناطق بالضاد ، فتشمل بلاد الحجاز واليمن والعراق ومصر والشام وطرابلس الغرب وغيرها . . سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم !

صندوق ادخار لضباط الجيش

وتقرر فى ديوان الجهادية (وزارة الحربية) انشاء صندوق ادخار للضباط جميعا على اختلاف رتبهم يجعل فيه من ماهياتهم ٥ فى المائة يشتري بمجموعها سندات مالية مصرية ثم تضم الفائدة الى الاصل فى عام ويشتري بالكل سندات ، وهكذا فى كل سنة ويبلغ ما يجتمع من ذلك فى العام ٢٥٠٠٠ جنيه ما عدا الفائدة . وقصد بذلك الشروع فى استهلاك الدين المصرى ، وكذلك أنشئ صندوق للادخار

فى الدائرة السنفة لمستخدمفها • وعمل لذلك قانون تم
تنظفمه فى ١٤ فنافر سنة ١٨٨٢ وجمع مصالح الحكومة
خذت خذو الجهادفة فى الادخار لمشترى سندات الدين
المصرى

الورق الموحد

وتقرر فى مجلس النظر فى أواخر شهر فنافر بناء على
ما رئى من هبوط أسعار الورق الموحد أن تغتم نظارة
المالفة هذه الفرصة وتشتى من أوراق الدين المذكور جانباً
للاستهلاك بقفمة ٤٠٠ ألف جنفة وصدرت الأوامر اللازمة
لذلك ، وعدل الربح الذى تناله المالفة من هذا الأمر بنحو
١٢٠ ألف جنفة • وكانت النقود متوافرة فى خزائن المالفة
فرئى أن يصفر استخدامفا فى ما فعود على الحكومة بالفائدة

الحزب الوطنى

نشرت جرفدة التفس كتاباً ادعت انه مرسل فلفها من
أحمد عرابى باشا وانه ففضمن برنامج الحزب الوطنى المصرى
ومطالبه وأمانفه ومساعفه الى غير ذلك ، ففناقلت بعض الجرائد
وشركات التلغراف خبر هذا الكتاب ، فكذبته جرفدة
الوقائع المصرفة ثم كذبه المستر « ولغرد بلنت » بقوله :
« ان اللائحة المشتملة على أفكار الحزب الوطنى الفف نشرتفا
جرفدة التفس لم ترسل فلفها من أحمد عرابى باشا بصفة
رسالة بقلمه وامضائه ، كما زعم تلغراف روتر والففس ،
بل باجتماعف معه ومع زملائه من رجال الجيش المصرى
وبعض علماء الأمة المصرفة • وقد رأفت أن أفكارهم لا تخرج
عن هذه اللائحة ، وبعد أن كتبتها عرضتها فلفهم فقالوا
هذه هى أفكار الحزب الوطنى بالجيش ، فلما وافقوا فلفها

أرسلتها الى جريدة التيمس باسمى وامضائى لا باسم
عرايى باشا »

وقد جاء فى هذه اللائحة : (١)

أولا : يرى الحزب الوطنى محافظته على العلاقات الودية
الحاصلة بين الحكومة المصرية والباب العالى واتخاذ ذاك الباب
ركنا يستند عليه فى أعماله ويعتقد أن جلالة السلطان عبد
الحميد مولاهم وخليفة الله فى أرضه وامام المسلمين، ولا يريد
قطع هذه الصلات والعلاقات ما دامت الدولة العلية فى
الوجود ، ثم يعترف باستحقاق الباب العالى لما يأخذه من
الخراج وما يلزمه من المساعدة العسكرية اذا طرأت عليه
حرب أجنبية وهذا بمقتضى القوانين والفرمانات الشاهانية
كما يعتقد هذا الحزب انه يحافظ على امتيازاته الوطنية
بكل ما فى وسعه ويقاوم من يحاول اخضاع مصر وجعلها
ولاية عثمانية

ثانيا : هذا الحزب يخضع للجناب الحديوى الحالى وهو
مصمم على تأييد سلطته ما دامت أحكامه جارية على قانون
العدل والشرعية حسب ما وعد به المصريين فى شهر سبتمبر
سنة ١٨٨١ وقد قرن هذا الخُصُوع بالعزم الأكيد على عدم
عودة الاستبداد والاحكام الظالمة التى أورثت مصر الذل ،
وبالاحاح على الحضرة الحديوية بتنفيذ ما وعدت به من الحكم
الشورى واطلاق عنان الحرية للمصريين ويطلبون منها
الاستقامة وحسن السلوك فى جميع الأمور وهم يساعدونه
قلبا وقالبا كما انهم يحذرونه من الاصغاء الى الذين يحسنون
اليه الاستبداد والاجحاف بحقوق الأمة

ثالثا : رجال هذا الحزب يعلمون ان استمرار المراقبة
الأوربية هى الكفالة العظمى لنجاح أعمالهم مع قبولهم تلك
الديون الأجنبية حرصا على شرف الأمة ، وان كانت تلك

(١) نشرنا مقتبسات مهمة من هذه اللائحة لطولها

الأموال لم تصرف في مصلحة مصر ، بل صرفت في مصلحة حاكم ظالم كان لا يسأل عما يفعل

ثم انهم يرون ان النظام الحالي لم يكن الا وقتيا والا فانهم يؤملون أن يستخلصوا ماليتهم من أيدي أرباب الديون شيئا فشيئا حتى يأتي يوم تكون مصر فيه بيد المصريين وهم لا يخفى عليهم شيء من الخلل الحاصل في المراقبة ومستعدون لاذاعته فانهم يعلمون ان كثيرا من المستخدمين في قلم المراقبة لا يقدرون على القيام بوظائفهم ولا يراعون حق الشرف والاستقامة

رابعا : رجال الحزب الوطني يبتعدون عن الاخلاط الذين شأنهم احداث القلاقل في البلاد ، اما لمصلحة شخصية تحسن بها أحوالهم أو خدمة للجانب الذين يسوءهم استقلال مصر وهؤلاء الاخلاط كثيرون في البلاد، والمصريون يعلمون ان الصمت على حقوقهم لا يخولهم الحرية في بلاد ألف حكمها الاستبداد ، وكره الحرية ، فان اسماعيل باشا لم يمكنه من الظلم والاستبداد الا سكوت المصريين ، وقد عرفوا الآن معنى الحرية الحقيقية في هذه السنين الأخيرة فعقدوا خناصرهم على توسيع نطاق التهذيب ورجوا أن يكون ذلك بوساطة مجلس الشورى (الذي انعقد حينذاك) وبوساطة حرية المطبوعات بطريقة ملائمة وتعميم التعليم ونمو المعارف بين أفراد الأمة

خامسا : الحزب الوطني حزب سياسي لا ديني فانه مؤلف من رجال مختلفي الاعتقاد والمذاهب ، ومن يحتر أرض مصر ويتكلم بلغتها منضم لهذا الحزب

سادسا : آمال هذا الحزب محصورة في اصلاح البلاد ماديا وأديبا ولا يكون ذلك الا بحفظ الشرائع والقوانين وتوسيع نطاق المعارف واطلاق الحرية السياسية التي يعتبرونها حياة للأمة

وزارة محمود سامي البارودي

سقوط وزارة شريف باشا

مر بنا الكلام على ما كان من تفاقم الخلاف بين مجلس النواب ومجلسي النظار فيما يتعلق ببسود الميزانية من اللائحة الاساسية وقلنا ان اشتداد هذا الخلاف كان سببا في استعفاء وزارة شريف ثم أرجأنا اتمام الكلام على سقوط هذه الوزارة الى أن نفرغ من ايراد أهم الأمور التي جرت في عهدهما مما جاء مثبتا في الفصل السابق فهاك الآن بقية البيان

يوم الثلاثاء الواقع في ١١ ربيع أول سنة ١٢٩٩ أعاد مجلس النظار اللائحة الأساسية بأفاده مآلها ان وكيل الدولتين فرنسا وانجلترا يريان أن لا حق لمجلس النواب في تقرير الميزانية ، ولكنهما مع ذلك يقبلان المخابرة في هذا الشأن بشرط أن يستقر الاتفاق بين النواب والحكومة على سائر بنود اللائحة

وبناء على ذلك طلبت الحكومة من النواب أن يصدقوا على اللائحة، كما عدلها مجلس النظار ، وأن يترك البند المتعلق بالميزانية ، وأن يبدى النواب رأيهم النهائي في أمر الميزانية لتجعله الحكومة أساسا للمخابرة مع الدولتين

فلما وصلت هذه الافادة مع اللائحة الى النواب اجتمعوا في منزل محمد سلطان باشا رئيس المجلس المذكور فقضوا عدة ساعات في التداول والتشاور وقرروا فيها عدم قبول افادة الحكومة المذكورة

وفي ١٢ ربيع أول سنة ١٢٩٩ عقدوا مجلسا غير عادي تقرر فيه احالة اللائحة والافادة المذكورتين الى اللجنة التي

كانت مكلفة بتنقيح اللائحة وأن يشترط على هذه اللجنة إعادة النظر فى اللائحة وتعديلها وتقديم الجواب على الافادة قبل ظهر يوم ١٣ منه فاستمرت اللجنة الى ما بعد الغروب تقرأ التغييرات وتطالع التعديلات التى أدخلها مجلسالنظار على اللائحة فصدقت على بعضها وأبت الموافقة على البعض الآخر

وفى صباح يوم الخميس عين النواب لجنة منهم مؤلفة من خمسة عشر عضوا لتتوجه الى الحديوى طالبة انفاذ ما قرروا واستعفاء الوزارة فمرت فى طريقها على منزل شريف باشا ، وطلبت منه جوابا نهائيا ، فأبى فذهبت الى الحديوى ، وسألته اما قبول اللائحة أو تغيير الوزارة ، فأمهلها الى صباح السبت وانصرفت

ثم ذهب شريف باشا وقنصلا الدولتين الى الحديوى وكان شريف باشا مصرا على موافقة رأى القنصلين المذكورين ، ولم يوافق على لائحة النواب ، فاستعفى فى الحال

وزارة محمود سامى

فاستدعى الحديوى لجنة النواب وكلفها أن تختار رئيسا للوزارة فامتنع أعضاؤها وقالوا ان هذا من حقوق الجنب الحديوى ، فألح عليهم كثيرا ، ولكنهم ثبتوا على الامتناع وانصرفوا

وفى صباح يوم الجمعة الموافق ١٤ ربيع الاول سنة ١٢٩٩ طلبهم الحديوى اليه وكلمهم مكررا عليهم تعيين من يختارونه لرئاسة النظار ، فلم يعدلوا عن المسلك الذى سلكوه بالأمس ، وأخيرا قالوا اننا نريد وزارة تنفذ لائحة النواب ، فعين محمود سامى باشا وأظهروا الرضاء والاستحسان فاستدعاه الحديوى اليه وقلده الرئاسة وكلفه أن يؤلف الوزارة فجاء منزله وعقد مجلسا مؤلفا من لجنة

النواب وجرت المذاكرة بينه وبينهم فوق الاختيار على الأشخاص الآتية أسماؤهم :

محمود سامى باشا : للرئاسة والداخلية - أحمد عرابى بك : للجهادية والبحرية - على صادق باشا : للمالية : مصطفى فهمى باشا : للخارجية - عبد الله باشا فكرى : للمعارف - سليمان باشا أباطه : للحقانية - حسن باشا الشريعة : للاوقاف - محمود فهمى بك : للاشغال

وقد أعلن ذلك للقناصل رسميا (١)

وقد اجتمع عقب ذلك ضباط الجيش فى سراى قصر النيل، وأظهروا الفرح والسرور بالوزارة الجديدة، وشكروا الخديو على ذلك ، وهنأوا محمود سامى باشا برئاسة النظار ، واطمأنت قلوبهم بتقليدنا وزارة الجهادية والبحرية ثم قام السيد عبدالله نديم وخطب خطبة فى ثمرة الاتحاد ونتيجة التحالف والتعاون والحرية المعتدلة وحب الوطن وكان لذلك احتفالات عظيمة . ووفد على الخديو وفد من أهل الاسكندرية فرفعوا اليه شكرهم وأعربوا عن سرورهم بما حدث من تأليف وزارة وطنية حرة ثم ورد من وجوه دمياط وأعيانها جميعا عريضة للخديو ومحضر لرئاسة النظار وآخر لرئيس النواب يظهرون فيها انهم ونوابهم يد واحدة وفكر واحد ويشكرون للخديو انفاذه لرأى النواب وقد استنابوا عنهم فى تقديم تلك المحاضر الشيخ أمين أبو يوسف ، وبعد أن استقر محمود باشا سامى فى منصب رئاسة النظار أرسل منشورا الى جميع المديرين والمحافظين فى الديار المصرية للسهر على الأمن والنظام وسياسة البلاد بالعدالة والمصلحة

وفى يوم الاثنين الواقع فى ٦ فبراير سنة ١٨٨٢ عقد

(١) بلى ذلك الخطابات الرسمية لتأليف الوزارة بين الخديو ورئيس الوزراء ، وهى موجودة فى مصادرها فلا حاجة لذكرها هنا

مجلس النظر جلسة دارت المذاكرة فيها على لائحة النواب
وفى يوم الثلاثاء ٧ منه وفد على مجلس النواب ناظر المعارف
وناظر الاوقاف وقدموا اللائحة كما استقر عليها رأى مجلس
النظر فقبلها النواب قبولا اجماعيا وصدر قرارهم بذلك
وفى يوم الأربعاء ٨ فبراير حضر رئيس النظر محمود
سامى باشا الى مجلس النواب ومعه اللائحة مقرررة فقبل
فيه بالتعظيم ، وسر النواب بنفوذ رأيهم فشكروا الوزارة
الجديدة على ذلك ثم وقف محمود سامى باشا وألقى خطابا
جامعا قبل بالموافقة والتأييد

فقام سلطان باشا رئيس المجلس وأجاب على خطاب
رئيس الوزراء سامى باشا فينب فوائد الاتحاد والائفة
والغيرة والهمة وشكر للوزارة تلبيتها لمجلس الأمة فى
تقرير لائحته الاساسية

وبعد ذلك انطلق النواب الى الحديو فشكروه على تشكيل
الوزارة التى لبت الأمة الى ما طلبت ثم آبوا الى رئاسة
النظر فشكروا أيضا للوزارة اهتمامها بأمر مجلسهم ثم
زاروا كل ناظر فى نظاره وبعد ذلك انصرفوا مستبشرين

وبعد التصديق على لائحة مجلس النواب أقيمت
الاحتفالات العديدة سرورا بالتصديق عليها فاحتفلت جمعية
المقاصد الخيرية احتفالا اجتمع فيه النظر والأمرء والعلماء
وضباط الجهادية وأعيان مصر وشبانها حتى ضاقت قاعة
الحفلة بالحضور فقام السيد عبد الله أفندى نديم وافتتح
الخطابة فاقتدى به كل من أديب أفندى اسحاق اللبناى
وابراهيم أفندى اللقانى ومصطفى أفندى ماهر (مصطفى
ماهر باشا) والشيخ محمد عبده والسيد حسن أفندى
الشمسى وفتح الله أفندى صبرى واستمرت الخطب تنلى فى
تلك الحفلة الى الساعة الثالثة بعد نصف الليل . وأقيمت
عدة حفلات أخرى فى مدن القطر

انصاف ضحايا الحرب

بعد أن أسند الى مسند نظارتى الجهادية والبحرية شرعت فى تنفيذ القوانين والاصلاحات العسكرية الجديدة التى صدر الأمر الحديوى باعتمادها واعتبارها قانونا فابتدىء بصرف استحقاق ورثة المتوفين فى الحروب وغيرها الذين لم يلتفت الى شكواهم من أمد بعيد تنفيذا لقانون المعاشات الجديد ، وبذلك فتحت بيوتا كثيرة بعد أن أخنى على أهلها الدهر ، ووقعوا فى الفقر المدقع والاحتياج الشديد

ولما كانت القوانين واللوائح المصرية حبرا على ورق لا حياة لها ، بل هى تموت بمجرد جفاف مدادها شأن الحكومات المستبدة فقد أصدرنا أمرنا بتأليف لجنة عسكرية من أعضائها قاسم بك فتحنى حكيمباشى الجهادية وغيره من الأطباء لفرز الضباط العاملين والمستودعين لمعاملتهم بحسب ما نص بقانون المعاشات فأتمت اللجنة عملها وقدمت كشفا لديوان الجهادية بشأن نحو ثلثمائة ضابط تجاوزوا السن المحدد لكل رتبة فى القانون المذكور ، وفيهم كثير من شيوخ الترك والجر كس فأحيلوا جميعا على المعاش

مؤامرة الضباط الجراكسة

فى ١٠ جمادى الأولى سنة ١٢٩٩ أخبرنى طلبه باشا عصمت حكمدار اللواء الأول بأن راشد أفندى أنور أخبره بأن بعض ضباط الجراكسة تحالفوا على اغتيال حياة ناظر الجهادية ورؤساء الضباط الوطنيين وجميع النظار ، ثم ذكر أسماء بعض المتآمرين ، وحيث ان راشد أفندى هذا ثقة فيما يرويه ، وانه مشهور بالصلاح والتقوى، عرضت الأمر على هيئة النظار ، ثم على الحديو ، فتقرر لزوم تحقيق هذه المؤامرة فى مجلس حربى

وبناء على ذلك تألف مجلس حربى من عشرين عضوا

منهم : مرعشلى باشا ومحمد رضا باشا وخورشيد طاهر
باشا تحت رئاسة الفريق راشد باشا حسنى الجركسى وقد
اخترته رئيسا لهذا المجلس لاعتداله ونزاهته وصلاحه
وتقواه ، حتى يكون التحقيق خاليا من الاغراض وتكون
الاحكام عادلة لا يشوبها شئ من الظلم

ثم شرع المجلس فى التحقيق بسؤال من علمت أسماؤهم
فدلوا على ١٨ ضابطا مشتركين معهم فى المؤامرة ، فأمر
المجلس بالقبض عليهم ، لاستنطاقهم ، وفى خلال القبض
عليهم وجد مع بعضهم آلات نارية غير الاسلحة الأميرية ،
وهؤلاء اعترفوا باشتراك غيرهم معهم فى تلك المكيدة ،
وعرفوا عنهم وفى جملة الذين عرفوا عنهم عثمان باشارفقى
الذى كان سببا فى كل هذا الشقاء ، ويوسف بك نجاتى،
ومحمود بك فؤاد

وفى ٢٠ من الشهر المذكور بلغ عدد الذين قبض عليهم
بارشاد بعضهم أربعين رجلا ونيغا وبسؤال يوسف بك
نجاتى وغيره اعترفوا بأن راتب باشا هو المؤسس لتلك
المؤامرة فى بيت أحمد أفندى راشد الملازم أول بحارة
الروزنامجة القديمة بحضور كل من محمود أفندى طلعت
الملازم ، ويوسف بك نجاتى أميرالاي سوارى ، ومحمد
أفندى نيازى وأمين أفندى شكرى ، وسليم أفندى شوقى
اليوزباشى ، وعمر أفندى رحمى معاون بضبطية مصر ،
ومحمد أفندى شفيق الملازم ، ومحمد أفندى فؤاد الملازم
بالمخالفات ، وأحمد أفندى فهيم الملازم ، و خليل أفندى
حسنى الملازم ، ورشوان أفندى نجيب الملازم أول ، وأحمد
أفندى وصفى الملازم بالمخالفات • وانهم تحالفوا على المصحف
الشريف وجعلوا مقصد الجمعية سرا لا يطلعون عليه الا صاغر
فى أول الأمر

ثم اجتمع محمود أفندى طلعت البكباشى (شقيق راتب

باشا) وأفهموا الاصاغر من الضباط الجركس انهم سيقدمون
 تقريراً الى الخديو يطلبون به بعض حقوق ليس الا وأخفوا
 عنهم المقصد الاعدامى ، وعلى هذا تناقلوا الكلام فيما بينهم
 حتى بلغت الجمعية مائة وخمسين رجلاً جمعت أسماؤهم
 بقائمة سلمت لاحمد أفندى راشد صاحب المنزل الذى
 تجتمع فيه الجمعية وهو الذى كان يختم عليها ، غير ان السر
 الحقيقى كان خفياً ، حتى توجه خليل أفندى حسنى من
 الاسكندرية الى العاصمة فجمع جملة من الضباط وقال لهم
 انى كنت عند على باشا شريف ، وقال لى اهتموا ونحن
 نساعدكم (كذا) ثم صاروا يجتمعون بمنزل عبد الله أفندى
 الكردى البكباشى ورجب أفندى ناشد البكباشى وقد انضم
 اليهم حسن أفندى حلمى الكردى البكباشى وعلى أفندى
 ناصف الصاغ المصرى وسليم أفندى صائب اليوزباشى
 المصرى الذى كان من ضمن التسعة عشر ضابطاً المتأمرين
 من ضباط الآلاى السودانى . وتكلموا فى تأسيس الجمعية
 وانتشارها ثم اتفقوا على اجتماعهم ليلة جمعة يعينون فيها
 رجب أفندى ناشد البكباشى الجركسى وحسن أفندى حلمى
 البكباشى الكردى وعبد الله الكردى البكباشى رؤساء منوطين
 يرأس كل واحد منهم خمسين رجلاً يحلفهم على انهم يكونون
 روحاً واحدة وجسداً واحداً ، اذا قتل أحدهم قاتل الجميع
 على دمه ، حتى يموتوا ، فاذا اتسع نطاق الجمعية ونجحت
 أعمالها، عينت الرؤساء من ذوى الرتب السامية مثل محمود
 بك طاهر ومحمد بك نجيب ومحمد بك شوقى ، وهكذا
 كلما عظمت ، فوضت الرئاسة الى عظيم من الذوات ، ثم
 قالوا ان على باشا شريف معضد لهذا الحزب ومؤيد له ،
 وتكلموا مع كثير من الضباط بهذا السر ثم اتفقوا جميعاً
 على الاجتماع فى مقام السيدة زينب رضى الله عنها ليتحالفوا
 هناك على اجراء أعمالهم واظهار السر الخفى ، وهو اعدام

من يعارضهم أو يوقف حركتهم ، خصوصا ناظر الجهادية (أحمد عرابي) اذا عارضهم في مقصدهم . ثم قالوا ان عبد الله أفندي الكردي عرضت عليه رئاسة الجمعية ، فقال ان قلبه يرتجف من هذا الاجتماع ، ويخشى أن يكون كاجتماع التسعة عشر ضابطا اذا كان واحدا منهم ، فأبى لذلك قبول الرئاسة الا اذا تمكنت الجمعية من انفاذ أغراضها وعظم شأنها ، فانه يمكن اذ ذاك أن يستحضر لهم قدر أربعمئة أو خمسمئة من الباشبوزق بواسطة حسين بك القره شولي ، وبعد ذلك تداولوا في أخبار بعض الذوات بمقصدهم ، ليكونوا معهم ، فتوجه عبد الله أفندي الكردي ، وبعد أن زار كثيرين في بيوتهم حضر وقال ان الذوات لم يستحسنوا هذا العمل ، ثم انفصل عن الجمعية وكادت تنحل عروتها لولا حضور رجب أفندي ناشد ، وحسن أفندي حلمي المذكورين ، وجمعهما أعضاء الجمعية ، الذين عقدوا الجلسة في منزل أحمد أفندي فهم حيث اتفق الجميع على انهم يأخذون من تكلموا معهم الى مقام السيدة زينب ليطلعوهم على السر الاعدامي ويتحالفوا على ابرازه

هذا ملخص ما ذكر عن اعتراف الجميع بالجلسة العلنية التي عقدت بحضورهم جميعا بعد أن سئل كل منهم على انفراده

ثم صدر حكم المجلس الحربي في ٣٠ ابريل سنة ١٨٨٢ على الضباط وعددهم ٤٠ ضابطا في جملتهم عثمان باشا رفقي بالنفي المؤبد الى أقاصى السودان مع التجريد من الرتب العسكرية والامتيازات ونياشين الافتخار على شرط أن يكونوا متفرقين في الجهات التي ينفون اليها ولا يجوز أن يكونوا في مركز الحكمدارية وصدر الحكم كذلك على اثنين من الملكية بالنفي على الصورة التي تقدم بيانها مع التجريد من الحقوق المدنية

وحكم على راتب باشا الذي عد محركا لهذه القضية بالتجريد من الرتب العسكرية والامتيازات والنياشين وعدم العود الى مصر واذا عاد فينفي على مقتضى الصورة السالفة

وقد اعتبر ان الخديو السابق (اسماعيل) هو الباعث على هذه الحركة مستعينا في بثها بالمرتبات التي تصرف له من خزينة الحكومة ، فلذلك تقرر أن يكون للخديو ومجلس النظار النظر في أمر قطع مرتباته أو تقليلها ثم رفع هذا الحكم لمجلس النظار ثم للخديو للتصديق عليه

وحيث أنى أرى تأليف القلوب خيرا من التفريق بين أعضاء الأمة والانتفاع بأولئك الضباط اذا ثابوا لعقولهم خيرا من فقدهم فى فيافى السودان المحرقة ، فقد توسلت لدى الخديو أن يبدل هذه الأحكام بأن يرسلوا الى الآستانة العلية ثم بعد مدة وجيزة يصدر عفو الخديو عنهم ، ويعودوا الى أولادهم ووطنهم الذى اتخذوه وطنا لهم ، فعجب الخديو والنظار لتلك الشفقة المتناهية، وصدر الأمر الخديوى بنفى المحكوم عليهم من القطر المصرى مع الترخيص لهم بالتوجه انى يشاءون برتبهم ونياشينهم ، فشكرت الخديو على قبول التماسى فى تلطيف الحكم عليهم ، ولم يذكر فى هذا الأمر شئ عن راتب الخديو السابق

وبناء على الأمر الخديوى صار ارسالهم جميعا الى الآستانة العلية برتبهم وامتيازاتهم ونياشينهم . وهناك شملتهم العناية السلطانية وأسكنتهم فى سراية ملوكية وأغدقت عليهم بالنعم الشاهانية والمرتبات الواسعة على نفقة الجيب السلطانى من وقت وصولهم الى أن صدر أمر الخديو بعودتهم الى مصر بعد تغلب الانجليز على المصريين

وبسبب هذه الحادثة حملت علينا الجرائد الانجليزية وخصوصا جريدة التيمس حملة منكرة ونسبت إلينا أننا

كنا نعذب اخواننا بلا رحمة ولا شفقة فأرسلت الى بلاد الانجليز رسالة عن يد صديقنا المستر بلانت لنشرها في بلادهم اظهارا للحقيقة وازهاقا للباطل وسميتها اباطلة الباطل عن وجه الحق المبين وهاك صورة الرسالة المذكورة محررة في جزيرة سيلان بتاريخ ٢٦ مايو سنة ١٨٨٤ :-

« قد بلغني من ائق بقوله ان احد مخبري الجرائد الانجليزية بمصر قد اعماه الذهب المصري ، واضله عن طريق الحق ، ولا ريب في أن الذهب المصري يعنى ويصم ، فبعد ان اقمم جيبه من الذهب الوهاج ، وافاض منه على أخيه وعائلته (بلوندر) اوعز الى أخيه بأن يؤلف من الاباطيل كتابا يكون موضوعه تحسين أعمال الخديوى وتقبيح أعمالنا الوطنية الحقّة ، وينشر ذلك الكتاب المفترى ، ليستر باباطيله وجه الحق عن بصائر نصراء الانسانية ، فالف أخوه كتابا وعنوانه بعنوان (الخديو والباشوات) ، ولم يجد من المفتريات شيئا يذكره أكبر من كونه ينسب لنا أننا كنا نعذب الجراكسة في مدة تحقيق قضية المؤامرة الجركسية بأنواع العذاب

« وبناء على ذلك رأيت من الواجب الضرورى أن أمزق ذلك الحجاب المظلم الذى كاد أن يكون مانعا بين نور الحق ونور البصائر ، فحررت رسالتي هذه رجاء عدم الاغترار بخزعبلات من لا حظ لهم في الانسانية وسميتها « اباطلة الباطل عن وجه الحق المبين »

الجراكسة

« الجراكس طائفة من الناس يعيشون بجمال القوقاز بآسيا بين بحر الحزر والبحر الاسود ، وهم موصوفون بالتوحش والحشونة ، وديانتهم الاسلام ، فهم يحكم الشرع اخوانا في الدين ، وبحكم الانسانية اخوانا في الانسانية . . والشرع الشريف الاسلامى يحرم بيعهم واسترقاقهم ، ويدخل في ذلك التحريم وطء نسائهم بطريق الاستعباد، لكن امراء المسلمين الذين تغلبوا على البلاد كانوا جهلاء بأحكام الشرع فاستهانوا بأحكامه ، ولزيادة ثروتهم ونفوذ كلمتهم اتبعوا الشهوات وتجراؤ على اباحة ما حرم الله تعالى ، وادتهم شراحتهم الحيوانية الى مشترى اولاد الجراكس ، وبناتهم ممن يسرقونهم من بلادهم . ولما كانت بنات الجراكس موصوفات بالجمال الفائق ورقة الطبع فقد وجدوا حظوة في عين أولئك الامراء الذين استحلوا عفتهم المحرمة عليهم شرعا بدعوى أنهم ملك ايمانهم . ثم بعد ذلك دعوهن سيدات أسلموا اليهن قيادة أنفسهم . وأما الذكور فقد اتخذوهم غلمانا أرقاء وعلموهم قليلا من القراءة والكتابة التركية والعربية فلما كبروا وشاخوا في خدمة الممتلكين لهم ادخلوهم في خدمة الحكومة بدون استعداد ولا معرفة ثم رفوهم الى الدرجات العالية والمناصب الرفيعة

بطريق الاحسان لا بطريق الاستحقاق ثم زوجههم بنساء من فتياتهم (الملوكات) واحسنوا عليهم بالسراريات الرجة العالية والاراضى الواسعة الخصبة ولا زالوا كذلك حتى تولوا اكبر وظائف الحكومة وصاروا ذوى ثروة عظيمة واشتروا الجوارى الحسن والفلان من بنى جنسهم الجركس وفعلوا بهم كفعل ساداتهم الاول بهم ، فما تسمع باسم وزير الا وتجدده مملوك الاصل وما ترى باشا او بك او رئيسا او مديرا الا وهو مملوك جركسى او رومى ، وما ترى قصورا مرفعة الا وهى للمماليك ، ولا ارضا خصبة واسعة الا وهى للمماليك . كل ذلك ليستعين اولئك الامراء المتغلبين بهم على قهر اهل البلاد الخاضعة لهم واذلالهم ، حتى يتمكنوا من سلب أموالهم ونزف ثروتهم . فلما علمت الجراكسة الذين بجبال قافقاسيا ان أبناءهم صاروا رؤساء تلك الممالك ، فرحوا بذلك واتوا بأولادهم وبناتهم يلتمسون بيعهم رجاء الانتفاع بهم اذا بلغوا الى مائتة من الثروة والنفوذ . وهذا امر مشاهد لا ينكره الا مكابر

« وعلى مقتضى ما ذكر يكون المماليك هم الاحرار المالكين ، بل المستعمرين لاهل البلاد ، واهل البلاد الذين يقال عنهم أنهم احرار هم العبيد الارقاء لاولئك المماليك ، فانعكست المراتب حتى صار يتخيل ان الخير شر وان الشر خير ، ولا حول ولا قوة الا بالله . ومن الغريب ان عقلاء الناس ونصراء الانسانية ينكرون بيع الفريق المتوحش من الانسان واسترقاقه ، ولا ينكرون استرقاق الاحرار للمتغلبين عليهم من الامراء والمماليك

امراء الحكومة المصرية

« امراء الحكومة المصرية هم عنوان تلك المنكرات ، وبجهلهم باحكام الشرع الشريف وميلهم للشهوات النفسانية وشدة طمعهم تأفقوا في سلب ما فى ايدى الناس ، واقتنوا المماليك وملكوهم زمام المصالح المصرية والسودانية ، وبهم استعبدوا اهل البلاد وسلبوا أموالهم ونزفوا مادة ثروتهم وقتلوا كثيرا من اعيانهم وخرّبوا كثيرا من بيوتهم حتى تحملت الخزينة المصرية من سوء ادارة اولئك الجهلاء الظالمين مائة مليون من الجنيهات الاسترلينية دينا للاروبيين واثنين وعشرين مليونا دينا للاهالى الوطنيين (المقابلة ١٧ والاسهم ٥ ملايين) . فما كان منها للاروبيين فهى مأخوذة به ومحاسبة عليه ، وما كان للوطنيين فقد ذهب هباء منثورا . يعلم ذلك كل من اطلع على قانون التصفية المصرى . فلما اشتد الخطب على الناس اخذوا يلتمسون لهم طريقة توصلهم الى الخلاص من ايدى اولئك الظالمين

وما زالت افكار نيهاء الامة تنبعث فى صدور العامة ، حتى تألفت القلوب وتوحدت كلمتهم الوطنية على خلاص انفسهم وبلادهم بتعديل القوانين لحفظ الارواح والاعراض والحقوق المدنية . وكنت انا القائد لتلك الامة

العظيمة في الافكار والاعمال فشرت بهم سيرة مرضية قصدت بها رفع
الامة المصرية من هاوية الدل والهوان الى اوج السعادة والرفاهية بدون
سفك قطرة دم مع المحافظة على مسند الخديو ومن بعض القوانين الجديدة
التي من احكامها وجوب المساواة بين العموم بدون مراعاة الجنسية ولا الفرق
بين المصري والتركي والجركسي بصرف النظر عن اختلاف المذاهب والنحل
الدينية . يشهد بذلك ما حصل من الترقى لبعض المستحقين من الاقباط
المصريين ، ومنهم من ترقى الى رتبة الباشا في تلك المدة واسمه بطرس باشا
غالي ، على ان الاقباط في مصر كانوا مهانين مثل المسلمين ولم يبلغ أحد
منهم رتبة الباشا الى ذلك التاريخ أصلا . وكذلك ما حصل من الترقى
للمستحقين من الترك والجركس وغيرهم بدون فرق ولا تفاوت . واحتجبت
في رد المظالم الى أهلها ونشر راية الحرية على اطلال الاقطار المصرية
والسودانية مع المحافظة على المعاهدات الدولية . وأتمت نفسى حافظا
عموميا لجميع الاجانب الاوربيين حتى يكونوا آمنين على ارواحهم وأموالهم
يشهد بذلك ما حررته لوكلاء الدول الاوربية وما تعهدت لهم به بحضور
الخديو ودرويش باشا المندوب العثماني (١) »

احمد عرابي المصري

٢٦ مايو ١٨٨٢

مؤامرة انجلترا وفرنسا

لما رأت دولة انجلترا نجاح الحزب الوطني في أعماله
وعلمت بتأليف وزارة وطنية حرة وان تلك الوزارة صادقت
على قانون مجلس النواب الأساسي ولائحة انتخاب أعضائه
وصدر الأمر الخديوي بالتصديق عليهما ، كبر عليها هذا
الأمر واستمالت اليها دولة فرنسا للاستعانة بها على اطفاء
نور الحرية وطمس آيات العدالة التي ظهرت في وادي النيل
الذي هو مطمح أنظار الدولتين المذكورتين منذ القدم

وبما ان الخديوي رمى بنفسه في أحضان الانجليز سرا
قبيل عزل اسماعيل باشا لأنه كان متخوفا من والده
واخوته ، وذلك بمقتضى عهد أخذ عليه مقتضاه أن يكون

(١) ذكر عرابي باشا في هذه الرسالة تفصيل المؤامرة الجركسية . وقد
سبق ذكرها . ولهذا آثرنا حذفها

لأنجلترا النفوذ الأول في الحكومة المصرية ، وإن الحديوي لا يخالف لها أمراً • وعلى الحكومة الانجليزية أن تحفظ حياته وبلاده من الداخل والخارج • أو عز إليه السير «مالت» قنصل جنرال إنجلترا أن يستنجد بالانجليز ليعيدوا له سلطته الاستبدادية ففعل

وحينذاك اتفق اللورد «جرانفيل» ناظر خارجية الانجليز مع الميسيو «جمبتا» ناظر خارجية فرنسا على أن فرنسا تطلب من الانجليز التداخل في المسألة المصرية بارسال أسطول مؤلف من سفن انجليزية وأفرنسية فطلبت ذلك ووافقت إنجلترا على طلب فرنسا المخدوعة بسياسة «جمبتا» الذي باع مركز فرنسا في مصر بثمن زهيد جداً مهما عظم وبناء على ذلك ورد من باريس ان الميسيو «دى فريسينييه» رئيس وزراء فرنسا اذ ذاك صرح في جواب ألقاه على سؤال ان فرنسا تود حفظ استقلال القطر المصرى على الصورة المؤيدة بالفرمانات العديدة بحيث لا يطرأ عليه أقل تغيير وإن اتحاد فرنسا وإنجلترا يؤيد هذا الاستقلال • ثم قال ان الحوادث ربما تستلزم اتفاق جميع الدول الأوروبية لتسوية المسائل المصرية ، ولكن بما أن الدول تعترف لفرنسا وإنجلترا بأفضلية المصالح في ذلك القطر فسيكون من الواجب عليهما أن يديرا سياستهما بحزم وثبات وعلى أثر ذلك شاع ان سياًتى الى الاسكندرية أسطول فرنساوى وآخر انجليزى وإن الباب العالى سيرسل الى مصر وفدا مؤلفاً من بعض رجال الدولة وإن الدول وفى مقدمتها الدولة العلية ستتدخل بالفعل فى أحوال مصر فأوجس الناس من هذه الأخبار خيفة ، وأيقنوا بقرب تعاضم المشاكل ودخول مصر فى طور جديد

ثم ورد تلغراف من باريس ينبئ ان الأسطول الفرنسوى الذى سافر من بيره على مقربة من جزيرة كريد سيجتمع

بالاسطول الانجليزى الاتى من كورفو ثم يسير الاثنان الى القطر المصرى ، فكان ذلك مثبتا للانباء السابقة ثم ورد تلغراف من الاستانة يعلن ان الباب العالى ارسل الى الدول منشورا يعترض فيه على ارسال الدوايع الاجنبية الى القطر المصرى استنادا الى أن الاحوال الجارية اذ ذاك فيه لا تدعو الى مثل هذا التدخل ، فضلا عن انه يجب أن يعهد فى ذلك الى الدولة العثمانية

وفى ١٥ مايو سنة ١٨٨٢ وفد السير ادوارد مالت والمسيو سنكوفيش قنصلا فرنسا وانجلترا على الحديو وأخبراه بصفة رسمية عن قدوم الاسطول وانه يصل الاسكندرية فى صباح ١٧ منه . ثم نشر السير مالت منشورا بعث به الى قناصل حكومته فى القطر المصرى يخبرهم فيه بما كان ويبين لهم السياسة التى يجب أن يتبعوها ويعلمهم ان وصول السفن ليس فيه ما يوجب تكدير العلائق ، فان قدومها انما هو بطريق المسالمة وبصفة ودية

وفى ١٩ مايو وفدت على ميناء الاسكندرية دارعة انجليزية . وفى ٢٠ منه دخلها دارعتان انجليزيتان وفى ٢١ منه دخلها سفينتان حربيتان ، وعلم فى ذلك اليوم ان كلا من الدول الاوربية (ما عدا انجلترا وفرنسا) سترسل سفينة أو اثنتين الى الميناء المصرية على غير اشتراك مع الاسطولين الفرنسى والانجليزى

سقوط وزارة محمود سامى

وبعد قدوم الاسطولين جاء قنصل فرنسا الجنرال منزل رئيس النظار وأعلن له طلب الدولتين فاستدعى الرئيس زملاءه النظار وتشاوروا فى الأمر وبعد المداولة اتفق رأيهم على أخذ رأى الحديوى فى هذا الحادث الجلل فتوجه اليه رئيس النظار محمود باشا سامى ونظر الخارجية مصطفى

باشا فهمي وأخبراه بما حدث ، فأجاب انه ينتظر في هذا الشأن تعليمات ترد اليه بعد يوم أو يومين ، وأخذت المخابرات بعد ذلك تجرى بين القنصلين والوزارة

وورد في جريدة التيمس حينذاك ان ارسال الدوارع الى مياه مصر لم يقصد به الا تعزيز الحديوى وتأييد سلطته ، فأول شيء يجب اجراؤه هو حمل عرابي باشا على التنحي عن الادارة والسياسة وقلب الوزارة ، واذا لم يكف ارسال الدوارع لبلوغ الغاية ترتب على ذلك استخدام القوة لاكرهه عرابي باشا وأعوانه على تنفيذ مطالب الدولتين . ويتم ذلك بارسال بعض الجنود الى القطر المصرى ومجانبة لمس استقلال مصر يجب أن تكون تلك الجنود جنودا عثمانية ، واذا تمرد المصريون عليها عدت مصر عاصية على الدولة ، فيترتب اذ ذاك على الدول أن تنظر في هذا الأمر وهو :

« الى أى حد يقضى بقاء استقلال السلطنة العثمانية على الدول الأوروبية بعدم التدخل فى المسألة المصرية بالنفوذ والقوة ؟ »

وقد تناقلت الجرائد هذا المقال وعلقت عليه بالشروح والملاحظات فكان له ولها وقع شديد التأثير فى النفوس . وفى خلال ذلك طلب الباب العالى من فرنسا وانجلترا أن تستردا أسطولييهما فأجابتا انهما لا تسترجعانهما الا بعد أن تعود الى مصر راحتها ويستقر فيها النظام

وفى ٢٥ مايو تقدمت الدولتان الانجليزية والفرنسية بالانذار الاخير للوزارة المصرية بطريقة رسمية ومضمون هذا الانذار طلب سقوط الوزارة وخروج عرابي باشا من القطر المصرى ، فتضمن له الدولتان حفظ رتبة ومرتبته ونياشينه واقامة عبد العال باشا حلمى وعلى باشا فهمي فى الأرياف بجهات لا يخرجان منها فتضمن الدولتان رتبتهما ونياشينهما ورواتبهما . وطلبت الدولتان تسريح صفوف

العساكر ، فلا يبقى منها الا القدر اللازم لحفظ الحدود
القبلية

فلما تلقى النظار هذا الانذار اجتمعوا في منزل رئيس
النظار محمود باشا سامى وقرروا بالاتحاد ان هذا الانذار
يعتبر تدخلا مغائرا للمحالفات الدولية والحقوق الوطنية ،
بل يعد اعتداء محضا ، اذ لا علاقة للدول الاجنبية معنا .
ومن الواجب رفضها . ثم رأوا عرض الامر على الحديو
لاخذ رأيه فتوجه اليه رئيس النظار وناظر الخارجية وعرضا
عليه قرار النظار برفض الانذار المذكور رفضا باتا ،
فاجابهما الحديو بأنه تقدم له نسخة من هذا الانذار
وقبله ، فعرضا عليه بأن هذا خلاف عظيم بين الوزارة
والحديو يستلزم استدعاء مجلس النواب للنظر في مصلحة
بلادهم ، وطلبا من الحديو صدور امره بجمع مجلس النواب
فأبى عليهما ذلك . ثم رجعا وأخبرا زملاءهما بما صمم
عليه الحديو ، فقرروا بالاجماع استدعاء مجلس النواب
أولا وعرض الخلاف عليه

وقد عقد مجلس النواب وعرض عليه هذا الخلاف ، ثم
قدم النظار استعفاهم في يوم ٢٦ مايو سنة ١٨٨٢
محتجين على انذار الدولتين فرنسا وانجلترا فقبل الحديو
استعفاهم بفرح وسرور !!

لا نرضى بغير عرابي

وبعد استعفاء الوزارة أصدر الحديو منشورا الى جميع
الجهات وهذه صورته :

« بما ان هيئة النظار الحاضرة استعفت وصار قبول
استغفائها ، فليكن معلوما ذلك لديكم لتصرفوا جهدكم
واقترادكم في المحافظة التامة منكم ومن مأموري المديرية
الموكلة لادارتهم وتلزموا الدقة والانتباه لحسن سير الاشغال

والمصالح المتعلقة بكم ، كما انه من حيث ان المراكب الحربية الأجنبية التي حضرت الى الاسكندرية لم يكن حضورها الا بوجه سلمى فقط . ولم يكن هناك شيء آخر خلاف ذلك فليس هناك لزوم لارسال أحد من عساكر الامدادية الذين صار طلبهم أخيرا بمعرفة الجهادية . بل ان الموجود منهم تحت الحضور من البلاد يتنبه بصرف النظر عن حضوره وعلان المراكز والاقسام بالتنبيه على مشايخ وعمد البلاد بهذا المضمون للعلم بعدم الاقتضاء لجمع عساكر ، وانتباه كل لاشغاله وزراعته بدون اشتغال في غير ذلك . هذا وان الأمور المهمة التي كان قد جرى العرض عنها لنظارة الداخلية يجب أن يعرض عنها من الآن لمعيّتنا الى أن تتشكل هيئة نظارة جديدة كما هو مطلوبنا

محمد توفيق «

وفى ٢٧ مايو سنة ١٨٨٢ عقد عند الحديو احتفال عظيم حضره النواب والأعيان والعلماء

وقد خاطب الحديو هذا الجمع العظيم بقوله :

« ان السياسة اقتضت استعفاء الوزارة وقبول انذار الدولتين فرنسا وانجلترا . واني حفظت لنفسى رئاسة الجهادية وادارة المصالح الادارية لحين تشكيل وزارة جديدة » وبعد خروجهم جاء للمعية تلغراف من ضباط أليات اسكندرية بأنهم لا يرضون البتة غير عرابى باشا ناظرا للجهادية ، وان مضت ١٢ ساعة ولم يرجع الى منصبه كانوا غير مسئولين عما يحدث مما لا يستحب وقوعه

حوادث الثورة

خضوع الخديو لانجلترا وفرنسا

انتهى بنا الكلام في الصفحات السابقة الى قبول الخديو توفيق اذار فرنسا وانجلترا العدائي ، واستعفاء الوزارة محتجة على قبول ذلك الاذار بعد رفضها له ، وبعد استدعائها لأعضاء مجلس النواب ، واستقلال الخديو بإدارة البلاد ورئاسة الجهادية ، ومعارضة طلبه باشا عصمت وكبار العلماء ومن حضر من مجلس النواب للخديو ، فلنأت الآن على سرد الحوادث التي أعقبت ذلك الخلاف :

ما طير البرق خبر استعفاء الوزارة واحتجاجها على قبول الخديو لانذار انجلترا وفرنسا حتى بلغ الاضطراب في جميع بلاد القطر مبلغا عظيما وأخذ القلق من النفوس مأخذا جسيما فكثرت اللفظ وزادت بواعث الخوف ثم حضر الى العاصمة جميع أعيان البلاد ومستخذي الحكومة وقدموا لنا مئات من العرائض بواسطة مديريهم محتجين فيها على عمل الخديوي هذا ومتطلبين أحد أمرين : اما رفض اللائحة المذكورة ، واما عزل الخديوي الذي قبل تداخل الاجانب في أحوال البلاد الداخلية

فلما أحس الخديو بذلك بعث الى الحضرة السلطانية بالتلغراف يخبرها أن الوزراء استعفوا محتجين على قبول لائحة الدولتين وأن الجند غير راض بما حصل. فورد تلغراف من الباب العالي حاصله ان الحضرة السلطانية أمرت بتأليف لجنة عثمانية تأتي الى مصر بعد ثلاثة ايام للنظر في الحالة

ولما تعاظم الخوف حضر لمنزلى جميع قناصل الدول ما عدا قنصلى انجلترا وفرنسا يطلبون منى التأمين على رعاياهم ، فأجبتهم بانى قد استعفيت ولا صفة لى تخولنى تحمل هذه المسؤولية العظيمة فقالوا ان الجيش لا يخالف ارادتك وانت رئيس الحركة الوطنية ، فلا نأمن على رعايانا وانفسنا الا باعطائك لنا كلمة شرف بحفظ رعايانا ، فلأجل طمانينتهم وتسكين روعهم ، كتبت تلغرافا الى جميع مراكز العسكرية بصفة انى رئيس الحزب الوطنى ، أرغب اليهم فيه ان يلازموا الهدوء والسكينة وان يحافظوا على راحة الجميع ، وخصوصا رعايا الدول الاجنبية ، وان يعاملوهم بحسن المعاملة وكمال المجاملة

المطالبة بعزل الخديو

وفى ليلة السبت ٢٧ مايو سنة ١٨٨٢ دعيت الى منزل محمد سلطان باشا رئيس مجلس النواب فذهبت اليه ومعى اخوانى على باشا فهمى وعبد العال باشا حلمى ومحمد عبيد بك وغيرهم من الضباط . فلما وصلنا الى المنزل المذكور وجدناه غاصا بأعضاء مجلس النواب ، ومعهم قاضى قضاة مصر الشيخ عبد الرحمن افندى نافذ والشيخ عبد الهادى الأبيارى امام المعية ، وتم الاتفاق على ملازمة الراحة والسكون ، وان يطلب من الخديو ان يرفض الانذار الثنائى ويأمر برجوعى الى نظارة الجهادية والبحرية ، او يعزل عزلا . وفى اثناء ذلك حضر بحديقة المنزل جماعة من الضباط والنبهاء من الملكية وغيرهم ، وصاحوا بقولهم : « اعزلوا الخديو الذى دعا الاجانب للتدخل فى امرنا وتهديدنا بأساطيلهم » ! ثم خرجت بمن معى من الضباط وتوجهنا الى منزل محمود باشا سامى فوجدنا كثيرا من الذوات هناك ينتظرون

ما عسى أن يحدث من مخبات الدهر ، فقابلنا عبد الله باشا
فكرى الذى كان أستاذا ومربيا للخديو فى صفه ، وقال لنا :
— هل قتلتموه ؟ !

فقلت له : « من تعنى ؟ » . فقال : « أعنى الخديو . . الم
يقتل ؟ » . فقلت له : « اننا لا نقتل أحدا بغير حكم شرعى ،
فلا يليق بك أن تتكلم بهذا الكلام » . ثم توجه كل منا الى
منزله

وفى صباح يوم السبت ٢٧ مايو سنة ١٨٨٢ حضر لى
رئيس مجلس النواب سلطان باشا وحسن باشا الشريعى
وسليمان باشا أباطة وسلمونى أمر الخديو القاضى برجوعى
الى نظارة الجهادية والبحرية ، وأخبرونى بأنهم لما وفدوا على
الخديو وجدوا جميع القناصل فى حضرته ما عدا قنصلى
فرنسا وانجلترا ، وانهم طلبوا من الخديو صدور أمره
برجوعى الى نظارة الجهادية والبحرية لأجل اطمئنان الجميع ،
فكان القناصل مع النواب على رأى واحد ، وحينذاك فرح
الضباط والجنود وجميع الوطنيين

وبعد ذلك توالى اجتماع قنصلى فرنسا وانجلترا
الجنرالين بالخديو ليلا ونهارا . ثم اتى اصدرت منشورا الى
قناصل الدول تكفلت لهم فيه بتأييد الأمن والراحة لجميع
سكان القطر المصرى ووطنيين واجانب مسلمين وغير مسلمين ،
وطلبت من الخديو لزوم جمع العساكر لاستكمال الاليات
على مقتضى القدر المقرر فى الفرماتات السلطانية ، فأجابنى
بالموافقة على ذلك وصدر أمر الجهادية بجمع عساكر الامدادية
نمرة ٢ ونمرة ٣ استعدادا لما عسى أن يطرأ من الحوادث

وقد جاء فى الأمر الخديوى الذى صدر برجوعى الى نظارة
الجهادية والبحرية ما يأتى :

« ولو انكم استعفيتم ضمن هيئة النظار التي استعفت
لكن مراعاة لحفظ الأمن والراحة استصوبنا بقاءكم في نظارة
الجهادية والبحرية ، واصدرنا امرنا هذا لكم لتعلموه وتبادروا
باجراء ما فيه انتظام احوال العسكرية الكافلة لحفظ الأمن
العمومي على الوجه المرغوب كما هو مقتضى ارادتنا »

تدخل انجلترا وفرنسا

وردت الى سفيرى فرنسا وانجلترا في الاستانة اوامر من
حكومتيهما بان يعرضا على الباب العالي أن يتدخل باسم
أوربا في القطر المصرى تداخلا غير مطلق بل معين الحدود
وأن يكون ابتداء هذا التدخل بارسال مأمور على سفينة
واحدة حربية يحض الضباط المصريين على امثال أمر
الخديو والخضوع لارادته ويصدق على تصرفه في أعماله

فاجتمع الوزراء في الاستانة ، وتذاكروا في تدخل الباب
العالي في القطر المصرى وقرروا انه اذا دعت الحاجة الى ذلك
فلا يكون التدخل الا بمقتضى سيادة الحضرة السلطانية على
القطر المصرى التى تعترف بها أوربا وليس على الوجه
المقيد كما عرض السفيران

وثبت أن فرنسا وانجلترا ارسلتا الى الباب العالي مذكرة
مشتركة تطلبان بها أن يؤمر عرابى باشا وسائر زعماء
الحزب العسكرى أمرا قطعيا بالذهاب الى الاستانة وعرضت
فرنسا أن يعقد مؤتمر في الاستانة يكون أساس أعماله تأييد
الحالة المقررة للقطر المصرى فوافقتها انجلترا على ذلك .
وطلبت المانيا وأوستريا والروسيا وإيطاليا من الباب العالي
أن يوافق على لائحة فرنسا وانجلترا . وبلغت حكومة
انجلترا الباب العالي أن ما تريده هو نشر العلم العثمانى في
القطر المصرى وارسال المعتمد السلطانى على مدرعة حربية

عثمانية . واثبت المسيو فريسينييه رئيس وزارة فرنسا في مجلس النواب الفرنسي أن لا شيء يدعو الى تدخل الجنود الفرنسية في القطر المصري لأن اتفاق الدول الأوربية وحده يتكفل بحل المشاكل المصرية على وجه سلمى بدون أن تنشأ المصاعب في مصر وأوضح المستر جلادستون رئيس وزراء انجلترا في مجلس العموم أن انجلترا ترى من الواجب عليها أن تؤيد الخديوى توفيق باشا في منصبه على حسب تعهدها له وتعهدة لها ، لما اظهره من أدلة الصداقة والاخلاص الجامعة اليها مظاهر الأمانة !..!

الوفد العثماني الثاني

في ٢ يونيو سنة ١٨٨٢ عين درويش باشا معتمدا عثمانيا ليأتى الى القطر المصري ويحقق تلك التهيولات الانجليزية الفرنسية فسافر من الاستانة ووصل ثغر الاسكندرية في سابع الشهر المذكور على السفينة الشاهانية (عز الدين) ومنها حضر الى العاصمة للنظر في الخلاف الواقع بين الخديو والأمة المصرية

وكان قد اكتمل في مياه الاسكندرية الى ذلك التاريخ عدد من السفن الحربية التي أرسلتها انجلترا وفرنسا وقدمت لها أيضا سفن أخرى مختلطة من سفن الدول لحماية رعاياهم وكانت مدينة الاسكندرية مكتظة بالناس من الواردين اليها من الأجانب والوطنيين ، فتعاظمت المخاوف وازداد ارتعاد الفرائص بحيث كان الناظر لا يرى الا وجوها علتها صفرة الخوف وقلوبا واجفة تملكها الرعب

طمع الانجليز في وادى النيل

ولما رأينا كثرة تردد السير مالت قنصل انجلترا الجنرال

على الخديو ليلا ونهارا واستسلام الخديو بما يوحى به
اليه علمنا أن انجلترا طامحة للاستيلاء على وادى النيل
الخصيب عملا بقاعدة التوازن الدولى لتضارع بعملها هذا
عمل فرنسا فى استيلائها على ولاية تونس الخضراء ، كتبنا
بذلك للحضرة السلطانية وحيث لم يكن لنا واسطة فى الاستانة
تبلغ عنا مقاصدنا للسدة الشاهانية اتخذنا الشهم المقدم
على راغب قبودان أحد شبان البحرية المصرية رسولا وكلفناه
بإبلاغ عريضتنا الى الحضرة السلطانية بواسطة الشيخ محمد
ظافر شيخ السادة الشاذلية وشيخ الحضرة السلطانية
فصدع بالأمر وأوصل الرسالة الى الشيخ المذكور . وكذلك
بلغ أحمد راتب باشا ما أوصيناه به بعد عودته من مأموريته
الحجازية الى دار السعادة

فكتب لنا الشيخ ظافر بما صدر به النطق الشريف وكذلك
فعل أحمد راتب باشا وكان الحامل لهذين الخطابين السيد
أحمد أسعد أفندى وكيل الفراشة النبوية عن الحضرة
السلطانية الذى حضر أخيرا بمعية درويش باشا

الانجليز يوقدون الفتنة

لما كبر على الانجليز نجاح المصريين فى أعمالهم الوطنية
أرادوا أن يشوهوا أعمالنا فى نظر أوربا فأخذوا يفكرون فى
أحداث أمر يوجب التدخل الاجنبى بالقوة الحربية فدعا
المستر كوكسن قنصل انجلترا فى الاسكندرية جميع قناصل
الدول وأظهر لهم أن المصريين فى هياج شديد من وجود
الاساطيل الحربية فى الثغر ويخشى من هجوم الرعاع على
الأوربيين وأخذهم على غرة ، وأن الحزم يقضى عليهم بالمداولة
فيما يجب اتخاذه من التدابير والوسائل الآيلة الى حفظ
أرواحهم ووقاية أموالهم ففقدوا لذلك عدة اجتماعات
وأخيرا قرروا باجماع الراى أن يحشدوا عددا عظيما من

الافرنج وأن يهيئوا له الأسلحة اللازمة ويجعلوه قائما على قدم الاستعداد لدفع الشر عند حدوثه واستشاروا في ذلك أميرى الأسطولين الفرنسى والانجليزى ، فوافقاهم على ذلك ثم ورد الى دار القنصلية الانجليزية كمية وافرة من الأسلحة والجبه خان ، وعلمت الضابطة بذلك فهاجت الأفكار وتوجس الناس شرا

ثم كتب قناصل الاسكندرية الى القناصل الجنرالية بمصر بما عزم الأوربيون عليه وانفذوا اليهم (بودنكى) قنصل أسوج ونروج الجنرال معتمدا من قبلهم ليعقدوا معهم مخابرة فى هذا الشأن . فلم يفز عملهم هذا بالرضى والاستصواب ولم يحز قبولا بل أنكره عليهم أكثر القناصل الجنرالية كما استدل على ذلك من تلغراف بعث به المستر مالت وكيل انجلترا السياسى فى القاهرة الى المستر كوكسن قنصلها بالاسكندرية

وما زال الاجانب يتأهبون ويستعدون لايقاد نار الفتنة والناس فى هرج ومرج وخوف شديد من حادث يطرأ حتى كان اليوم الحادى عشر من شهر يونيو سنة ١٨٨٢

مذبحة الاسكندرية

كانت النكبة مهياة على نحو ما ذكرنا . وحدث ان رجلا مالطيا من رعية الحكومة الانجليزية ركب حمارا ونزل بجهة قسم اللبان وترك صاحب الحمار من غير أن يوفيه أجره فتعلق به الحمار وطلب حقه فطعنه المالطى بسكين والقاه صريعا يتخبط فى دمه ، ثم دخل الى منزل هناك ، فاجتمع كثير من الحمارة يريدون ضبط القاتل ، فأطلق عليهم الرصاص من منافذ البيت الذى لجأ اليه ، ثم جاء مالطى آخر وأراد تفريق الحاضرين بضربهم بالعصى فضربوه ، والقوه على الارض صريعا . ثم تكاثر رعاع الأوربيين ، وضربوا الوطنيين

بمسدساتهم ولما كان الوطنيون عزلا من السلاح دافعوا عن أنفسهم بالعصى ، وكان فيهم الحمارة والحمالون واجتمع عليهم العرب والسودانيون والصعايدة فكثرت الفوغاء واشتد اللجب وعلت الضوضاء وسلت الخناجر وأطلق الرصاص واختلط الوطنيون بالأوربيين ، ولما كثر القتل في الوطنييين انهالوا على الأوربيين من كل جهة وصوب يضربونهم بالعصى والنبايت حتى قتلوا منهم نحو مائة نفس وكذلك قتل من الوطنييين بالسلاح نحو هذا العدد . وامتدت الفتنة الى الشارع المعروف بشارع السبع بنات وشارع المحمودية وغيرهما من شوارع المدينة

وكان اكثر الأوربيين متفرقين في جهات الرمل قصد التنزه واستنشاق النسيم اللطيف هربا من حر المدينة ولم يكن في المدينة منهم الا رعا القوم من المالطيين وغيرهم المهيأون لايقاد نار الفتنة بمعرفة السير مالت والمستر كوكسن من جهة ، والخديوى وعمر باشا لطفى محافظ الثغر من جهة أخرى بدليل تلغرافات الجفرة المتبادلة بين الخديوى وعمر لطفى في ذلك اليوم كما ثبت ذلك لدى اللورد شرشهيل حين طلب من مجلس البرلمان الانجليزى محاكمة الخديوى ومعاقبته على ذلك - وبدليل تأخر المحافظ عمر لطفى ومأمور الضبطية السيد بك قنديل عن تدارك اطفاء تلك الفتنة حتى تاججت نيرانها

وقد تمارض مأمور الضبطية المذكور ، وادعى انه حدث له شلل في ذراعه الايسر ولزم فراشه ليتخلص من المسؤولية وليرضى عمر لطفى والخديوى بعدم اجراء ما يلزم اتخاذه من التحركات لمنع حدوث تلك الفتنة قبل انتشارها

وفي الساعة الخامسة بلغ خبر تلك الحادثة اسماعيل باشا كامل قومندان الايات الاسكندرية ، فأسرع بارسال الألاى الخامس والألاى السادس الى ساحة المنشية وهو في مقدمتهم ،

ثم وزع البلوكات في جميع شوارع الشفر وأمرهم بتفريق
الجموع وعند ذلك حضر المحافظ عمر لطفى ووكيل الضبطية
حسن صادق وساعدا قومندان الاليات في تعيين النقط
والمراكز التى يلزم حفظها بالعساكر

وعند غروب الشمس هدأت الفتنة وسكن الاضطراب
وتوجه كل من الثائرين الى محله . وانقضى الليل ولم يحدث
فيه شئ يذكر غير أن الخوف كان ملء القلوب

ولما بلغت مصر اخبار تلك الحادثة اضطرب لها اهل
العاصمة ونزلت على اسماعهم نزول الصاعقة ، فبادرنا
بارسال وكيل الجهادية يعقوب باشا سامى ومعه الاالاى
البيادة الثانى بأمره خليل بك كامل والاالاى الرابع بأمره عيد
بك محمد وبطاريتين طوبجية والاالاى سوارى حكمدارية احمد
بك عبد الغفار ليلا الى الاسكندرية تحت قيادة طلبة باشا
عصمت وأمرنا وكيل الجهادية باعادة الامن الى نصابه
باشترাকে مع المحافظ في ذلك

وعلى اثر ذلك تألفت لجنة لتحقيق هذه الحادثة من وكيل
نظارة الجهادية يعقوب باشا سامى وبطرس باشا غالى وياور
الجناب الخديوى وياور درويش باشا ومندوب قناصل الدول
الاجنبية تحت رئاسة محافظ الاسكندرية عمر باشا لطفى
فالتأمت بالاسكندرية وشرعت في اعمالها وقررت في الحال
التدابير التى تعود بها الطمانينة وتعم السكينة . ولكن القلق
كان قد استولى على قلوب الجميع وصار سكان المدينة في
اضطراب مستمر حتى بات الناس لا يعلمون اى الاخبار
صحيح وايها مكذوب . وفي جملة ما تناقلته الرواة يومئذ
أن الأوربيين يتأهبون للهجوم على المسلمين وانهم يعدون
العدد والسلاح فاجتمع رؤساء الجند بالاسكندرية ، وقرروا
أن يخبروا قناصل الدول بما راوه ملطفا للهياج فكتبوا اليهم
بما يأتى :

« اذا لم يعن القناصل جميعا بتسكين الهياج وابعاد أسباب الاضطراب والتنبيه على رعاياهم بعدم اجراء ما يوجب حصول المكاره فلا يكون من السهل تأييد الراحة العمومية والمحافظة على النظام والامن في البلاد »

ولما وصل هذا القرار الى قناصل الدول تشاوروا في الامر ثم اتفقوا على نشر الاعلان الآتى تعريبه :

« يا ابناء جلدتنا الاعزاء

« وقع امس بالاسكندرية وقائع مهمة ولكن الجهادية المصرية اعادت الراحة وتعهد رؤساؤها بالمحافظة عليها ، ونحن بهم واثقون فضلا عن كوننا متوافقين مع المأمورين الملكيين والجهاديين على ما يجب اجراؤه من التدابير اللازمة المؤدية الى وقاية الراحة العمومية وصيانتها - فنتقدم اليكم أن تساعدونا بحكمتمكم على القيام بهذا الواجب العمومي فلا تتقلدوا أسلحة نارية ، والزموا منازلكم ما استطعتم واجتنبوا أسباب المشاجرات والمنازعات

وحرصا على المصلحة العمومية قد حصل التوافق بين جميع القناصل الموقعين على ذيل هذا الاعلان - على أن يكون لقواصة القنصليات جميعا من اية تابعة كانوا الاختصاصات المعروفة للبوليس ، وسائر رجال الشرطة فنكلفكم أن تمتثلوا لهم

« كتب بالاسكندرية في ١٢ يونيو سنة ١٨٨٢ » التوقيعات

سفر الخديو للاصطياف

وفي يوم الثلاثاء ١٣ يونيو سنة ١٨٨٢ بارح الخديو مصر متوجها الى الاسكندرية للاصطياف فيها على حسب العادة وقد ركبت على يساره من سراي الاسماعيلية الى محطة مصر . وفي الساعة الثانية بعد الظهر وصل الخديو الى الاسكندرية

وفي حال وصول الخديو الى الاسكندرية زاره قناصل الدول ما عدا قنصلى فرنسا وانجلترا الجنرالين فانهما بقيا في مصر خلافا لسائر القناصل ، فأبدى الخديو أسفه

الشديد على ما حدث بالاسكندرية ووعدهم ان يصرف عنايته بالا تحدث في المستقبل حادثة مثلها وخاطبهم أيضا درويش باشا بمثل هذا الكلام وزاد عليه قوله انه يثق وثوقا تاما بحسن نية الجهادية ورجالها ونبالة مقاصدهم وانه على يقين من انهم يحافظون على الراحة العمومية ما استطاعوا الى المحافظة والوقاية سبيلا

دسائس الخديو توفيق

وكانت الأفكار قد هدأت والقلوب اطمأنت بفضل سهر العسكرية على اعادة الأمن والراحة في أرجاء الاسكندرية غير ان الخديوى أسر الى السير اوكلان كولفن المراقب العمومى الانجليزى انه غير واثق باستمرار الأمن والراحة وانه يعتبر مهمة درويش باشا كأنها قد انتهت ولم تفلح ، وانه لا يرى بدا من وجوب مجيء جنود « انجليزية » لاعادة الراحة والطمانينة لا جنود عثمانية كما ذكر في تاريخ مصر « للنقاش » لانه لا يصح ان يطلب جنودا عثمانية من عامل انجليزى مثل كولفن . وما شاع هذا التصريح الصادر من الخديوى حتى اشتد قلق الناس وعظم خوفهم وعلموا من بعض قناصل الدول الكبيرة ان الخطر قريب قائم عند الأبواب وانه لا بد من حدوث وقائع تنخلع لها القلوب الثابتة فزاد الخوف وكثر عدد المهاجرين النازحين . ثم كتب بعض القناصل كتابات رسمية يحضون بها رعاياهم على المهجرة

ولما شاعت هذه الأخبار وعرف الناس انها صادرة من وكلاء الدول السياسيين ايقنوا انه لا بد من وقوع أمر هائل وحدوث شيء مهم فركن الاجانب الى الفرار مسارعين ينزحون من كل جهة وصوب ، ثم تجدد القال والقليل واستؤنف اشتداد الخوف في مصر واسكندرية وسائر مدن

القطر المصري وضافت قطرات السكك الحديدية عن
المسافرين والمهاجرين

ولما رأينا ذلك نشرنا منشورا في يوم الخميس الموافق ١٥
يونيو سنة ١٨٨٢ الصق في شوارع العاصمة والاسكندرية
والمحافظات والمديريات قصد استمالة الخواطر الى الهدوء
والسكينة والاعتقاد باستتباب الراحة وهذا نص المنشور
المذكور حرفيا :-

« ناظر الجهادية احمد باشا عرابي يعلن كل سكان القطر المصري من
المصريين والاوربيين رسميا ان الحضرة الخديوية الفخيمة كفلت الامن
والراحة في جميع جهات القطر امام حضرات قناصل الدول المتحابة وتكفل
ناظر الجهادية أيضا بصيانة الارواح والاموال وحفظ سكان البلاد على
اختلاف طبقاتهم ومعتقداتهم وتابعيتهم وقد انتقل الجناب الخديوى الى
اسكندرية بعائلته لدفع الاوهام من الافكار واطمئنان القلوب . وبقي ناظر
الجهادية بمصر لمراقبة الاحوال وصيانة البلد وكتب لامراء العسكرية في
سائر الجهات ببث الراحة والسهر على حفظ الامن وصيانة النفوس . وعلى
هذا فديوان الجهادية يعلن الجميع بهذا حفظا للافكار من الاراجيف والاشاعات
الكاذبة »

ووفد من مصر الى الاسكندرية اكثر قناصل الدول كما
سبق بيانه وبقي السير مالت وكيل انجلترا والمسيو
سنكوفتش وكيل فرنسا في العاصمة حتى ورد الى الاول
منهما تلفراف من لندرة يأمره بالمجيء الى الثغر وان يرافق
الخديو اينما ذهب وحيثما توجه ، فأتى الى الاسكندرية
صادعا بأمر حكومته وتبعه أيضا المسيو سنكوفتش قنصل
فرنسا الجنرال

وزارة راغب باشا

وفي ذلك الوقت بدت علائم الشقاق بين الدول الأوربية ،
فانحازت دولة المانيا وأوستريا وإيطاليا وروسيا الى الباب
العالي وانفردت الدولتان الغربيتان (فرنسا وانجلترا) في
سياستهما ثم حصل بعض الفتور في صلات هاتين الدولتين

حتى توهم الناس ان انجلترا ستنفرد وحدها في المسألة المصرية وتكون سائر الدول الباقيات معارضات لها . وايد هذا الوهم ما كان في تلك الأنباء من تدخل قنصلى ألمانيا وأوستريا بمساعدة درويش باشا وسعبهما لدى الخديوى في تأليف وزارة جديدة يكون عرابى باشا من أعضائها ويبقى فيها ناظرا للجهادية والبحرية ونصحهما له بأن حال البلاد لا تصلح والقتال لا تحسم والطمانينة لا تحصل الا بتأليف وزارة على الصفة التى تقدم ذكرها والحال عليه بذلك

وأذن الخديو واستدعى شريف باشا ثم مصطفى باشا ثم غيرهما وكلف كلا منهم بتأليف الوزارة فأبوا جميعا لما علموه من مقاصد الحكومة الانجليزية ، ثم استدعى اسماعيل راغب باشا ، وكلفه تأليف وزارة تحت رئاسته وأن يكون ناظرا للخارجية ايضا

وفى ١٦ يونيو سنة ١٨٨٢ صدر أمر الخديو بذلك وتم تأليفها فى ٢٠ يونيه على هذه الصورة :

اسماعيل راغب باشا	ناظر الخارجية ورئيس النظار
احمد رشيد باشا	» الداخلية
عبد الرحمن بك رشيد	» المالية
احمد عرابى باشا	» الجهادية والبحرية
على ابراهيم باشا	» الحقانية
سليمان أباطة باشا	» المعارف
محمود الفلكى باشا	» الأشغال
حسن الشريعى باشا	» الأوقاف

وفى ٢١ من الشهر السالف المذكور شرعت الوزارة الجديدة فى الأشغال ثم عقدت جلستها ونظمت لائحتها وفيها بيان المنهج الذى يجب أن تسير على مقتضاه وقد عنيت

بإعادة الأمن الى نصابه بين المصريين والأجانب
 وفي ٢٢ يونيو سنة ١٨٨٢ كتب راغب باشا رئيس
 الوزارة الى قناصل الدول ينبئهم ببرنامج الوزارة الذي
 رفعه الى الخديوى بتاريخ ٢ شعبان سنة ١٢٩٩ الموافق
 ١٨ يونيو سنة ١٨٨٢ فأجابوا كلهم (ما عدا وكيلى فرنسا
 وانجلترا) على كتابه بما أوضحوا فيه أنهم راضون عما كان
 مسرورون بانحسام المشاكل وانهم قائمون على قدم
 الاستعداد لمساعدة الوزارة الجديدة على تذليل المصاعب
 وحسم الفتن وإزالة العراقيل السياسية والادارية الى غير
 ذلك مما دل على رضائهم ورضاء دولهم عن تشكيل الوزارة
 على تلك الهيئة . . وأما وكيلى فرنسا وانجلترا فقد أجابا
 بما توجبه عليهما الاصطلاحات الرسمية فى مثل هذه الحال
 كأنهما قالوا فى جوابهما للوزارة وصلنا كتابكم واحطنا علما
 بما فيه

مؤتمر الدول بالاستانة

عقدت الدول مؤتمرها فى الاستانة فى ٢٤ يونيو سنة
 ١٨٨٢ من غير أن يكون للدولة العلية معتمد فيه . وفى
 جلسته الاولى وقع المعتمدون على البروتوكول الآتى تعريبه :
 « ان الحكومات التى وقع وكلاؤها بالنيابة عنها على ذيل
 هذا البروتوكول ، تتعهد أنها لا تعضد البتة أغتنام أرض ما ،
 ولا الحصول على امتياز ما ، ولا أن يكون لرعاياها من
 الامتيازات المتجرية ما لا يستطيع ان يناله غيرهم من رعايا
 أى الدول فى مصر . وذلك فى أية مسألة حصل التوافق
 عليها بسعيها واشتراكها فى المخابرات لتنظيم أمور تلك
 البلاد »

الروسيا	فرنسا	أوستريا	المانيا	انجلترا
أونو	دى نوايل	كايس	هرشفلا	دوفرين

وبعد التوقيع على هذا البروتوكول أخذ المؤتمر يتداولون في المسألة وقد ذكر في الكتاب الأزرق صورة رسالة تليفرافية بعث بها اللورد دوفرين سفير إنجلترا بالاستانة الى اللورد غرنفيل وزير خارجيتها يشتمل على بيان ماجرى في المؤتمر حتى يوم ٢٦ يونيو وقد حشى هذا البيان بالأكاذيب (١)

مراوغة ساسة الانجليز

وفي اثناء المخابرات التي كانت جارية بين الدول لعقد المؤتمر على النحو الذي تقدم بيانه كانت إنجلترا تتأهب للحرب بحشد الجنود واعداد المهمات وكان اكثر الناس يتوهمون أن ذلك انما صدر منها على سبيل التهديد والارهاب للمصريين ولتنال أغراضها بدهائها فأحست الدول الأوربية بما وراء الأكمة ولكنها لم تجسر على مقاومة الانجليز ومعارضتهم علنا ، لا سيما بعد أن صرح اللورد سالسبرى في مجلس نواب الانجليز أن الانجليز وحدهم قادرون على نوال مآربهم وتحصيل ما يطلبون رضيت الدول أم لم ترض ، وكانت الدول تحاول اقناع الانجليز بأن لا يستبدوا في الأمر وحدهم وأن يستشيروا غيرهم ويشركوهم معهم في العمل فكانوا ينفرون من ذلك ولا يعترفون لغير الفرنسيين بحجة التدخل في المسألة المصرية اذا اشتعلت نار الحرب واشتد أوارها وهم وان كانوا قد عرضوا على الدول أن تشترك معهم في المؤتمر الا أن سياستهم كانت في الباطن على غير ذلك المنهاج

وقد عرضوا على الباب العالي أن يرسل جنوده الى مصر ولكنهم اشترطوا عليه شروطا لا يمكن الرضى بها ، منها أن

(١) نصت المذكرات على هذا البيان المملوء بالأكاذيب وتحريف الدول على الثورة العربية . وقد نشر في صحف ذلك الحين

تكون رئاسة الجيش العثماني لقمندان الجيش الانجليزي
وتحت تصرفه

وكانت انجلترا على وفاق تام مع الفرنسيين فيما اذا
وقعت الحرب فانها كانت موقنة ان فرنسا تنسحب من
الاشتراك فيخلو لها الجو

وكانت في كل يوم تعرض على الدول الأوربية ان تشترك معها
في ارسال جنودها الى مصر ، وما كان ذلك الا تظاهرا بما
كان مخالفا لمسااعيها الخفية ، وشاهدنا على ذلك قول المستر
باجت سفير انجلترا بايطاليا في الكتاب الذي بعث به الى
اللورد غرنفيل وزير الخارجية الانجليزية بتاريخ ٢٧ يونيو
سنة ١٨٨٢

ويتضح من هذا الكتاب ان الدول الأوربية كانت شديدة
الحذر من انفراد انجلترا في المسألة المصرية تحاول اقناعها
بلزوم اشتراك الدول معها ولا تستطيع معارضتها بالعنف ،
ويتبين ايضا ان اهم مسائل ذلك الوقت كانت مسألة برزخ
السويس وصيانتها واستبقاء الخديوى توفيق باشا أو
استبداله

وكانت هذه المخابرات جارية بين وزارات أوربا والناس
في مصر لا يعلمون بما سيتم عليه الراى ولا يعرفون أى
الأخبار يصدقون . وكان اختلاف الروايات موجبا لزيادة
تشويش الأذهان وعلى الأخص ما شاع في ذلك الحين من
وقوع الخلاف الشديد بين الدولتين الغربيتين فرنسا وانجلترا ،
فذهب الناس حينئذ الى أن فرنسا لا توافق انجلترا على
نيتها الا على شريطة أن يخلع الخديوى توفيق باشا ويستبدل
به عمه حليم باشا ، وايدوا هذا القول بما شاع حينئذ من
أن الحضرة السلطانية راعبة في ذلك الاستبدال ، وانها تظهر كل
يوم ميلها الى حليم باشا وتقربه منها وهو يعدها بالخضوع
والانقياد لأوامرها ونواهيها . بخلاف توفيق باشا الذي

وافق انجلترا على سياستها وتخلف عن تنفيذ الاوامر السلطانية ، والعمل بها ، وخالفها بعدم ذهابه الى الاستانة غب ورود الفرمان العالى المؤذن بتعيينه خديويا لمصر ، فقد كان عليه أن يتوجه الى دار السعادة تبعا للرسوم المألوفة ليتقلد من يد الحضرة الشاهانية وظيفته السامية الى غير ذلك مما رجح في عقول كثيرين من المصريين صحة وقوع الخلاف بين انجلترا من جهة وفرنسا والباب العالى من جهة اخرى حتى صار في معتقدهم أن انجلترا لا تستطيع مقاومة الدولتين المشار اليهما متحالفتين فلا بد لها اذا من الرجوع بخفى حنين ، فتخسر مقامها في مصر وتعود من حيث أتت

وكان الجميع في ذلك الحين يترقبون ورود الاخبار من الاستانة ليقفوا على ما كان من أعمال المؤتمرين وما سيقر عليه رأى الدولة العثمانية . وكانت انجلترا اثناء هذه الاحوال تسعى بدسائسها ودعائها في الانفراد بمصر وبحشد الجند وتعد ما يلزم للقتال والناس في غفلة يتوهمون أنها انما تفعل ذلك من قبيل التهديد ليس الا



وفي يوم ٢٥ يونيو سنة ١٨٨٢ وفد على راغب باشا رئيس مجلس النظار المستر كارتريت وخابره في أمر مياه الاسكندرية وطلب اليه أن يعتنى بوقاية المستر كورتس وجماسته عمال شركة المياه وصيانتهم وأن يتخذ الوسائل الفعالة اليلة لحمايتهم ودفع كل مضرة عنهم ، والا فانهم يهاجرون فيمن هاجر تاركين المدينة من غير ماء ، فأجابه راغب باشا بأنه لا يستطيع اتخاذ مثل هذه الوسائل الخصوصية لوقاية شخص واحد في حالة كون الحكومة المصرية متعهدة بوقاية جميع الاوربيين وصيانتهم

وكان المستر كارتر ايت لا يرسل من الاسكندرية كتابا ولا يبعث برسالة برقية الى الاستانة او الى لوندرة ، من غير أن يملأها بأخبار كاذبة ، مجسما حالتى الخوف والاضطراب فى البلاد المصرية وغيرها من الترهات التى يعلم الله مبلغ نصيبها من الصدق . وفى ٢٦ يونيو أرسل الى اللورد غرنفيل كتابا من نوع ما نوهنا عنه وهذا تعريبه :

« سيدى اللورد

« أرسلت اليوم تلغرافا ثانيا الى اللورد دوفرين بالاستانة ، بينت له فيه احوال هذه البلاد فى وزارة راغب باشا الجديدة وأكدت له أن ما يذيعه البعض من تداعى نفوذ عرابى وأحزابه الى السقوط ان هو الا محض هذيان لا يلتفت اليه ، فان نفوذهم فى ازدياد مستمر لا يماثله فى سرعة التقدم غير تعاضم الخوف عند ذوى البصيرة والنقد من انتهاء الأمر الى حد يعسر معه اصلاح الخراب المالى والمتجرى الذى ألم بالبلاد . فقد نقص دخل الحكومة كثيرا ونقصت أيضا واردات الجمارك والسكك الحديدية نقصا فاحشا واشتد الخوف من أن الكوبون الذى سيستحق فى شهرى اكتوبر ونوفمبر ان يمكن صرفه فى وقته المعين . وقد أوجبت نفقات الجهادية منذ الآن استقراض مبالغ تعتبر ديننا سائرا جديدا على الحكومة . كل هذا مع نقص الدخل ووقوف حركة الاعمال وتعطل التجارة ، ويضاف الى ذلك أيضا ما استولى على قلوب الموظفين الاجانب من الخوف والقلق حتى ان ادارة السكة الحديدية ومكاتب البريد الاميرية والتلغراف أمست لا تستطيع الاستمرار فى اعمالها الا بشق الأنفس ، وفوق هذا وذاك نرى الفعلة وسفلة القوم من الأهالى فى فقر مدقع بسبب وقوف حركة الاعمال ، ولم يبق فيما اظن الا واسطة واحدة لمنع حدوث ما يخشى وقوعه فى داخلية البلاد . . ويجب الا يكتفى بانقاذ الخديو من عرابى وجماعته أحزاب

الجهادية بل يجب المبادرة في انقاذ مالية مصر وتجارتها من
خراب يتعذر اصلاحه اذا استمرت الاحوال سائرة على هذا
النوال» اهـ . وكل هذا كذب وبهتان لانصيب له من الحقيقة
وقد كتب المستر كارترايت الى اللورد غرنفيل عن النبأ
البرقى الذى ورد الى الاسكندرية فى ٢٦ يونيو من بنها
العسل المفيد بأن أحد اليونانيين قتل فيها وانه يقال أن
قاتله أحد الفلاحين



ضرب الاسكندرية

الانجليز يتأهبون للقتال

وفي تلك الاثناء كانت دولة الانجليز باذلة مجهوداتها في استمالة الدول الى موافقتها على طلبها المتعلق بمسألة مصر والانفراد فيها صارفة عنايتها الى حملهن على تركها وشأنها في مصر وكانت تتأهب للقتال بحشد الرجال واعداد المدافع والميرة والذخائر وكان عمالها في القطر المصري يرصدون حركات الجهادية واعمالهم ويتجسسون اخبارهم ويستطلعون اسرارهم . وكان المستر جورج فيس قنصل انجلترا بمصر شديد الرغبة في الوقوف على مقدار العساكر المصريين ومبلغ قوتهم وما عندهم من المهمات الحربية ، وقد كتب الى السير ادوارد مالت القنصل الجنرال بتاريخ ٢٥ يونيو بهذا الصدد ما تعريبه :

» سيدى

» لقد علمت من مصدر اركان اليه واعول عليه أن الجهادية قررت انه اذا نشبت الحرب وولج الانجليز ابواب القاهرة تنقل اذ ذاك عائلات الضباط منهم الى القلعة ويتحصنون فيها فيدافعون عن انفسهم ، وقد شرعوا الآن في اجراء التدابير اللازمة لذلك وصرفوا في الايام الثلاثة الاخيرة معظم عنايتهم الى هذا الأمر فملأوا الشون والمخازن ميرة وذخيرة ، واحضروا كميات وافرة من الدقيق ، وعددا عظيما من الثيران والبقر والغنم والخيول ، وهم في كل يوم يبتاعون ما يجدون من ماشية وعلف ، ولا يزال الماء المنصرف للقلعة من مستودعات شركة المياه بمصر جاريا اليها. وما عدا ذلك ، فقد اعتنوا باصلاح آلات بشر يوسف ، ليجعلوا ماءها

احتياطيا اذا حدث ما يبعث على انقطاع ماء الشركة عنهم ، وهم من اليوم يستقون منها ، وقد خزنوا كذلك في شونة التعيينات ومخبز بولاق ٣٥٠٠٠ راقه من البقساط ولا تزال افران البقساط تشتغل الليل والنهار . والمسموع انه يخرج منها في كل يوم خمسة آلاف راقه . واذا قدرنا نصيب الشخص الواحد في اليوم بنصف راقه من الخبز ، يكون مجموع ما عندهم من البقساط كافيا لثلاثة عشر الف جندي في ستين يوما . (وهذا المستر يعرف بما لا يعرف)

» اما محصنات القلعة فهي عبارة عن ٤٢ مدفعا قديما من المدافع التي كانت تستعمل في السفن المصرية في عهد محمد علي باشا ولهذه نحو ٢١٠٠٠ حشوة ومع ذلك فان هدم القلعة سهل من جهة جبل المقطم حيث انشئت في اعاليه (من جهة القلعة) استحكامات متينة وضع فيها ستة مدافع من مثل المدافع التي تقدم ذكرها ولهذه المدافع الستة ٣٠٠٠ حشوة

» ولديهم ايضا من المدافع المعروفة بمدافع الجبال عدد ٤٩٧ مدفع $\frac{7}{8}$ سنتيمترات و $\frac{5}{7}$ سنتيمترات من صنع كروب ومن هذه المدافع ١٢٠ مدفعا وضعت في مراكزها ، ولكن ليس لديهم مما يلزم لها من الخيل والرجال الا مايكفي لخمسة وستين او سبعين مدفعا فقط ، ومع ذلك لا اظنهم اهلا لادارة اعمالها اذا دهمهم خصومهم مفاجأة اذ ليس عندهم من جنود المدافع المدربين الذين يمكن الاتكال عليهم اكثر من العدد اللازم لخمسة بطاريات او ستة فقط

» وعلمت ان لديهم ٥٠٠ حشوة لكل مدفع من مدافع الجبال وان لهم في العباسية مدفعا واحدا من طراز كروب مصنوعا من الفولاذ يبلغ محيط دائرته ١٤ ابهاما (بوصة) ومدفعا آخر من مدافع ارمسترنج زنته فيما اظن ٢٥ طنا » اما الاسلحة الصغيرة فلديهم مما يصلح للعمل منها

٣٠٠.٠٠٠ بندقية من بنادق ريمكتون ونحو عشرين الفا
من بنادق انفلد ، وعندهم من الفشنك نحو ٢٠ مليون
لبنادق ريمكتون و ٧ ملايين لبنادق انفلد ومن الفشنك
المعد لبنادق ريمكتون ونحو ١٣ مليون من صنع معامل
هوخام ولودلوف وهى صالحة للاستخدام . اما الباقي
وقدره ٧ ملايين فمن صنع المصريين ومعاملهم الوطنية وقد
علاه الصدا حتى اكله او كاد فهى لذلك غير صالحة للاستعمال
ولا فائدة منها »

التوقيع : جورج

الدول تقرر تدخل تركيا وهى ترفض !

تقرر فى المؤتمر الدولى المنعقد بالاستانة ما يأتى : -
« بعد أن اعترفت الدول الأوربية بوجوب المسارعة الى
معالجة حالة مصر الحاضرة بالدواء الناجع قررت فى المؤتمر
الذى عقده وكلاؤها أن يلجأ الى سيادة الجنب السلطانى
ويطلب منه أن يتدخل فى أمر مصر وأن يساعد الخديو
بارسال قوة بالبر كافية من الجند لاعادة الأمن والنظام الى
البلاد وانقاذ مصر من الفوضى التى تمكنت منها ونشأ عنها
اهدار الدماء وخراب الوف من بيوت الاجانب والمسلمين
(كذب واختلاق) وتضرر كثير من مصالح الاجانب
والوطنيين

« وسيكون من شأن الجنود العثمانية بمصر ان تؤيد
وجوب احترام الحقوق السلطانية عليها وتعيد للخديوسلطته
ويكون من شأنها أيضا الشروع فى اصلاح حال العسكرية
بمصر وفقا لاصول يتفق عليها فيما بعد اتفاقا عموميا ، على
شريطة ان لا يكون هذا التدخل موجبا لمس الترقية النافعة
التي نفذت فى نظام مصر المدنى والادارى والقضائى على غير
مخالفة ما تقضى به الفرمانات السلطانية

« والدول الأوربية واثقة كل الوثوق بالتجائها الى الجنب السلطانى ببقاء ما هو مقرر لمصر على حاله فى مدة وجود الجنود العثمانية ومعتقدة أن حقوق مصر والامتيازات الممنوحة لها بمقتضى الفرمانات السابقة لا تمس البتة ولا يمس أيضا شىء من الأصول المقررة لإدارة الأحكام فيها ولا من العهود والمواثيق الدولية ، ولا من أعمال التسوية التى نجمت عنها وتقررت فى شأنها

« أما مدة استقرار الجيش العثمانى فتكون ثلاثة أشهر فى مصر ما عدا اذا طلب الخديو تمديدھا الى أجل تتفق على تحديده الدولة العلية مع الدول الأوربية وحكومة مصر وتعين قيادة هذا الجيش بالاتفاق فى الراى مع الجنب الخديو أما مصاريف هذه التجريدة فتكون على نفقة مصر وستعين مقاديرھا باتفاق يحصل بين الدولة العلية والدول الست الأوربية وحكومة مصر

« واذا اجابت الحضرة السلطانية دعوة الدول كما هو المأمول فكيفية تنفيذ الأحكام السابقة الذكر تتم بتوافق يحصل عليه بعد الآن بين الدولة العثمانية والدول الست الأوربية »

وقد كتب كل من السفراء الى حكومته يسألھا ابداء رأيھا فى هذا القرار تلغرافيا فى ٦ يوليو وزادوا على ذلك بأن قالوا : « ومن راينا (أى السفراء المؤتمرين) أن يكون تقديم هذا القرار للحكومة العثمانية بصفة رسمية اذا وافقت عليه حكوماتنا وأن يقدمھا كل منا باسم دولته » ، ثم زادوا بقولهم : « هذه نتيجة مخابراتنا نعرضھا على حكوماتنا ، ولا نجتمع بعد الآن حتى يرد الى كل منا افادات شافية من حكومته مبينة رأيھا فى هذه المسألة »

انجلترا تختلق أسبابا للتدخل

وقد وافقت الدول على تقديم هذا القرار ، ولكن الباب العالي رفضها لمخالفتها للحقوق الدولية ، فاتخذت انجلترا ذلك حجة وذريعة لأن تتدخل بالقوة فأوعزت سرا الى وكلائها ورجالها في القطر المصري أن ينزعوا الى وجود أسباب ولو طفيفة لمباشرة القتال ، وكان ذلك من أسرار الأمور لديهم ، فان الأميرال سيمور زعم يومئذ أن الجهادية تحصن القلاع في الثغر ، وقال ان ذلك التحصين مناف لحقوقه

وجاء تلغراف من الصدر الأعظم الى الخديو توفيق باشا يذكر به أن « باشكاتب السفارة الانجليزية حضر الى الباب العالي ، وأخبر أن الجهادية المصرية تهدد الأساطيل الانجليزية في ثغر الاسكندرية بتحسين القلاع واقامة الحصون وفي ذلك تهديد للدونمة الانجليزية ، فان لم تكف الجهادية عن تقوية الاستحكامات وتمسك عن تعزيز حصونها من غير ابطاء ، اضطر الأميرال سيمور الى اطلاق مدافعه على الاسكندرية فيدكها دكا ويهدمها عن آخرها »

وقد أرسل الخديو توفيق باشا هذا التلغراف الى لاجيب عليه ، فكتبت اليه « بأن مصر لم تعتد على الانجليز ولم تهدد أساطيلها الحربية بل هي التي تهددنا بمراكبها الحربية وكل ما في الأمر أن الجارى في الاستحكامات إنما هو ترميم المختل منها على حسب العادة السنوية، واذا كانت الدونمة الانجليزية متخوفة من استحكاماتنا ولم ترد شرا بنا فلتقلع من مينائنا وتعود الى بلادها بسلام، وانى ليدهشنى احجام الباب العالي عن اجابة السفارة الانجليزية بذلك »

ثم ان الأميرال سيمور كتب الى قومندان الاسكندرية يهدده باطلاق مدافعه على المدينة فيهدمها عن آخرها ان لم تكف الحكومة عن تقوية الاستحكامات وغيرها من التحفيزات ، فأجابه القومندان المذكور طلبه باشا عصمت بقوله « ان

لا صحة لما تقول وان الجهادية لم تهتم بتحسين الاستحكامات
لانها محصنة ، وانما جارى فيها بعض ترميمات عادية »

اتفاق الانجليز مع الخديو

ولما شاع هذا الخبر فى المدينة ايقن الناس بقرب وقوع القتال ، واوعز كل من قنصلى فرنسا وانجلترا الجنرال الى رعاياه ان اخرجوا من مصر ، وهاجروا منها سريعا فتسابق الأوربيون الى الرحيل ، ولم يبق منهم فى المدينة الا القليل ، حتى ان الخديو استدعى اليه المستر كولفن مراقب المالية الانجليزى ، واتفق معه على أن يبارح سراى رأس التين ويتوجه بعائلته الى سراى الرمل فى يوم ١٠ يوليو سنة ١٨٨٢ لأن ضرب الاسكندرية سيكون فى صباح يوم ١١ منه

هذا ما حصل الاتفاق عليه ، وطلب الخديو من المستر كولفن أن يبلغ ذلك الى اللورد غرنفيل ليخبر الخارجية انجلترا . وقد تمارض المستر مالت قنصل انجلترا الجنرال وانتقل الى البحر فى ٢٢ يونيو ، واقام فى الباخرة (مونجوليا) من بواخر الشركة الشرقية ثم سافر الى برنديزى . وحذا حذوه وكيله المستر كالفر بالحجة عينها ، واقتفى اثرهما المستر يورج قنصل مصر

وقد اوعز المستر كولفن الى المستر كارتر ايت بأن يخبر اللورد غرنفيل بما جرى بينه وبين الخديو ففعل وارسل فى اليوم نفسه رسالة برقية الى وزارة انجلترا الخارجية ضمنها ما دار بينه وبين الخديو ، واردفه بقوله « واظن أنه لا خوف على حياة الخديو ، ولا سيما اذا لم تطل مدة القتال ، ومن رأى ان أنذر درويش باشا بأن الحكومة الانجليزية تعدده مسئولاً عن حياة الخديو ، وأن التبعة تعود عليه اذا أصيب الخديو بسوء يوم اطلاق المدافع ، وقبل نزوله الى البحر » اه

وقد بلغ الاضطراب منتهاه وايقن الناس بدنو الساعة
آسفين على ما سيحل بالاسكندرية من هول الخطب متكررين
لما ستسفر عنه من الخراب والتدمير ، ورأى كل من قناصل
الدول الاجنبية ان سيحيق برعاياهم خطب كبير ، فحاولوا
ابعاد الخطر المحدق بالمدينة ، واجتمعوا في ٧ يوليو للتداول
في الأمر ، وكلفوا المستر كارتر ايت بالحضور معهم فأبى ،
فعمدوا عندئذ مجلسهم ، ولم يحضر فيه احد من قبل
انجلترا وبالتداول والتشاور قرروا ان يرسلوا الى الأميرال
الرسالة الآتية :

من قناصل الدول الأوروبية بالاسكندرية
الى الأميرال سيمور

« ان لرعايانا مصالح مهمة في الاسكندرية ، ولهم فيها
املاك واسعة ، وعقارات كبيرة ، والمتخلفون منهم عن المهاجرة
كثيرون وهو ما دعانا الى ان نتقدم اليكم ونسألکم ان هل
اقتنعتم من جواب الحكومة المصرية على سؤالكم المتعلق
بتحصين القلاع ام لا ؟ فان كان الثاني فاننا نستطيع تعديل
الجواب المذكور بما يرضيكم ويقنعكم ، واذا كنتم لا ترضون
بذلك ولا تريدون ان تقتنعوا لأمر ما ، فنرجوكم ان تنبئونا
عن المهلة التي تتركونها لرعايانا قبل الشروع في القتال
ليتمكنوا من الرحيل

« واننا نخطرکم بأن اطلاق المدافع سينشأ عنه كيف
كانت الحال ضرر عظيم ، يحيق بسكان المدينة من نصارى
ومسلمين ، ولا بد ان تنهدم به ابنية عديدة للأوربيين ،
وبودنا لو انكم ترفعون الى حكومتكم ملاحظاتنا هذه قبل ان
تنفذوا أوامرها » التوقيعات

فرد عليهم الأميرال سيمور بهذه الرسالة :

« تلقيت اليوم الكتاب الذى اتفقتم على ارساله الى ،

وتفضلتم فيه بالاستعلام منى وتكرمتم وعرضتم أن تتوسطوا
في الأمر بحيث أحصل بواسطتكم على جواب يرضيني فأشكر
لكم كثيرا هذه العناية ، واجيب على خطابكم بقولى انى أنفذ
ارادتكم اذا كان لدى الموما اليه من النفوذ والسلطة
ما تستطيعون به أن تجعلوه صادقا فى اجراءاته ، وان يبطل
عاجلا أشغال التحصين وتعزيز الاستحكامات التى شرع
فيها ، ولا ارى جواب الموما اليه (بالكتابة) كافيا لحملى على
الاقتناع بما يقول وعلى الوقوف بما اكده لى فى جوابه من انه
يجيب طلبى ، ومهما كانت عبارة هذه الكتابة فانها لا تكفينى
بالنظر الى المصالح المهمة التى عهد بها الى

« واخبركم انى ما اعلنت قط بعزمى على رمى الاسكندرية
بنار المدافع ، واذا اقتضت الحاجة ، فانى أوجه قوتى على
القلع والاستحكامات فقط ، وبذلك لا أرى موجبا لخوفكم
من انهدام منازل الاوربيين وغيرهم ، وسأرفع الى حكومتى
امر الملاحظة التى ابدىتموها فى العبارة الأخيرة من خطابكم
ونبهتمونى اليها

« واذا استمرت الجهادية فى أشغال تحصين القلاع
والاستحكامات ، فانى أنفذ فى الحال ما كتبت اليهم به محافظا
على كل حرف من حروف تلك الكتابة ، وكيف كانت الحال
فانى قبل الشروع فى العمل أعلن عنه ولا أبشر اطلاق المدافع
الا بعد ٢٤ ساعة من تاريخ الاعلان

« كتب فى السفينة (انفسيل) بمياه الاسكندرية فى
٧ يوليو سنة ١٨٨٢

التوقيع : بوشان سيمور

ولما وصل هذا الجواب الى قناصل الدول اجتمعوا ثانية
وأخذوا يحاولون ارضاء الأميرال سيمور ، ولكن ذهبت
أعابهم ادراج الرياح

عدوان الانجليز

لما تمكنت انجلترا من اقناع فرنسا وباقي الدول الأوروبية بأنها تنفرد بالعمل في قتال المصريين اختلقت لذلك أسبابا لا ظل لها من الحقيقة وذلك أن المستر كارتررايت كتب الى ناظر خارجية انجلترا اللورد غرنفيل ما يأتي :

« سيدى اللورد

« أرفع الى حضرتكم أن الأميرال سيمور علم اليوم بأن قد وضع مدفعان في القلعة المعروفة بقلعة (السلسلة) الكائنة تجاه الميناء الجديدة علاوة على المدافع الموجودة فيها (والله يشهد انهم لكاذبون فان قلعة السلسلة لم يجر بها شيء من الترميمات فضلا عن وضع مدافع أخرى فيها) فلم يعد في امكانه تحمل هذه الأمور والصبر عليها ، ولذلك عزم على اطلاق المدافع في فجر الثلاثاء الآتى (١١ يولييه) . وسأخبر القناصل الجنرالية والخطيو ودرويش باشا بهذا العزم في هذا اليوم ، ثم أجرى من التدابير ما يلزم لكى يتمكن الباقون في الاسكندرية من النزول الى السفن والالتجاء اليها

« كتب فى السفينة (هليكون) بميناء الاسكندرية فى ٩ يوليو سنة ١٨٨٢

التوقيع كارتررايت »

وفى مساء اليوم المذكور أعلن المستر كارتررايت القناصل جميعا عن عزم الأميرال فأوعزوا الى رعاياهم بالمهاجرة فى الحال ، وشاع الخبر بين السكان وطينيين وأجانب وصاروا يتسابقون الى محطة السكة الحديد زرافات ووحدا الى داخل البلاد منتشرين فى المدن والأرياف وهروا بعض الأجانب الى البحر لاجئين الى السفن الراسية فى المرافىء ولم ينقض اليوم العاشر من شهر يوليو حتى خلت المدينة

من السكان واقفرت من أهلها أو أوشكت ولم يبق فيها إلا الجند والحامية ونفر قليل من الأجانب وبعض الأهالي

وفي مساء اليوم نفسه توجه المستر كارتر إلى سراي رأس التين ، وأعلن للخديو بصفة رسمية عن عزم الأدميرال على مباشرة القتال صباح الثلاثاء ١١ يوليو سنة ١٨٨٢ ثم أشار عليه بأن يترك سراي رأس التين ويلجأ إلى سراي الرمل ، وبعد ذلك قصد درويش باشا فلم يجده فكتب إليه بصفة رسمية أيضا يطلب إليه بأن يحافظ على حياة الخديو وأنه مسئول ما عساه يصيب الخديو

وفي صباح اليوم العاشر أرسل الأدميرال كتابة إلى طلبة باشا قومندان موقع الاسكندرية مؤقتا ورئيس حاميتها ، طلب فيها انزال جميع المدافع المتسلحة بها طوابى استحكامات الاسكندرية من طابية المكس إلى طابية برج السلسلة ، ويدعى زورا بأنه شاهد مراكب شرعية مشحونة بالاحجار تفرغ مشحوناتها في بوغاز الميناء بقصد سد البوغاز وحبس المراكب الانجليزية . وأنه ان مانع في انزال المدافع امر باطلاق مدافع الاسطول على المدينة والاستحكامات صباح باكر فيدمرها تدميرا ، ويقول فيه أيضا : « أرسلنا كتابات رسمية إلى كل من درويش باشا المندوب السلطاني العالي ، وراغب باشا رئيس الوزارة المصرية أعلن لهما فيها عن خروج رجال الوكالة الانجليزية من القطر المصري إشارة إلى قطع العلائق والصلات الودية »

فسرعان ما عم الخوف كل من بقى في المدينة وأيقن الناس بحلول الدمار وصاروا في انتظار النار والرعب ملء أفئدتهم ، فأخذت السفن والمراكب الراسية في الميناء في الخروج منها وذهب الاسطول الفرنسي قاصدا بورت سعيد تاركا الاسطول الانجليزي وشأنه يتصرف في الادعاء على المصريين

بما يوحيه اليه الاميرال سيمور ، وبما يروق في عين رجال
الحكومة الانجليزية من الظلم والعدوان

وفي صباح يوم ١٠ يوليو سنة ١٨٨٢ انعقد مجلس فوق
العادة من النظر وغيرهم من الذوات الاختيارية تحت رئاسة
توفيق باشا اخديو بحضرة المندوب السلطاني درويش باشا
وقدري بك سكرتيره والسيد احمد اسعد وكيل الفراشة
النبوية عن الحضرة السلطانية المرسل مع درويش باشا
للتنظر في المسألة المصرية التي ابتدعتها المطامع الانجليزية

ولما تلى كتاب الاميرال سيمور المرسل الى طلبة باشا
قومندان المدينة تقرر بالمجلس المذكور بانه لا يمكن اجابة
طلب الاميرال سيمور ، لما في ذلك من الخزي والعار الذي
يلحق بالمصريين الى الابد حيث ان الاستحكامات والطوابى
المذكورة ما أنشئت الا لحفظ الثغور ، والعساكر ما وجدت
الا للدفاع عن الوطن العزيز والذود عن حياضه ، فلا يجوز
لهم ان يخربوا معاقلهم بايديهم لمجرد طلب العدو الطامع في
بلادهم ، بل الواجب عليهم ان يدافعوا عن بلادهم ويقوموا
بما تحتمه عليهم واجباتهم الحربية الى آخر رفق من حياتهم
دفاعا عن شرف الوطن . ولكن قفلا لباب الشر وقطعا
لاحتجاجات الاميرال سيمور رئيس الدونمة الانجليزية ،
رؤى ان يرسل له وفد مؤلف من عبد الرحمن بك رشدي
ناظر المالية وقاسم باشا وكيل البحرية السابق ومحمد كامل
باشا وكيل البحرية حينذاك وتكران بك باشكاتب مجلس
النظار ويتلفوا معه في المقال ، ويوضحوا له بان المصريين
ليسوا اعداء للانجليز ، وانه لا يمكن سد البوغاز بالاحجار
كما قيل ، وانه يمكن ضبط المراكب المشحونة بالاحجار عند
شروعها في العمل ان وجدت

واما انزال المدافع فهذا امر لا يمكن قبوله لما فيه من
مخالفة قوانين البحرية ولما يتبع ذلك من الاهانة والذلة .

وانما يمكن اجابة لطلبه وفضا للاشكال تنزيل ثلاثة مدافع من ثلاث طوابى احداها طابية المكس والثانية طابية صالح والسنته طابية برج السلسلة وان يكتفى بذلك ردا لشرف الدونمة كما يزعم

فذهب الوفد وبلغ الرسالة ثم رجع وأخبر بأن الأميرال المذكور لم يقبل بما عرض عليه ، وصمم على وجوب انزال جميع المدافع كما طلب ، وانما تكرم بأن عاقى عساكره البحرية من معاناة مشقة انزال المدافع وتخريب الطوابى وسمح للعساكر المصرية بأن يعانون هذه الأعمال ، ويخربوا معاقلمهم بأيديهم . وزاد على ذلك بأنه يطلب من الحكومة المصرية أمرا صريحا باعطائه طابية المكس وما وراءها من الأراضي ، وطابية العجمى وطابية باب العرب لاتخاذها معسكرا للعساكر الانجليزية ، وانه اذا لم يجب الى طلباته المذكورة بأمر القتال عند طلوع الشمس في يوم غد . وحيث أن طلباته غير قانونية ولا يمكن قبولها بوجه من الوجوه خصوصا وان الفرمان السلطاني يحجر على الخديو التصرف في اعطاء قيد شبر من الأراضي المصرية وملحقاتها الى دولة اجنبية . فلذا تقرر رفض طلبات الأميرال واعلان حكومة الباب العالي بذلك ، حيث أنها صاحبة البلاد المصرية . ويكون أخطارها تلغرافيا مع الاستعداد للحرب بشرط أن لا يبتدا بها من جهتنا الا بعد اطلاق ثلاثة (جل) من جهة العدو المعتدى . وفي حالة وقوع الحرب حقيقة تعلن الاحكام العرفية في جميع البلاد المصرية . وبعد ذلك ارفض المجلس ثم انتقل الخديو ودرويش باشا ومن معهما من رأس التين الى سراى الرمل في أصيل اليوم المذكور عملا برأى المستر طارترأيت كما سبق الذكر وهاك أسماء أعضاء المجلس المنعقد تحت رئاسة الخديو :

محمد توفيق باشا (خديو مصر) - المشير درويش باشا (رئيس الوفد السلطاني) - قدرى بك (سكرتير الوفد المذكور) - السيد أحمد أسعد (عضو بالوفد المذكور) - اسماعيل راغب باشا (رئيس النظار وناظر

(الخارجية) - أحمد رشيد باشا (ناظر الداخلية) - عبد الرحمن بك
 رشدي (وزير المالية) - أحمد عرابي باشا (وزير الجهادية والبحرية)
 - علي ابراهيم باشا (وزير الحقانية) - سليمان أباطة باشا (وزير
 المعارف) - محمود الفلكي باشا (وزير الاشغال) - حسين الشريعي
 باشا (وزير الاوقاف) - اسماعيل حقي أبو جبل باشا (من الشيوخ)
 - محمد سعيد باشا (من الشيوخ) - قاسم باشا وكيل الحقانية سابقا
 (من الشيوخ) - محمد كامل باشا (وكيل البحرية) - محمد سلطان
 باشا (رئيس مجلس النواب) - محمد المرعشلي باشا - محمود فهمي باشا

أكاذيب الانجليز

بعد امضاء القرار المذكور بوجوب الحرب صدرت أوامر
 الجهادية الى رؤساء الاستحكامات وأمراء الأليات وفروع
 الجهادية بالاستعداد للحرب والمدافعة عن البلاد ، وسهرنا
 طول الليل في ترتيب ما يلزم اجراؤه للقتال

وفي اليوم التالي انتشر الخبر في عواصم أوروبا ونقلته
 الأسلاك التلغرافية بأسرع من لمح البصر ، فارتجت له افكار
 العالم واهتزت له جوانب الارض ، فرات وزارة خارجية
 انجلترا ، أن تلتطف الخبر للدول الأوروبية مخافة معارضتها لها
 فيما تريد اجراءه ، فكتبت الى وكلائها الخطاب الآتي :

« من اللورد غرنفيل وزير خارجية جلالة ملكة انجلترا
 الى وكلاء حكومة انجلترا لدى حكومات باريس وبرلين
 وفيينا ورومة وبطرسبرج والاستانة

« تحرر في النصف الثاني ، من اليوم العاشر لشهر يوليو
 سنة ١٨٨٢

« بناء على رسالتى التلغرافية المرسلة اليكم مساء أمس
 اخبروا الحكومات التى انتم نائبون عن حكومتنا لديها بأن
 ما سيجريه الاميرال سيمور بالاسكندرية لا يكون الا من
 قبيل الدفاع والمحاماة عن الاسطول ، ولسوء الحظ لم نر
 بدا من ذلك غير أننا مع ذلك نصرح أن ليس لنا ارب خفى
 أو نية غير بينة

« وقد اتضح لنا من تقرير الأميرال أن حكام الاسكندرية قد استمروا على تحصين القلاع والاستحكامات مظهرين العدوان والبغضاء نحونا بالرغم من نواهي الحضرة الشاهانية وأوامرها الصادرة لهم بالكف عن التظاهر بالأمور العدائية وخلافا لارادة الحديو ، بل ونقيضا لما أبدوه لنا مرارا من مسالمتهم ومصافاتهم لنا »

وفي الرسالة التلغرافية المرسلة بهذا الصدد الى اللورد دوفرين بالآستانة زيادة هذا تعريبها :

« وهذا حرص منا على مصلحة الجنب السلطاني ، الذي خالف الثائرون أوامره ، ونبذوا مشوراته ووصاياه نبذ النواة »

وقد قدم وكلاء انجلترا هذا الكتاب الى حكومات أوروبا ، وفي جملتهم اللورد دوفرين وكيلها بالآستانة الذي بعد أن قدم للباب العالي الصورة التي أرسلت اليه كتب الى اللورد غرنفيل ناظر خارجية دولته ما يأتي :

« من الآستانة في ١٠ يوليو سنة ١٨٨٢ »

« سيدي اللورد »

« أرفع الى حضرتكم صورة الكتاب الذي عرضته على الباب العالي مبينا فيه عزم الأميرال سيمور على ضرب قلاع الاسكندرية اذا لم تستسلم له وهو : الى حكومة الباب العالي »

« ان سفارة انجلترا تخبر الباب العالي انه بناء على استمرار حكام الاسكندرية في تحصين قلاعها وتقوية استحكاماتها يعلن الأميرال سيمور في صباح هذا اليوم بعزمه على رميها بنار المدافع بعد أربع وعشرين ساعة ، اذا لم تستسلم الحصون له وتكف عن التظاهر بالعدوان »

« كتب في ترايبا (مقر سفارة الانجليز بالآستانة) في ١٠ يوليو سنة ١٨٨٢ »

قال : « وبعد أن قدمت هذا الكتاب بصفة رسمية ذهبت الى المابين الهمايوني لأقف على أفكار الحضرة السلطانية ، وأرى اذا كان من الممكن العدول عن مباشرة القتال ، فأجابني الجناب الشاهاني « ان حكومته تلقى الى فى بكرة الغد (أى عند الخامسة أفرنكية من الصباح) جوابا رسميا باتا على كتابي الذى تقدم ذكره » ثم طلب الى تأجيل اطلاق المدافع على الاسكندرية ، فأجبتـه : « انى أرفع هذا النبأ الى حضرتكم ، ولكنى لا أظن أن الأميرال سيمور يستطيع العدول عما صمم عليه اذا لم يمثل رجال الحصون لاشارته وينفذوا طلبه »

التوقيع : دوفرين

وبعد ذلك أرسل اللورد دوفرين الى الأميرال سيمور تلغرافيا ما يأتى :

« لست أدري ما هى الأوامر التى ألقىت اليك من حكومتنا ، وهل أنت مفوض بالتماهل عند اللزوم أم لا ؟ فاذا كان الأول فلا بأس من تأجيل العمل ثلاث ساعات أو أربعا ليتمكن اللورد غرنفيل فى خلالها من النظر فى جواب الحكومة العثمانية ، فربما كان كافيا لتعديل ما تقيد اجراؤه ، وذلك لأن هذا الجواب المنتظر لا يمكن وصوله الى قبل الساعة التى عينتموها لمباشرة القتال »

التوقيع : دوفرين

ضرب الاسكندرية

لا يجهل أحد نتيجة ما كان من أمر هذه المخابرات فان نار المدافع صبت على القلاع والحصون والترسانة وسراى رأس التين ، وبالجمله على جميع أرجاء المدينة صباح الثلاثاء الواقع فى ١١ يوليو سنة ١٨٨٢ ولم تجاوبها مدافع القلاع الا بعد أن أطلق الأسطول نحو ٢٠ طلقة من مدافعه ، ثم استمر القتال بين الأساطيل الانجليزية وقلاع الاسكندرية

بعد ذلك الى منتصف النهار ، ومن ثم أخذت نيران
الاستحكامات فى التناقص والاضمحلال حتى تم تدميرها
قبيل الغروب

وحيث كانت استحكامات الاسكندرية قديمة كما هو
معلوم وجميعها مبنية بالأحجار من مدة ٦٧ سنة أو ٧٠
سنة وقد باغتتنا الانجليز بالعدوان على غير استعداد منا
ولا تأهب ، فقد كان تأثير شظايا الأحجار المتناثرة وضررها
أكثر من تأثير مقذوفات العدو نفسها

أعمال الدفاع فى الاسكندرية

من المعلوم أن للاسكندرية عدة حصون وقلاع ومتاريس
وأبراج مستديرة ولكن أكثرها مسلحة بالأسلحة القديمة
التي لا تصلح لمقاومة الدوارع الانجليزية ، غير أن فى
بعضها مدافع أرمسترونج وهى وحدها الأسلحة النارية
التي تصلح لحرق دروع السفن الانجليزية

بيان الحصون

كان فى الجبهة الغربية ازاء ممر مريوط حصن من أمنع
الحصون بالاسكندرية وأهمها ، يسمى حصن مريوط وهو
واقع فى الجزيرة المسماة بهذا الاسم ، فقد كان هذا الحصن
مسلحاً بأربعة مدافع ضخمة منها مدفعان من زنة (١٨ طناً
وقطره ٨ أباهم) واثنان من زنة (١٢ طناً وقطره ٩ أباهم)
وثلاثون مدفعاً من المدافع الصغيرة وخمسة مدافع من مدافع
الهاون

ووراء حصن مريوط ، أى فى الرأس الغربى من الفرضة
حصن آخر يعرف بحصن (العجمى) وكان هذا الحصن مسلحاً
كحصن مريوط

وبعد هذا الحصن حصن المكس وهو على مرتفع من

الأرض ، وظيفته الدفاع عن مدخل الميناء ، وبين حصن مريوط وحصن المكس استحکامات معززة بالمدافع

وكان حصن المكس معززا بإحدى وثلاثين قطعة من المدافع منها أربعة مدافع من ذوات العيار الأعظم (أرمسترونج) وتمتد على طول خط المرفأ القديم الى الميناء عدة متاريس واستحکامات وهى : طابية (القمرية) ، وفيها خمسة مدافع ، وطابية (أم كبيبه) وفيها ١٨ مدفعا ، ثم برج مستدير وفيه مدفعان وحصن (صالح) المسمى بطابية صالح وفيه ٢٤ مدفعا

ما الجهة الأخرى من المرفأ القديم ففيها قلعة الفنار ، وهى قلعة مشرفة على المينا الداخلية معززة بأربعة وعشرين مدفعا ، منها ٥ من طراز أرمسترونج قطر أحدها عشرة أصابع وزنته ١٨ طنا ، وقطر كل من الأربعة الأخر تسعة أصابع وزنته ١٢ طنا

وفي رأس التين عدة بطاريات مسماة باسمها مسلحة بسبعة عشر مدفعا أرمسترونج ، منها بعض قطع من ذوات العيار الكبير ، ومدفعان عظيمان من نوع المونكراف يتحركان صعودا وهبوطا

وفي الجهة الشرقية يوجد الحصن المعروف بطابية (اطله) وفيه ١٢ مدفعا منها ٣ أرمسترونج زنة كل منها ١٢ طنا وقطره ١٠ أصابع

وعند منتهى خط شبه الجزيرة يقوم الحصن المعروف بـ حصن (قايدباى) وهو مبنى بالحجر ، وفيه ١٢ مدفعا وهذا الحصن يشرف على سطح البحر الواسع ووظيفته أن يكون متوليا حماية مدخل المينا الشرقية ، ويشترك معه فى هذه الحماية الحصن المعروف بـ حصن (نابليون) القائم على رأس شبه جزيرة ضيقة فى الجهة الأخرى من المينا

المذكورة ، ممتدا الى داخل البحر يحميه حصن مهم يعرف
بطابية السلسلة

ويكتنف الاسكندرية من جهة اليابسة سورها الغربى
القديم الباقي منه فى جهة باب رشيد بعض آثار تدل على
شهركه ومنفعته فى الدفاع ، وتحطاط بها عدة متاريس
واستحكامات قائمة على مرتفعات متوجة بها وهى مطلة على
بحيرة مريوط ومياه ترعة المحمودية الجارية بين هذه
المرتفعات والبحيرة المذكورة . وكل هذه الابنية من بقايا
الحصون التى أنشأها الفرنسيون حوالى المدينة أيام الحملة
الفرنساوية ، حيث كانت معززة من الخارج بكل من حصون
كافاريللى المعروف بحصن نابليون (أو كوم الناضورة)
وحصن كريتين أو (كوم الدكه) ومتراس كيلوباترا ،
والحصنان الاولان وهما حصن كوم الناضورة وحصن
كوم الدكه مرتكزان فى قلب المدينة اليوم لقيام الابنية
من حولهما ، ولكن أهميتهما الحربية مفقودة ، لعدم وجود
أسلحة من أسلحة الحصون العظيمة فيهما . والحصن الاول
منهما مطل على داخلية المرفأ القديم ، وهو عظيم شاهق
الارتفاع ، فقد كان لا يوجد فيه من مدافع أرمسترونج الا
مدفع واحد زنته ١٢ طنا وقطره ١٠ أصابع . وعند باب العرب
استحكامات تعادل حصن المكس علوا وارتفاعا تقفل لسان
الأرض الواقع بين البحر وبحيرة مريوط . وهى واقعة الى
ما وراء المقطع القديم الذى خرقة الانجليز عام ١٨٠١ قبل
خروجهم من مصر ليدخلوا به مياه البحر الى البحيرة فأغرقت
يومئذ قرى كثيرة وتحولت به صحراء واسعة يابسة نافعة
الى مستنقع ردىء مضر

هذه كانت حالة الاسكندرية من الحصون والاستحكامات
قبل أن ترميها الانجليز بنيران أساطيلها فى ١١ يوليوسنة
١٨٨٢

ايضاح وبيان

من المعلوم ان أساطيل الانجليز داهمتنا بالحرب ولم نأخذ لها أهبتها ، ولم يكن يوجد بالاسكندرية من حاميات الحصون المصرية غير ٧٠٠ رجل فقط من رجال المدافع ، فلذلك وزعت عساكر الطوبجية البرية مع ما يلزم من عساكر البيادة (المشاة) على الحصون والقلاع الموجودة على خط النار ، وكذلك وزعت عساكر الأربع آليات البيادة على خط الاستحكامات من حصن السلسلة الى طابية المكس . فكان الآلى الثانى حكمدارية خليل بك كامل شاغلا خط النار الموجود بين طابية المكس وباب العرب وطابية العجمى والآلى الخامس حكمدارية مصطفى بك عبد الرحيم مشغلا بمساعدة استحكامات الفنار ورأس التين والآلى السادس حكمدارية سليمان بك سامى منوطا بمساعدة طابية صالح الى الترسانة ، والآلى الرابع حكمدارية عيد بك محمد بجهة (أم كبيبة) الى باب العرب وأمامه قومندان برنجى آلى سواحل محمد بك أمين كان قائما بتنظيم القتال فى طابية الفنار ، ومعهم الشهم الغيور سيف النصر بك وكذلك البطل المغوار الزبير باشا رحمت ، وقومندان ٢ جى أورطة سواحل اسماعيل بك صبرى كان يدير مركز القتال فى طابية (اطه)

وكان كل آلى من الآليات البيادة (المشاة) مؤلفا من ثلاثة آلاف رجل فيكون مجموع العساكر البيادة الذين وجدوا فى ثغر الاسكندرية يوم قتال الانجليز اثنى عشر ألفا وسبعمائة من رجال طوبجية السواحل



ومن المعلوم أن الجيش المصرى كان مؤلفا من ثمانية آليات من البيادة وثلاثة من الحيالة (الفرسان) وآلين من

الطوبجية البحرية المخصصين بساحات القتال وثلاثة
آليات من الطوبجية السواحل المخصصين لحماية الثغر ،
وفرقة من رجال الهندسة ومجموع ذلك فى حالة استكمال
الفرق والآليات يبلغ « ستة وثلاثين ألفا » وفى مدة الحرب
يبلغ « اثنين وسبعين ألفا » وذلك عدا العربان والمتطوعين
فكان جملة الجراية التى تصرف لجميع العساكر والمتطوعين
والخدم المشتغلين بالتجهيزات الحربية والذخائر والمؤونة
١٢٠ ألف جراية أو ٩٠ ألف أقة

أما نوع الأسلحة فللمشاة منها بنادق بحراب من نوع
(رمينكتون) وللفرسان سيوف وغدارات مسدسة
وللطوبجية مدافع من الفولاذ مضلعة من طراز (كروب)
وفى القاهرة مسلحة كبيرة ومعمل للبنادق وأخربوبلاق
لصب المدافع وفوريقة عظيمة لعمل البنادق والمدافع أنشئت
فى طره ولكنها لم تكن قد كملت قبل نشوب الحرب وبنائها
باقى للآن

نشوب القتال

أطلقت البارجة الكسندره مدفعها الأول فى الساعة
السابعة والدقيقة أربعة من صباح ١١ يوليه سنة ١٨٨٢
وتلتها باقى المدرعات الانجليزية بطلقات عديدة ، وبعد ٥
دقائق أجابتها القلاع بنار شديدة حامية ، واستمر القتال
على هذا الحال الى قبيل الغروب حتى تهدمت الاستحكامات
وتعطلت المدافع من جراء مقذوفات المراكب الهائلة . ومن
الأسف أن مقذوفات المدافع القديمة كانت لا تصل الى
المراكب الانجليزية ومدافع الارمسترونج لم تكن لها مساطر
تعرف بها المسافات ، وتحكم الاصابة بواسطتها ، اللهم
الا مسطرة واحدة ، كانت فى محل التعليم بالعباسية
(بالبلجون) استحضرت ليلا ، وسلمت الى الشهم المقدم

سيف النصر بك قومندان طابية الفنار فكان يطلق المدافع بنفسه وينتقل من محل الى آخر ويحكم الاصابة بواسطة المسطرة المذكورة ، فكان معظم الدوارع التي تعطلت من جراء المقذوفات التي أحكم هو اطلاقها ، ولو كانت مدافع الارمسترونج كلها ذات مساطر لا يمكنها تعطيل جميع الدوارع الانجليزية بما تقذفه من المقذوفات الصائبة

وفي أثناء القتال تطوع كثير من الرجال والنساء في خدمة المجاهدين ومساعدتهم في تقديم الذخائر واعطائهم الماء وحمل الجرحى منهم وتضميد جراحهم ونقلهم الى المستشفيات

وكنا مع جميع النظار في طابية كوم الدماس للاشراف على مواقع القتال فكتب راغب باشا رئيس النظار الى جميع مصالح الحكومة والمديريات والمحافظات يعلنها بانتساب الحرب بين الانجليز والمصريين ظلما وعدوانا بلا سبب معقول وان البلاد جميعها صارت تحت الادارة العرفية والاحكام العسكرية

وحدث أن اشتعلت النار في سراي رأس التين وكثير من بيوت الاسكندرية من تأثير مقذوفات العمارة الانجليزية نعرف منها بيت (اجيون) الكائن بجوار النبي دانيال وبيت الخواجه ابراهيم بيما وبيت الخواجه يوسف نصر ومعمل الخواجه دهان وكثيرين غيرهم . فخصصت العساكر الطلمبات « آلات المطافىء » لاطفاء حريق سراي رأس التين وغيرها من المحلات التي شبت النار فيها

وقبيل غروب شمس ذلك اليوم حضر طه باشا لطفى وسليمان باشا أباطه وحسين بك الترك من قبل الخديو ومحبي الدين بك ياور من قبل درويش باشا وهو ياور المندوب السلطاني المذكور ليبلغونا سلام الخديو ودرويش

باشا وثناءهما على صبر العساكر وثباتهم العجيب تجاه قوة الدوارع الهائلة

وقد استشهد في ذلك اليوم من جميع الطوابى مائة رجل وامرأتان من المتطوعات اللواتي كن يضمذن جراح الجرحى ، وفي اليوم نفسه حضر محمود باشا سامى البارودى من القاهرة للاشتراك معنا فى الدفاع عن البلاد وبعد الغروب توجهنا مع النظار الى سراى الرمل وعرضنا على مسامع الحديو ودرويش باشا ما حصل فى ذلك اليوم وان الاستحكامات تخربت والمدافع تعطلت فحصلت المداولة فى هذا الشأن بالمجلس تحت رئاسة الحديو بحضور درويش باشا ورئيس مجلس النواب وتقرر فيه بأنه اذا عاودت المراكب الانجليزية الضرب فى صباح ١٢ يوليو فلا تجاوبها القلاع بل ترفع الراية البيضاء علامة للمخابرة مع الاميرال فى توقيف الحرب واعادة الصلات الودية حيث قد تحصل الاميرال سيمور على غرضه بتخريب القلاع وتعطيل المدافع ثم توجهت بعد ذلك مع راغب باشا رئيس النظار الى بيته الكائن على ترعة المحمودية وأرسلنا الاوامر اللازمة الى رؤساء القلاع والمعقل وقضينا تلك الليلة فى المحل المذكور وفى صباح يوم ١٢ يوليو جاءنا رسول من قبل الحديو يدعونا اليه فتوجهنا مع راغب باشا تلبية لدعوته . وكان فى الرمل فأخبرنا بأنه قد حضر قسم من العسكر الى السراى وسألنى عن سبب حضورهم فأجبته بأن لا علم لى بذلك ولعلمهم حضروا لتقوية الحرس ، فقال لا لزوم لذلك ، فان فرقة الفرسان الموجودة هنا كافية ، فمرهم بالرجوع الى مكانهم ، فتوجهت الى القشلاق ووجدت أربعة بلوكات من آلاى سليمان بك سامى ومعهم الصاغ على أفندى أبو غنيمة (أوهشيمة) فسألته عن سبب حضوره بالعساكر الى سراى الحديو ، فقال ان حكمدار الآلاى سليمان بك أمره بذلك ،

فحضر لتقوية الحرس الحديوى ، فأمرته بالعودة الى آلايه مع
عساكره لعدم الحاجة لتلك التقوية

سيمور يرفض الهدنة

وفى صباح اليوم المذكور أطلقت البوارج الانجليزية
مدافعها على القلاع فرفعت هذه الراية البيضاء علامة للمخابرة
وتقرر ارسال طلبه باشا عصمت الى الاميرال سيمور لا بلاغه
ما تقرر من ايقاف الحرب واكتفاء بما حصل من التخريب
والدمار فذهب وقابل مندوب الاميرال فى الترسانة وأخبره
بما ذكر ثم توجه المندوب المذكور برفاص صغير الى الاميرال
المذكور وأخبره بما تلقاه من طلبه باشا فلم يقبل ولم يرجع
بالجواب الا بعد العشاء فذهب طلبه باشا الى الحديو وأخبره
بما كان من عدم قبول الاميرال واصراره على الرفض . ثم
عاد الينا وأخبرنا بما حصل . وفى الساعة العاشرة من
اليوم المذكور رجعت من سراى الرمل الى الاسكندرية مع
راغب باشا . فلما وصلنا الى قرب الباب الشرقى وجدنا
المهاجرين من الأهالى رجالا ونساء وأطفالا مزدحمين ازدحاما
شديدا ومختلطين بالعساكر الفارين الذين آل أمرهم الى
الخذلان المعيب ، فتركوا ضباطهم ومواقعهم الحربية عندما
رأوا رفع الراية البيضاء

ومن شدة الازدحام لم نتمكن من الوصول بواسطة
العربة فتركنا راغب باشا فيها وسرت ماشيا على قدمي
أتخلل الناس حتى وصلت الى ساحة الباب الشرقى فوجدت
بعض الضباط هناك من آلاى عيد بك محمد ومعهم نصف
أورطة من العساكر وباقى الآلاى ذهب الى حيث ذهب
الفارون وأخبرت ان عساكر الطوبجية تركوا الاستحكامات
وتوجهوا الى بلادهم مع أهالى الاسكندرية وقد اقتدى بهم
عساكر البياده

وكذلك بلغنى ان سليمان بك سامى هائج هياجا شديدا

وانه قد حضر ومن معه من العساكر الى المنشية وانه يريد حرق الاسكندرية قبل تركها للعدو وان عساكره كسرت بعض الدكاكين وأخذت منها بعض الاقمشة فأرسلت اليه ابراهيم بك فوزي وعمر بك رحمي وغيرهما من الضباط لمنعه عما عزم عليه واطاراه بسرعة الحضور اليها بمن معه من العساكر . فحضر ولما سأله عما نسب اليه ، أنكره كل الانكار . ثم توجه الى عساكره وجمع ما وجده معهم من الاقمشة وأشعل فيها النار . ولما رأيت ذلك وبخته كثيرا وبرأت من عمله هذا الى الله وأشهدت عليه الأرض والسما وجميع الحاضرين بأنه هو المسؤول عن عمله الفظيع دون غيره وقع الرعب والفرع في قلوب العساكر ودب فيهم ديب الفشل واستولى عليهم الخذلان فتشتت أكثرهم لهول ما رأوا من تخريب الطوابي ولما رأيت ذلك ، علمت انه لا يقدر على جمع الجيش بعد تفرقه وخذلانه الا القليل من القواد الموفقين حاولت أن أوفق الى جمع شتاتهم فخرجت بمن أمكن جمعهم في الغروب الى جهة حجر النواتية وهناك ضرب النفير نوبة جمع فتوارد بعض المنتشرين في الفضاء

الحديدو يلجا للانجليز

وفي صباح ١٣ يوليو سنة ١٨٨٢ توجهت بمن اجتمع عندي من العساكر الى عزبة خورشيد ثم الى كفر الدوار واتخذناها مركزا حربيًا ثم كتبت الى محطات السكة الحديد والمديريات والمحافظات بسرعة ارجاع العساكر الى كفر الدوار للمدافعة عن الوطن ومن ثم أخذنا في انشاء استحكامات خفيفة وتحصين التلال القديمة وجعلنا الخط الاول من الاستحكامات عند عزبة خورشيد خلف الملاحه

وفي يوم ١٥ يوليو أمرنا بارسال قطار الحديدو بالسكة الحديد لركوب الحديدو وعائلته من سراي الرمل وحضوره

الى عاصمة بلاده ، وقطار آخر لركوب الذوات والعساكر الذين بمعية الحديو ، فلما رأى الحديو ذلك أسرع فى التوجه الى سراى رأس التين ومعه عائلته والذوات والنظار والعساكر تحت رحمة الانجليز ورعايتهم ، وقد وضح انحيازه الى العدو المحارب لبلاده ، وتم له ما أراد ، مما غاب عنا علمه !

وقد رفض الحديو الرجوع الى عاصمة بلاده، ولما وصل ومن معه الى سراى رأس التين استقبلهم الاميرال والضباط الانجليز فى ردهة السراى الكائنة على رأس السلاالم ثم أمر باحاطة السراى بالبوليس الانجليزى وقرر الاميرال سيمور وقنصل انجلترا الجنرال والمستر كولفن تعيين المستر اورستستين ترجمانا بينهم وبين الحديو . وكان من واجباته أن لا يفارق السراى وأن يراقب كل ما يجرى فيها ويقدم به بيانا ضافيا فكان يتناول الطعام مع الحديو فى الصباح والمساء على مائدة واحدة . وهكذا صار الحديو تحت رحمة الانجليز بمحض ارادته ياتمر بأمرهم ، وينفذ ارادتهم والأمر لله من قبل ومن بعد

تحصينات كفر الدوار

لما جمعنا العساكر فى كفر الدوار أنشأنا الاستحكامات وعززناها بالمدافع الحربية الممتدة من عزبة خورشيد الى كفر الدوار ، ومن ترعة المحمودية الى أرض الملاحة وحفرنا خندقا عرضه أربعة أمتار

وقد جعلنا خط الدفاع فى المقدمة عن عزبة خورشيد على طول الخط من المحمودية الى الملاحة أيضا وجعلنا ما وراء هذا الخط من التلال والمرتفعات مواقع محصنة بمدافع (كروب) وكذلك التلال الموجودة بين المحمودية وسد أبى قير ، وقد تم اجراء هذه الأعمال الدفاعية بمعرفة المهندس الحربى العظيم محمود باشا فهمى ورجال الهندسة

الحريين ، ومساعدة خمسة آلاف رجل من أهالى مديريات
الغربية والمنوفية والبحيرة

وقد استحضرت الأخشاب اللازمة لسد ترعة المحمودية ،
وذلك لمضايقه الانجليز فى الاسكندرية وحولت مياه النيل
الى الأراضى المالحة الكائنة بين المحمودية وسد أبى قير ،
الى الرمال أيضا لمنع العدو من الانتفاع بها أولا ، ثم لحياء
تلك الأراضى واصلاحها بماء النيل العذب

وقد سار اللواء خورشيد باشا طاهر من رشيد بالآلى
الرابع حكمدارية محمد بك أمين ، وتبوا نقطة أبى قير لمنع
هجوم الانجليز من تلك الجهة

هزيمة الانجليز فى أبى قير

وفى ٢٦ يوليو سنة ١٨٨٢ ورد تلفراف من خورشيد
باشا طاهر قال فيه ما يأتى : -

« ظهر العدو من جهة الرمل بأورطتين مشاة وأورطتين
سوارى ومعه مدفعان يحاول وضعهما على ربوة على بعد
١٥٠ متر من المستحکم الطبيعى الموجود أمام عساكرنا » ،
فقابلته كل من احمد أفندى البيار البكباشى ومصطفى
أفندى حسان البكباشى بأورطتين بيادة وأورطتين سوارى ،
وارسلا خبرا الى خورشيد باشا المشار اليه ، فأسرع
بثلاثة بلوكات من السوارى الى ميدان القتال فوجده كثير
الرمال فأبطل ضرب نار البيادة وفتح السوارى فى هيئة
(جرخاجية) وهجم على العدو وأصلاه ضربا مبرحا حتى
الجأه الى التقهقر خلف الربوة التى كان يحاول وضع
المدفعين عليها ، وهناك اختفى العدو فى النخيل وولى منهزما
« وقد أصيب حصان من خيلنا ، ولم يستشهد أحد من
عساكرنا الأبطال ، وكان ابتداء القتال فى الساعة الاولى من
النهار وانتهأؤه فى آخر الساعة الرابعة ، فمدة القتال ثلاث

ساعات ونصف أبلت في خلالها رجالنا بلاء حسنا ولم تعرف
خسائر العدو لرفعها من الميدان أولا فأولا »

هزيمة الانجليز في معركة عزبة خورشيد

وفي ٢٧ يوليو ظهر قطار مقل لعساكر انجليزية آتيا من
سكة القبارى ، فلما قرب من المقدمة بمسافة (١٥٠٠ متر)
أطلق عليه البكباشى محمد افندى حشمت مدفعا عظيما من
نوع كروب ، فأصاب القطار وأوقف سيره ، فنزلت العساكر
وتقدمت الى الامام بقيادة الجنرال (اليزون) الذى رتب
جيشه على اربع فرق تحت حكمدارية الميرالاي (طوسون)
والماجور (سترنج) والقبودان (ادج) فى صورة قلب
وجناحين ، فلما قربوا على مسافة ٨٠٠ متر اشتبكوا فى
القتال مع أورطة محروت افندى البكباشى وأورطة المستحفظين
حكمدارية محمد افندى فودة الذى أظهر من الشجاعة
ما يقصر اليراع عن وصفه . ولما اشتد القتال بين الطرفين
تقدم الرجل الشجاع احمد بك عفت حكمدار المقدمة ومعه
أورطة سليمان افندى تعيلب ، وأورطة رزق افندى
حجازى البكباشى ، وأصلوا العدوانا حامية ، ثم قام فى الحال
طلبة باشا عصمت قومندان فرقة كفر الدواز ، ومعه
الالاي برنجى سوارى حكمدارية احمد بك عبد الغفار ،
وحرك الأورط جهة المقدمة ، فتقارب الجيشان واختلط
الفريقان وتقاتلوا بالسلاح الأبيض وجها لوجه ، ولما أظلم
الليل وضعفت قوة العدو قفل راجعا متقهقرا وعساكرنا فى
أثره تأخذ عليه الطرق ، وتضيق عليه السبيل وتضربه حتى
حال الظلام بين الفريقين . وكان ابتداء القتال فى الساعة
التاسعة نهارا (على الحساب العربى) وانتهأؤه فى منتصف
الساعة الثامنة . فمدة القتال ست ساعات

وعند تفقد عساكرنا وجد أن المستشهدين ٢٩ جنديا وصف ضباط واستشهد الملازم الشجاع احمد افندى على . وأما الجرحى فهم البكباشى محروت افندى الذى توفى بسبب جراحه ، واثنان من الملازمين و ٦٥ جنديا وصف ضباط

ولقد ابدى كل من الضباط والعساكر من الشهامة والثبات فى هذه الواقعة ما يستحقون من أجله الثناء الجميل فى الدنيا وعظيم الأجر فى الآخرة

أما خسائر العدو فكانت عظيمة وقد ترك عساكر الانجليز بميدان القتال ١٧ جثة منها الملازم (ديز) وصار دفنه فى جسر المحمودية وقد شوهه الكثير من عساكر الانجليز يحملون قتلاهم وجرحاهم ، وفى اليوم الثانى كانت ساحة القتال مشوهة بالدماء وآثار جر الموتى ظاهرة فيها

تلغراف الخديو بعد انحيازه الى الانجليز

فى ١٧ يوليو سنة ١٨٨٢ ورد تلغراف من رأس التين الينا بكفر الدوار يقول فيه : « اعلموا ان ما حصل من ضرب المدافع من الدوننم الانجليزية على طوابى الاسكندرية وتخريبها ، انما كان السبب فيه استمرار الأعمال التى كانت جارية بالطوابى ، وتركيب المدافع التى كلما كان يصير الاستفهام عنها ، كنتم تخفونها وتنكرونها . والآن قد حصلت المكالمة مع الأميرال فأفاد بأنه ليس للدولة الانجليزية مع الحكومة الخديوية خصومة ولا عداة ، وان ما حصل انما هو فى مقابلة ما كان من التهديد والتحقير للدوننمة ، وانه اذا كان بيد الحكومة الخديوية جيش منظم وممثل ومؤتمن ، فهو مستعد لتسليم مدينة الاسكندرية اليها ، وكذلك اذا حضرت عساكر شاهانية فالحكومة الانجليزية تحترمهم وتسلم المدينة اليهم ، فقد تحقق

من هذا أن الحكومة الانجليزية ليست محاربة مع الحكومة
الحدوية ، وانه تقرر من جميع الدول المعظمة فى المؤتمر
بأنه لا يصير مس امتيازات الحكومة ولا حريتها ولا مس
حقوق الدولة العلية ، بل هى تبقى ثابتة لها كما كانت
وأن يصير ارسال عساكر شاهانية لأجل استتباب الراحة
فى مصر . فلذلك يلزم أن تصرفوا النظر عن جمع العساكر
وكافة التجهيزات الحربية التى تجرونها بوصول أمرنا هذا
وتحضروا حالا الى سراى رأس التين لأجل اعطاء التنبيهات
المقتضية الشفهية على حسب أمرنا هذا ، وما استقر عليه
رأى مجلس النظار »

جوابنا على ذلك

تلفرافيا فى ١٧ يوليو ١٨٨٢

« مولاي

« فى شريف علم مولاي المعظم ان المحاربة التى وقعت
بيننا وبين الانجليز انما تسببت عن طلبات الاميرال
الانجليزى وبلغت مسامع عظمتكم ، وعرضت على مجلس
نظاركم « المنعقد تحت رئاسة سموكم » بحضور كثير من
ذوات البلاد المنتخبين ودرويش باشا نائب الحضره
السلطانية . ولما تحقق عند جميعهم ان هذه الطلبات مضره
بالحكومة الحدوية ومخله بشأن البلاد ، قر رأيهم على معارضة
طلب الاميرال ولو أدى ذلك الى الحرب

« وبناء على ذلك قرر المجلس المذكور لزوم زيادة ٢٥
ألف عسكرى وصدرت الأوامر الى المديريات بطلبهم ،
وقرر المجلس أيضا أن لا تطلق المدافع الا بعد اطلاق
طلقات من السفن الانجليزية . ولما ابتدأت السفن باطلاق
النار على مدينة الاسكندرية لم تقابله الا بعد ٢٠ طلقة ،
ولم يكن عندنا قبل وقت الضرب أدنى استعداد لاستمرار
الأوامر بعدم الاستعداد . ثم أعلن حضره رئيس مجلس

النظار وناظر خارجية حكومتكم الى جميع جهات الادارة
بأنه قد اشتبكت البلاد في حرب مع الانجليز وانها صارت
تحت الاحكام العسكرية كما هو حكم القانون في زمن
الحرب

« فلهذه الاسباب يا مولاي تكون حكومتكم الحديوية
المصرية محاربة لدولة الانجليز بوجه الحق والشرع ، ولم
يحصل من الحكومة ولا من عساكرها أدنى تحقير ولا ازدراء
بالدونمة كما هو معلوم لدى عظمتكم . وانما كان الحرب
عدوانا من الانجليز على الحكومة التي لم يبد منها أدنى شيء
يستوجب الحرب ، فان كان الاميرال أظهر في مخابرتة مع
سموكم انه عدل عن المحاربة الى المسالمة ، فذلك بعد وقوع
الحرب يعد طلبا للصلح وسعيا وراء تجديد العلاقات ، ولا
يجوز أن يكون انكارا للحرب وتبرؤا من العدوان بعد
وقوعهما ، ولا شك انى أوافق على أفكار سموكم في الميل
الى الصلح مع حفظ شرف البلاد والحكومة ، وان كان الاميرال
يريد تسليم المدينة لجيش حكومتكم المنظم بعد أن تخربت
بمدافع السفن الانجليزية هدمًا وحرقًا ، فها هو جيشها
المنظم الذى لم يقع منه أدنى أمر يخل بالنظام ، مستعد
لأن يتسلمها بعد أن تبرح المراكب مياه الاسكندرية . ولو
انها ضربت المدينة بمدافع سفنها . وللمحافظة على شرف
حكومتكم الوطنية ينبغى الاستمرار على الاستعدادات
العسكرية كما يوافق ذلك رأى سموكم أولا حتى تفارق
المراكب السواحل المصرية خوفا مما عساه أن يحدث من
قبيل ما سبق ، فقد صارت الحادثة الماضية برهانا جليا على
أن المسالمة بالوعد من الانجليز لا يمكن كمال الثقة به ،
وانما هو لأجل اشتغالنا عن الاستعدادات ، واقتراح
مطالب تضر بصلح البلاد . واننى كنت أتمنى أن أمثل
بين يدي عظمتكم لبدء هذه الملاحظات لو كنتم في عاصمة

بلادكم ، ولكن من الأسف أن تحقق عندنا تحيز سموكم
الى العدو المحارب لبلادكم ، بدليل رفضكم العودة الى
العاصمة وقت ارسال القطار الخديوى لسموكم ، واختياركم
الذهاب الى رأس التين ومعكم النظار وغيرهم من الذوات
بعد علمكم بأن المدينة مشغولة بعساكر الانجليز اجابة
لرأى المستر (كلفن)

« فان كنت يا مولاي حرا ، فيجب حضوركم الى عاصمة
البلاد ، وان كنت أسيرا لدى الانجليز أو متحيزا اليهم ،
فلا يمكن التسليم بقبول ما يكتبه العدو عن سموكم ، أو
عن لسان رئيس النظار وزملائه والأمر لمن له الأمر
(الامضاء) ناظر الجهادية

أحمد عرابي

وأرسلت كتابا الى وكيل الجهادية يعقوب سامى باشا فى
١٧ يوليو سنة ١٨٨٢ ، هذا نصه :

« لا يخفى على سعادتك ما حل بالديار المصرية الشاهانية
من البلاء الذى كان نتيجة الدسائس ، التى كانت عاقبتها
جلب المراكب الانجليزية بقصد العدوان على بلادنا الاسلامية
وعند حضورهم واقامتهم بثغر الاسكندرية ، أخذوا فى
اقتراح التكاليف الباهظة علينا ، مثل أمرهم لنا بتنزيل
المدافع من الاستحكامات واعطائهم ما وراء طابية المكس من
الأراضى ليتخذوها معسكرا لهم ، وغير ذلك ، ولذا اجتمع
مجلس فوق العادة بأمر الخديو مؤلف من حضرات النظار
وعدد غفير من الذوات المدربين تحت رئاسة الخديو . وبعد
التذاكر فى اقتراحات الانجليز ، قرر المجلس المشار اليه
حفظ شرف الأمة وكرامتها بالمدافعة عن العرض والوطن ،
وكان ذلك بحضور حضرة درويش باشا مندوب الحضرة
السلطانية

« وبعد أن تمت هذه المذاكرة فاجأتنا مراكب الانجليز

واخذتنا على غرة منا وضربت المدافع على مدينة الاسكندرية ،
ولما تم عدد الطلقات ٢٠ طلقة وكانت المدافعة واجبة شرعيا ،
قابلناهم أيضا بالضرب واستمر الحرب بين الفريقين نحو
١٠ ساعات دمروا في غضونهما أغلب طوابى الثغر المذكور
وأحرقوا مساكنه ففر جميع الأهالى من المدينة

« ولما حصلت المخابرة مع الأميرال فى الصلح والاكتفاء
بما حصل ، أبى وتجبر وتوعدنا بحرق المدينة وتدميرها
بعد ساعة ونصف ان لم تسلم اليه جميع الطوابى

« هذا وقد حصل الحذلان ودب الفشل بين قلوب العساكر ،
فتركوا مراكزهم وفروا الى مداخل البلاد ، ولذلك توجهنا
بمن أمكن حجزهم من العساكر الى كفر الدوار واتخذناه
مركزا للدفاع عن البلاد ، وأمرنا بسرعة جمع العساكر
الفارين فحضرنا عاجلا بواسطة السكة الحديدية . ثم أرسلنا
القطارات الحديدية لتقل الحديو ومن معه الى عاصمة البلاد
فما كان منه الا أن التجأ بمن معه من الخدم والذوات
وعساكر الحرس الى الاسكندرية وعند وصولهم الى رأس
التين استقبلتهم الانجليز بالترحاب ، وفى الحال جردوا
عساكرنا الذين كانوا حرسا على الحديو من السلاح وأخذوا
خيولهم واستخدموهم خدما لهم مرشدين فى أنحاء المدينة
التي خربوها وكانوا يقتلون كل قابله من الوطنيين
ثم صدر أمر الحديو الى رئيس مخبز اسكندرية بارسال
الخبز الى عساكر الانجليز ومنعه عن العساكر المصريين

« وقد تلقينا الآن التلغراف المرسل من الحديو وهو
مرسل مع هذا لسعادتك ومعه أيضا صورة الرد الذى
أرسل منا اليه لكى تعقدوا مجلسا من الذوات والعلماء
ومجلس النواب والأعيان وتطرحوا هذه الأحوال أمامهم
للمذاكرة فيها ، والبت فى السير على خطة تقررونها ثم
تحررون قرارا بما ترونه فى صالح البلاد وعمما اذا كان

يجوز شرعا وقوع ما حصل من الخديو من التحيز الى العدو
المحارب لبلاده أم لا ؟

« وبعد امضائه فيدونا للعمل بموجبه ، وداوموا على
اهتمامكم بالتجهيزات العسكرية أفندم »



المؤتمر الوطني

اجتماع الداخلية

بناء على الكتاب الذى أرسلناه الى وكيل الجهادية يعقوب باشا سامى - وهو المنشور فى الفصل السابق - دعا كثيرا من الذوات والاعيان وكان عدد الذين لبوا الدعوة نحو ٧٠ شخصا والاجتماع فى ديوان الداخلية ، وبعد المداولة والمذاكرة قرر الحاضرون وجوب الاستمرار فى اعداد التجهيزات الحربية واستدعاء النظار من الاسكندرية وهذا نص القرار :

« فى بداية الحرب بيننا وبين الانجليز كتب عطوفة رئيس النظار وناظر الخارجية الى جهات الادارة بأن الحرب انتشبت بيننا وبين الانجليز وصارت الاحكام عرفية ، وانه من اللازم الاستعداد للمقاومة، ثم وردت منه افادة تلغرافية بعد ذلك بأيام مقتضاها حصول الصلح والتنبيه على المصالح أن تسير سيرا مدنيا وانها خرجت من الاحكام العرفية . وبعد ذلك صدرت افادة من ناظر الجهادية الى جهات الحكومة يصرح ببقاء البلاد تحت الاحكام العرفية وان الحرب لم تزل قائمة بيننا وبين الانجليز وبوجوب الاستمرار على التجهيزات والاستعدادات الحربية ما دامت عساكر الانجليز فى مدينة الاسكندرية ومراكبهم فى مياهها

« وصدرت ارادة سنية من الجنب الخديو لناظر الجهادية مقتضاها أن لا حرب بيننا وبين الانجليز ، وان السبب فى الحرب هو مداومة الاستعداد فى الطوابى الذى يعد تحقيرا لمراكب الانجليز . فضرب المراكب لاستحكاماتنا ولمدينة الاسكندرية ليس حربا ضد الحكومة ، وانما هو من قبيل

رد الشرف وليس هنالك حرب حقيقية الى آخر ما جاء
بالارادة . . فأجاب ناظر الجهادية بأن الحرب كانت بقرار
من مجلس عام انعقد تحت رئاسة الحضرة الحديوية ، وأيد
ذلك اعلان مجلس النظار الى آخر ما ذكر في ذلك الجواب
ثم وصل عرض حال من مخبز حى القبارى بالاسكندرية
لسعادة ناظر الجهادية يشكو من صرف الحيز للعساكر
الانجليز ومنعه عن عساكرنا بأمر الحديو . وورد للناظر
الموما اليه معلومات عن أعمال العساكر الانجليز في
الاسكندرية فدل على معاداتهم للمصريين وانهم محاربون
لهم كما يؤخذ من رسالاته . ثم ان ناظر الجهادية
المشار اليه طلب فى احدى رسالاته لوكيل الجهادية بأن
يشكل مجلسا عاما من علماء البلاد وأمرائها وأعيانها
ونوابها للنظر فى هذه الأمور المهمة . وبناء على ذلك انعقد
مجلس ليلة غرة رمضان سنة ١٢٩٩ هـ فى نظارة الداخلية
مؤلف من سعادة وكيل الجهادية وسعادة وكيل الداخلية
حسين باشا الدرهملى ووكيل الحقانية بطرس باشا غالى
وسعادة على باشا فهمى وناظر الدائرة السنية سعادة أحمد
باشا نشأت . وكل من سعادة دانش باشا ومحمود سامى
باشا ومحمد باشا رضا وحضرات باشكاتب المالية وأحمد
بك رفعت رئيس المطبوعات وأمور ضبطية مصر ابراهيم
بك فوزى وعلى بك يوسف وأحمد بك فرج وحسين بك جاد
» وبعد المداولة قرر المجلس المذكور انعقاد مجلس فى
هيئة مؤتمر عام يشكل من أكابر العلماء والرؤساء
الروحانيين من الطوائف المختلفة وأمورى الحكومة الحائزين
على الرتبة الثانية فما فوقها وأمراء العائلة الحديوية وأكابر
الذوات المتقاعدين وأعيان التجار وأن يكون انعقاده فى
نظارة الداخلية يوم الاثنين غرة رمضان سنة ١٢٩٩ هـ
» وفى الميعاد المذكور انعقد المجلس تحت رئاسة سعادة

وكيل الداخلية من عدد كثير من كل طبقة من الطبقات المذكورة ، وتليت عليهم الأوراق المتعلقة بالمسألة المتقدمة ، وطلب منهم النظر فيها لكونهم أعيان البلاد وأصحاب الصالح المهم فيها ، فقر رأى الجميع بعد المداولة على ما يأتى :

أولا - يلزم طلب حضور الحديو والنظار الى العاصمة ، ان كانوا أحرارا ولزوم الاستمرار على التجهيزات الحربية ، ما دامت عساكر الانجليز فى مدينة الاسكندرية ومراكبهم فى مياهها

ثانيا - تعيين لجنة مؤلفة من مندوبين من طرف المجلس العام ليتوجهوا الى الاسكندرية ويبلغوا سـمـو الحديو وحضرات النظار قرار المجلس ثم يدعوهم الى العاصمة ، ان كانوا أحرارا ٠!

وقد انتخب المجلس على باشا مبارك وزير الاشغال سابقا فى زمن الاستبداد رئيسا لهذه اللجنة وأعضاؤها رؤوف باشا حاكم السودان سابقا ، وأحمد بك السيوفى من الأعيان ، والشيخ سعيد الشماخى وكيل دولة مراكش فى مصر والشيخ على نایل والشيخ أحمد كبوه من العلماء وقد انتهت الجلسة فى الساعة الحادية عشرة بالتوقيت العربى من اليوم المذكور

الفصل الخامس

وفد المؤتمر الى الحديو

بناء على قرار المؤتمر السابق خرج الوفد المعين من الذوات الى معسكر كفر الدوار أولا ومنه توجهوا الى الاسكندرية على ظهور الخيل ومعهم الحرس اللازم ، وفى صباح ٢٣ يوليو اجتمعوا بالحديو والنظار وأخبروهم بمهمتهم . وعلى ذلك صار حجز على باشا مبارك وأحمد بك السيوفى بالاسكندرية ورجع محمد باشا رؤوف والشيخ

سعيد الشماخي والشيخ نايل والشيخ أحمد كبوه وكذلك
اسماعيل باشا حتى أبو جبل لضعفه . وكان رجوعهم
بمقتضى تصريح خصوصى من قائد الانجليز . وعند رجوعهم
أخبرونا وبالتالي أخبروا المجلس بأن الحديو أسير عند
الانجليز ولا يمكن رجوعه الى مصر

وبعد ذلك ورد الى أمر من الحديو توفيق بعزلى من نظارة
الجهادية هذا نصه :

« الى أحمد عرابى باشا فى ٤ رمضان سنة ١٢٩٩ هـ و ٢٠
يوليو سنة ١٨٨٢

« ان سفرك الى كفر الدوار مصحوبا بالجنود وخروجك
من الاسكندرية بعد القتال ، وتعطيلك الخطوط الحديدية
والبريد ، ومنعك لمهاجرى الاسكندرية من العودة الى
أوطانهم واستمرارك على اعداد التجهيزات الحربية وعدم
امتثالك لأوامرنا ، والقدوم الى الاسكندرية ، كل ذلك
أجأنا الى عزلك من وظيفتك فأنت بمقتضى هذا الأمر
المرسل اليك معزول منذ الآن من نظارتى الجهادية
والبحرية »

ثم أشفع هذا الاعلان بمنشور علق فى شوارع المدينة
بين فيه الأسباب التى دعت الى عزلى وأوضح أن نزول
العساكر الانجليزية الى المدينة ، لم يكن بقصد التبوؤ
والاستيلاء ، فان المؤتمر القسطنطينى لا يوافق على ذلك ،
بل سيعود الانجليز الى بلادهم بعد استتباب الأمن والراحة
فى أنحاء البلاد المصرية واعادة سلطة الحديو المسلوبة

وقد أرسل هذا المنشور مع منشور آخر من الاميرال
سيمور بالمضمون عينه يعترف فيه بأن العمارة الانجليزية
تعود الى انجلترا بعد تأييد سلطة الحديو واعادته الى مركزه ،
وان لا مطمع للانجليز فى الاستيلاء على البلاد المصرية ،

وارسلت تلك المنشورات الى رؤساء المراكز العسكرية وعمد البلاد ومشايخ العربان

وفي اليوم المذكور حضرت سفينة الى أبى قير وسلمت أمر الحديو المؤذن لى بعزلى ومنشور الحديو والأميرال الانجليزى الى خورشيد باشا طاهر حكمदार النقطة المذكورة، فأرسلها الينا بأفادة من طرفه ، وعندما وصلتنا بعثناها برمتها الى رئيس المجلس بالقاهرة لفحصها واعطاء القرار من المجلس بما يراه

المؤتمر يعزل الحديو

انعقد المؤتمر العام فى ديوان الداخلية فى ٢٢ يوليو سنة ١٨٨٢ و ٦ رمضان سنة ١٢٩٩ وبعد تلاوة الاوراق المعروضة للتذاكر فى شأنها صدرت فتوى شرعية من الشيخ العارف بالله شيخ الاسلام والمسلمين السيد محمد عليش وشيخ الاسلام الشيخ حسن العدوى والشيخ الخلفاوى وغيرهم من العلماء بمروق الحديو توفيق باشا من الدين مروق السهم من الرمية لحيانته لدينه ووطنه وانحيازه لعدو بلاده وقر قرار المجلس بما يأتى :

« بعد تلاوة الاوامر الصادرة من الحديو توفيق باشا أولا وآخرا ، وفيها الامر الصادر الى أحمد عرابى باشا وتلاوة منشورات عرابى باشا ، وبعد سماعنا ما عرضه وكيل الجهادية بصفته بهذه الوظيفة وكونه رئيس المجلس المشكل لادارة أشغال الحكومة على المجلس ، وهو : « هل وجود الحديو فى الاسكندرية هو ونظاره تحت محافظة عساكر الانجليز يقتضى عدم تنفيذ أوامره أم لا ؟ » واذا صدرت له أوامر من الحديو هل يعمل بها أم لا ؟ » رأينا أن وجود العساكر الانجليزية فى الاسكندرية وبقاء مراكبهم الحربية فى السواحل المصرية ووقوف عرابى باشا لمدافة

العدو يقضى وجوب بقاء الباشا المشار اليه فى نظارة
الجهادية والبحرية مداوما على قيادة العسكر متبعا فى أوامره
المتعلقة بالعسكرية وعدم انفصاله عن تلك الوظيفة .
ورأينا وجوب توقيف أوامر الحديو وما يصدر من نظاره
الموجودين معه فى الاسكندرية كيفما كانت ولاى جهة
من الجهات وعدم تنفيذها حيث ان الحديو خرج عن قواعد
الشرع الشريف والقانون المنيف ويلزم عرض قرارنا هذا
على الاعتاب الشاهانية بواسطة وكلاء النظارات

وبعدامضاء هذا القرار عرض مضمونه بواسطة التلغراف
على الحضرة السلطانية ، وصار ابلاغه لينا رسميا والزمانا
بالمداومة على الدفاع واعطائنا لقب (حامى البلاد المصرية)

مراوغة على باشا مبارك

وفى ١٢ رمضان سنة ١٢٩٩ (١٨ يوليو ١٨٨٢) وردتلغراف
من على باشا مبارك رئيس الوفد الذى أرسل من المجلس العام
الى الاسكندرية لمقابلة الحديو واستدعائه الى القاهرة بمن
معه من النظار ، قال فيه : « بحمد الله تعالى وصلنا الى
الاسكندرية وأخذنا نسعى فى الاشتغال بالمأمورية المحولة
على عهدتنا من قبل المجلس المنعقد بالقاهرة . وفى علم
سعادتكم أهمية مأموريتنا وما تحتاجه من المذاكرات ، فلاجل
الوصول الى الغاية المقصودة فى الزمن القليل ، يلزم أن
تكون المخابرات بيننا وبين سعادتكم بواسطة التلغراف
فربما ينتج منها فائدة للوطن وحفظه من الغائلات . ثم
أعرض على سعادتكم انه قد تقرر تشكيل قومسيون يكون
مركبا منا ومن بعض الذوات يجتمع مع قومسيون ممن
تعينونه وتعتمدون عليه من أمراء العسكرية يجتمعون فى
محل يصير تعيينه بالاتفاق للمذاكرة فى الأحوال الحاضرة
حتى تؤمل الحصول على نتيجة توافق الجميع وتزيل هذه

النازلة عن وطننا العزيز فان راق لكم فلتعينوا المحلل
والذوات العسكرية وفيدونا بما ترونه أفندم »

فرددت على على باشا بما يأتي :

« نحمد الله على وصول سعادتك بالسلامة ، وبعد فاننا
تشرفنا بورود تلغراف سعادتك الذي به تطلبون منا تعيين
قومسيون من العسكرية لانضمامه مع قومسيون يتشكل
من سعادتك وبعض الذوات للمذاكرة في الأحوال الحاضرة .
وحيث انه من المعلوم لنا انه قد صار عقد مجلس حافل
عمومي بمصر من ذوات العسكرية والملكية والعلماء
والتجار والأعيان والرؤساء الروحانيين ، وكنتم سعادتك
من ضمن الموجودين به وما كان عقد هذا المجلس ألا للنظر
في الأحوال الحاضرة ، واتخاذ التدابير اللازمة لوقاية
البلاد . وقد قرر ذلك المجلس كما تعلمون سعادتك بوجوب
استمرار التجهيزات الحربية وبارسال سعادتك مع من تعين
معكم للأمورية مخصوصة ومحدودة . ومن هذا ترى سعادتك
انه لا يوجد لي أدنى صفة أو حق لتعيين قومسيون من طرفي
ولا أدري الغرض منه بعد قرار المجلس الذي عقد بالقاهرة
على اني لست مستقلا بعمل أمر ما ، بل اني مطيع ومنقاد
في أي حال لما تأمر به الأمة . ولهذا فاني متأسف لعدم
امكاني اجابة طلب سعادتك »

وفي ٢٣ رمضان سنة ١٢٩٩ الموافق ٨ أغسطس سنة
١٨٨٢ صدر منشور من الخديو الى جميع المصريين وهذا
نصه :

« نحن خديو مصر نعلن لجميع المصريين ان عرابي باشا قد ارتكب آثاما
فظيعة جلبت خسائر لا وصف لها على مصر وأهلها وجعلت الدول الأوروبية
ناقمة عليها ، فانها باتت الآن تعتبر المصريين أمة غير متمدينة . فهذه
الجرائم والآثام منحصرة في عصيان عرابي المذكور ، وتحريضه للقوم على
السير تحت لواء العصيان وفي الدسائس التي نشأت عنها مذبحه الاسكندرية
وغيرها من البلاد فأوقفت فيها حركة التجارة وعطلت أعمال الزراعة ثم في
عصيانه لأوامر جلالة السلطان الأعظم وهي الأوامر التي صدرت اليه

بالانقطاع عن التظاهر بالعدوان في الاستحكامات والحصون مما بات معلوم
النتيجة من هلاك نفوس وتدمير قلاع وخراب أبنية

« وبعد أن بدد عرابي في أقل من ساعة شمل سكان الاسكندرية الذين
نهبهم أضرم النار فيها ، وخرج منها بجيشه قاصدا كفر الدوار ، حيث
عسكر بقومه من غير علمنا وبغير ارادة منا ، فبعث ذلك على نزول الانجليز
الى المدينة لاطفاء النار المضرة فيها ومنع النهب والمحافظة على الراحة

« وفوق ذلك منع المهاجرين من العودة الى أوطانهم وقطع ما بينهم وبين
أهلهم وسائل الصلة والعلاقة ، وقطع الماء عن الاسكندرية وأعلن جهرا
عصيانه بأكاذيبه الظاهرة ، فبدلك عد عاصيا ومستحقا لاشد العقوبات
بمقتضى الشرع الشريف

« ولا يزال مع ذلك عاملا على تعميم الخراب بمساعدة جنده والاهالي
المحتزين معه المنقادين لأرائه الوخيمة ، وقد تجاوز الحدود بعصيانه
بما يفوق الوصف ، فقد استولى على أموال الضرائب وعزل كثيرين من
موظفي الحكومة ، واستبدلهم بغيرهم في حالة كونه معزولا من وظيفته
معدا للعقاب الصارم الشديد

« ولقد رأينا ان قلوب كثير من رعيتنا لا تزال قاسية مائلة الى عرابي ،
بالرغم من أوامرنا السابقة فلذلك أصدرنا هذا المنشور الآخر معلنين فيه
أن كل شخص يعرف عنه انه ذو ضلع مع عرابي وميل اليه ، عددناه عاصيا
مستحقا لجزاء العصيان

« فرحمة بمصر وأهلها نستأنف الآن اعلاننا للمصريين عموما والجنود
خصوصا ان كل من أصر على عصيانه وانقياده الى عرابي كان مذنبا امام
الله غير مقبول العذر لدينا ، فنجرده مع ولده وذويه من جميع الرتب
والرواتب ومعينات التقاعد وسائر الامتيازات التي كان تتمتع بها (حكم
جائر استبدادي لأن الله سبحانه يقول : « لا تضار والدة بولدها ولا
مولود بولده » ولكنه اغتر بقوة الانجليز) !

« وليعلم المصريون اننا نحن أميرهم ومولاهم وأن لا يرتكبوا عصيانا علينا
وليعلم كل منهم أيضا انه اذا أدى للعاصي عرابي أو لاتباعه أموال الضرائب
كانت تأديته للمال غير محسوبة لدينا بل اننا نطالبه بها يوم تنقشع عن
سماء مصر غيوم التكبات العرابية »

وجاء في كتاب مصر للمصريين للنقاش في صفحة ١٣٩
جزء ٥ ما يأتي :

« وبعد أن أصدر الخديو هذا المنشور بعث الى أركان
حرب الانجليز بكتابة يهنئهم فيها على نجاحهم في الوقائع
الآخرة ! »

وقد رددنا على هذا المنشور الجائر بمنشور أصدرناه

الى جميع فروع الحكومة ورؤساء الجيش ، وهو :
وفي ٢٨ رمضان سنة ١٢٩٩ الموافق ١٣ أغسطس سنة
١٨٨٢ أصدرنا منشورا الى رؤساء الجيش فى المراكز
الحربية والمديريات وجميع فروع الحكومة وهذا نصه :

« قد أوجب الله علينا اعداد ما نستطيعه من القوة
لقتال الامة الانجليزية التى اعتدت على البلاد طمعا وشرها ،
وبادأتنا بالحرب بغيا وعدوانا . وقد قام به أحسن قيام
على قدر شأن كل حر مخلص شهيم على الهمة شريف الذمة
من رجال البلاد عموما ونظراء سعادتك من حضرات المديرين
خصوصا . وبغناية الله واتحاد الجميع ذلك الاتحاد الذى
هو أثر الغيرة الوطنية والحمية الانسانية ، قد أدركت البلاد
فى زمن يسير من عظيم القوة وجليل الاستعداد ما لم يخطر
بالبال قبل الآن . ولا يخفى انه من أجل ما يجب القيام
به الحرص الزائد على الدقيقة الواحدة ، بل اللحظة الواحدة
من زمن المحاربة ، فلا تفوت الا وتكون قد صرفت فى حسن
التدبير واصالة الراى فى النكاية بالعدو ، رده الله على
عقبيه خاسئا خاسرا

« وانه مما وجب اعداده لذلك هو زيادة الجند ٢٥ ألف
عسكرى ، فبناء على ذلك وما تراءى من أن هذا العدد اذا
شرع فى جمعه بحسب القرعة العسكرية ، فقد يجتمع من
الشبان ما يلزم لتدريبهم وتمارينهم على حمل السلاح
وحركات الدفاع وقت لا يحسن تقويته الا بأعظم ما يمكن
من الفائدة لما مر

« وحيث ان خفراء البلاد المرتبين من الأهالى هم بالطبع
أكثر من غيرهم تعودا وتمرنا على حمل السلاح والحركات
الدفاعية وأشد قوة وبأسا ، وأثبت جأشا لدى المقاومات
العدائية ، وقد يتيسر جدا جمع هذا العدد من هؤلاء الخفراء
وحشده مع الجيش فى زمن وجيز وبحالة أقرب وأسهل
مما لو جمع من غيرهم بالقرعة العسكرية - فعليه يجمع

هذا العدد من المديریات ، بحيث تسرع فى جمعه من الخفراء المذكورين - وكل بلدة وما يخصها منه - وقد خص مديرية سعادتك من العدد المذكور كذا نفرا ، فالقصد مزيد الاعتناء والاسراع فى جمع العدد الموما اليه بعد تخصيصه على بلاد المديرية من نفس الخفراء المذكورين ، ثم يجرى تفهيم كل واحد منهم بأنه فى نظير تلبيته لدعوة هذه الخدمة الوطنية الشريفة مع المسرة والبشر شأن الحريص على شرف قومه فانه بعد انتهاء الحرب بنصرنا ، وظفرنا بفضل الله تعالى ، يكون معافى من الخدمات العسكرية . ويصير ارسال الانفار المذكورة بالافادات المقتضية كالجارى ، أما الخفراء الذين يلزم ترتيبهم بدلا من المذكورين فيجرى انتخابهم وتعيينهم فى محلات دركات أسلافهم فى الحال ، حسب ما يلزم ، واقتضى تحريره ونشره للاجراء على مقتضاه ،

كرم المصريين ونجدتهم

قامت هذه الحرب الشعواء وليس فى خزانة الحكومة درهم لأن المراقب الانجليزى المستر (كولفن) أخذ الاموال من خزينة المالية وأنزلها فى الدونمة الانجليزية قبل اعلان الحرب بأيام ، وكذلك الاموال الموجودة فى صندوق الدين العمومى قد حملها أعضاء قومسيون الصندوق الى المراكب الحربية حيث آمنوا عليها

وفى ١٥ يوليو سنة ١٨٨٢ وردت اشارة تلغرافية من رئيس مخبز القبارى بأنه موجود بالمخبز ٣٥٠ ألف اقة بقسماط ويخشى من أن عساكر الانجليز يأخذونها . فأخذت لاستحضار ذلك القائممقام محمد بك نسيم لما توسمته فيه من الغيرة الوطنية وأمرته أن يأخذ قطارا بعربات فارغة لشحن البقسماط الموجود بمخبز القبارى ويأتى به الى كفر الدوار ، فصدع بالامر ، وأخذ القطار وتوجه الى

القبارى باسكندرية ولكن - يا للأسف - خاب ظنى فيه ،
فانه بعد وصوله الى الاسكندرية ترك القطار وتوجه الى
رأس التين ، وأخبر الحديو بدخيلة أمره ، فأمر الحديو
بحجز القطار ، وصرف البقسماط الى الجيش الانجليزى ،
ومنعه عن عساكرنا ، وكان ذلك الشاب الممتلىء غيرة
ونشاطا ، أى محمد بك نسيم أول من ترك الجيش وانضم
الى جانب الحائنين لوطنهم ، ثم اقتدى بعمله هذا القائمقام
أركان حرب محمد بك لبيب والبكباشى عبد الرزاق نظمى
الذى قتل بعد ذلك فى حرب الدراويش بسواكن

وبناء على ذلك تحرر من المجلس العام الى المديرية
بتحصيل الأموال من الأهالى عن كل فدان عشرة قروش ،
ومن شاء أن يتبرع بشئ اعانة لآخوانهم المجاهدين فى
سبيل المدافعة عن وطنهم وحفظ كرامتهم وشرفهم ، يقبل
منه مع اعلان الشكر

ولما أعلن ذلك جاءت الأمة على اختلاف مذاهبها ونحلها
بالمال والغلال والحيل والجمال والأبقار والجواميس والاغنام
والفاكهة والحضروات حتى حطب الحريق . فمنهم موسى بك
مزار الرجل الوطنى البحت ، فقد تبرع بألف وثلثمائة
ثوب بفتة وثلاثين عجل بقر عن طيب خاطر ، ومنهم والد
الحديو اسماعيل ، فقد تبرعت بجميع خيول عرباتها ،
وجارها فى هذا المضمار باقى أفراد العائلة الحديوية .
وكذلك حرم خيرى باشا رئيس الديوان الحديوى وحرم
رياض باشا وكثيرين غيرهم من الذوات رجالا ونساء ، كل
ذلك فضلا عما مدوا به الجيش من الأقمشة والأربطة
اللازمة لتضميد جراح العساكر وغيرهم . ومن الأهالى من
تبرع بنصف ما يمتلكه من الغلال والمواشى ، ومنهم من
خرج عن جميع مقتنياته ، ومنهم من عرض أولاده للدفاع
عن الوطن لعدم قدرته على الدفاع بنفسه

وبالجملة فان الامة المصرية عن بكرة أبيها قدمت من التبرعات وأظهرت من النخوة والغيرة ما لم يسبق له عهد في القرون الحالية ، أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجزى الامة خير الجزاء وأن يرد لها حريتها واستقلالها

الحق أقول أن الامة المصرية على اختلاف مشاربها كانت شديدة التحمس والنهوض لقتال الانجليز الطامعين في بلادهم وكان نبهاؤها يعقدون الاجتماعات ويلقون فيها الخطب الحماسية والقصائد الدالة على كبر نفوسهم * ومن هؤلاء الخطباء والشعراء : الشيخ أحمد عبد الغنى ، والشيخ سيد المرصفي ، والسيد عبد الله نديم ، والشيخ محمد أبو الفضل ، والشيخ محمد فتح الله وغيرهم ، ومن ذلك قصيدة للشيخ أحمد عبد الغنى قال في مطلعها :

لعمرك ليس ذا وقت التصابي ولا وقت السماع على الشراب
ولكن ذا زمان الجد وافى وذا وقت الفتوة والشباب
ووقت فيه الاستعداد فرض لتنفيذ الأوامر من عرابي

وقال الشيخ علي المليجي في خطبة له : « قد مرت بنا في الزمن السالف أيام غير صافية العيش للمسلم وما ذاك الا لعدم الحمية الاسلامية في حكامه الذين كانوا كالليل المظلم اذ كانوا منهمكين في ميادين حظهم الدنيوى ، وعن الدين غافلين وقد ظهرت الآن البشائر بعز المسلمين وسطوتهم حيث قد اعتدل حكام الوقت أيدهم الله بالأخذ في أسباب قوة الدين ورد ما ضاع من شوكتهم باذلين الهمة في التوصل الى ما يبعد الامة عن التشويش ولما يكونون به آمنين اذ قد شرع رئيس المجاهدين أحمد عرابي المؤيد بنصر من عند ربه في المدافعة عن حوزة الامة ورد من كانوا في تشويشها أول سبب وباع نفسه وجيشه للجهاد في سبيل الله .. »

وقال الشيخ محمود ابراهيم في خطبة له بأسويط :

« أما بعد فإن الانجليز قد طاشت عقولهم وعميت بصائرهم فلم يحسنوا الضروريات فساموا بسوق أموالنا وديارنا نفيسها ، وساقوا إلينا من زيف المعارضات خسيسها ، وقابلوا تحيتنا بخداع ، وفتشوا أكنافنا لغدرا ضمروه ليوم النزاع ، ونحن لما جبلنا عليه من محاسن الإيمان وفينا لهم بعقد الذمة والأمان فعاملناهم بالحسنى وجبرنا ما كان فيهم ضعفا ووهنا فلما صحت أبدانهم وعمرت أوطانهم لم يقنعوا بذلك بل طلبوا التصرف فينا تصرف المالك ، فنسأل الله أن يكون سعادة أحمد عرابي باشا هو المشار إليه في حديث « يبعث الله على رأس كل مائة سنة من يجدد لهذه الأمة أمر دينها » ، فإن البشائر دلت عليه ليمزق البغاة كل ممزق ، ويحیی المندوب والمفروض للدين الموفق وتموت البدع التي أسود القطر بظلماتها ويختفى بلاء الظلم بأرجائها وحاش أن يجعل الله ديار أهل بيت نبيه في ذمة كافرين جعل الله سعادة أحمد عرابي باشا وجنده الظافرين »

وجاء في خطبة الشيخ محمد أبى الفضل التى ألقاها فى جامع الحنفى بالقاهرة : « قد تميز الغث من السمين ، واستبان أن الانجليز جاءوا محاربين يريدون - لا أمكنهم الله - سلب الأموال وهتك الحرم ، وقد جاءوا بمكر وخداع يصطادون بشباكهم الأوطان من غير قتال أو دفاع ، كما هو ديدنهم القبيح فى كل اقليم ، فيقظ لذلك العقلاء والشجعان وذبوا عن الأعراض والأوطان »

وقال الشيخ حميده الدمهورى فى خطبة له :

« أعدوا لأعدائكم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ما ترهبون به عدو الله وعدوكم وكونوا لدين الله من المنتصرين تفوزوا برضى المولى اللطيف الخبير • وقوموا لمحاربة أعداء الله وأعدائكم الطغاة السفاة وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ، ويكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير • الجهاد فرض الآن علينا واجب لدخول الأعداء فى بلادنا

محاربين . فمن أتى بواجب الجهاد أحرز فضله ومن تطوع خيرا فهو خير له . فالسعيد من سارع الى اغتنام الأجر من الله العلي الكبير . . »

وجاء في خطبة أخرى للشيخ محمد أبو الفضل :

« ومصرنا هذه قد كادت أن تكون دار حرب لا دار سلام فقد أهين فيها الوطنى وعظم اللثام حتى صاروا رؤساء الدواوين فطفغوا وبغوا وحق عليهم المثل السائر : وعلى الباغي تدور الدوائر، فحكموا بالبنود والقوانين فعظم البلاء واشتد وزاد الكرب واحتد وكان ما علمتم من الحركات وكم لله فى الحركات من بركات »

وقد نظم الشيخ أحمد سيف البارى قصيدة جاء فيها :
إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابينا يمينا
ونظم الشيخ السيد المرصفى قصيدة أخرى كان مطلعها :
يا صاح قم واشكر الهك واحمد

فالدین منصور على يد أحمد

وهكذا كانت المقالات الضافية الذیول والخطب المسهبة والقصائد تتلى وتلقى فى مجالس المصریین ومنتدياتهم من غیر انقطاع تحميسا للامة وتشجيعا لها ومن ذلك قول بعضهم معرضا بذكر ولسلى وسیمور فى بیت السموءل :
وانا لقوم لا نرى القتال سبة اذا ما رآه ولسلى وسیمور

افتراء الشيخ حمزه فتح الله

من الأقوال الماثورة ما روى عن النبى (ص) انه قال :
« لا تعلموا أولاد السفلة العلم » وهو قول حكيم ، لانهم يتخذون العلم ذريعة لتضليل العامة ، وآلة للتلبیس على الناس . ينصرون الباطل على الحق ابتغاء حطام يسير ، أو ابتسامة أمير ، أضلهم الله على علم فهم لا يهتدون . ومصدق ذلك أن الشيخ حمزه فتح الله الادكاوى ، نسبة الى ادكو ،

وهى قرية صغيرة بين رشيد وأبو قير على ساحل البحر المتوسط أغلب أهلها حاكّة ، وصيادون • والشيخ المذكور كان حائكا ابن حائك ثم تعلم العلم ، وبعد ذلك تركه ، وانقطع لفن الصحافة ، فأنشأ جريدة البرهان ، ثم ذهب مع الحديو الى الاسكندرية ، حين تحيزه للانجليز ، وكتب مقالة مفتراة ، نشرتها جريدة الاعتدال التى أنشئت اذ ذاك وقد ضمنها من الأكاذيب والمؤتفكات ما يعجز عن الاتيان بها مسيلمة (الكذاب) قال فيها :

« ربنا لا تهلكنا بما فعل السفهاء منا • عباد الله لستم تجهلون اننى طالما ناديت فى جريدة البرهان ، بأن لاسبيل لنجاح الأمة الاسلامية سوى اقامة الدين المبنى على مكارم الاخلاق • والذى من مقتضياته حسن المعاملة ، والرفق بالذميين والمستأمنين والمعاهدين والمصالحين ، هم الأقسام الأربعة التى قدمنا ان جميع الأجانب فى البلاد الاسلامية لم تخرج عنها

« ومن مقتضياته أيضا اعداد ما يستطيع من القوة ومن رباط الحيل ، وانه لا ريب فى انه يدخل فى القوة المدافع وغيرها من أنواع العدد الحربية الجديدة المناسبة لكل زمان ومكان ، وكذا جمع ما يتصور العقل ان فيه نكاية للخصم » غير انه لسوء الحظ ، كان تلك الآلية الكريمة الآمرة باعداد ما ذكر ، انما نزلت على خصوص الأجانب فعملوا بها دوننا ، ورفضناها نحن كغيرها من شعائر ديننا ، وحدود ربنا تبارك وتعالى حتى بلغ من تضلع البغاة الجهال من الفنون الحربية ، وخبرتهم بطرق النكاية للعدو أن يقابلوا الآلات الانجليزية الحديثة العهد المصنوعة منذ أشهر وأسابيع بالآلات عتيقة مضى عليها من الأجيال ما أكلها به الصدا ٠٠ فأواه ثم أواه ١٠٠ !

« ولكن هو الجهل حتى ينبع الكلب مولاه

« فلو اننا فرضنا المستحيل من كون هذه الحرب دينية والحالة هذه وانها بأمر الخليفة الأعظم أو نائبه الخديو الأكرم لوجب شرعا مخالفة أمرهما بها لأنها حينئذ عبارة عن المخاطرة بالبلاد والعباد (يريد الشيخ تسليم البلاد للعدو بلا قتال)

« وقد نهانا الله تعالى عن أن نلقى بأيدينا الى التهلكة فكيف وهذه الحرب كما قدمنا شيطانية ناشئة عن حب الذات والمصلحة الشخصية ، وعن الجنون الذي أتى به الآن عرابي تخلصا من سوء العاقبة ، وان كانت أفعاله كلها جنونا محضا من البداية للنهاية . على ان الحروب الدينية المرضية في الحقيقة لله ورسوله لا تحتم نصر أربابها ، اذ لا يجب على الله تعالى شيء وتلك سنته عز وجل في المرسلين والأنبياء أن تكون الحرب بينهم وبين أعدائهم سجالا ، أي تارة لهم وتارة عليهم ، وان كانت العاقبة لهم بلا ريب ، وذلك لتقتدى الأمم بأعمالهم فيبنون المسببات على الأسباب ، لأن للشرائع السماوية خصوصا الشريعة المحمدية المطهرة تشوقا زائدا لذلك أي لابتناء المسببات على أسبابها حرصا على الأمة أن تغلق باب الأسباب فيختل نظام هذا الوجود ويبطل العمران ، وان كان الكل بيد الله واليه وهو خلقكم وما تعملون

« فأما الآن قد سد باب الحوارق والمعجزات ، اذ قد ختمت النبوة بمحمد عليه الصلاة والسلام (فاه الرجل بالحق بعد شططه)

« وأما الكرامة فلم ينصر بها الحسين عليه السلام ولا غيره من البضعة المقدسة مع الاجماع على كونهم على الحق (لنا بهم أسوة حسنة) ولعل عرابي يزعم انه أكرم على الله من الحسين وحزبه (كلا فان الفرع لا يعلو على الأصل) ويا عجبا لهذا الجاهل كيف خاطر بدماء المسلمين وأعراضهم

وبلادهم (جهل الشيخ أن الحرب شرعية واجبة أقر بها مجلس عال تحت رئاسة الحديو توفيق باشا ودرويش باشا المندوب السلطاني فلا لوم على الجاهلين) استنادا على خرافات المنام وأضغاث الأحلام (قد خرف الشيخ فلا لوم عليه) فاستمال بذلك عقول الجهال ، وفتح باب الحرب مع الأجانب بعد شدة نهى الخليفة الأعظم ونائبه الحديو الأكرم عنها ، ومع أنه ليس لديه من القوة سوى ما ينشره من الأكاذيب (كذب الشيخ وافترى) • انك يا عرابي لما وقعت في يدك ويد جهالك الآلات الحربية وصرتم نفس القوة التي من شأنها أن تكون عوناً للحكام على تثبيت النظام وردع الأشرار وليس للحكومة إذ ذاك قوة أخرى تكسر بها شوكتكم امتلات نفوسك الحبيثة بالشروع (فتن الرجل وظهر خبثه) فطمعت في المستحيل وما ليس إليه سبيل واستعملت انت وحزبك للحصول على ذلك جميع الوسائل ولكنهم صاروا بعناية التوفيق كلما أوقدوا ناراً لهذه الحرب أطفأها الله (اشرك الشيخ الضال وحرف الآية الكريمة لغير معناها • باع دنياء وآخرته بثمن بخس • لارعى الله الغنى من سبيل الخيانة والتزلف ، وحبذا الفقر مع الأمانة والقناعة) حتى إذا أغلقت في وجوههم المطالب عمدوا إلى وسيلة أخرى ألا وهي اتهام الجراكسة الكرام ظلماً وعدواناً بالمؤامرة على الفتك بعرابي فصار هو الخصم والحكم ، واکراههم بأنواع العذاب على الإقرار بما نسب إليهم وبأن لهم فيه شركاء هم فلان وفلان لجملة من الأعيان والعائلة الكريمة الحديوية ، بحيث أن سير الجهادية في تحقيق هذه القضية كان يشبه سير الوحوش في البرية ، لأن تلك المؤامرة لو ثبتت على الجراكسة ولم تكن بقصد الفتك بعرابي ، بل كانت بقصد الفتك بأمبراطور مثلاً بالنسبة للأمور الدنيوية أو نبي مرسل بالنسبة للأمور الدينية

لكان تحقيقها أخف من ذلك التحقيق (ذلك أمر غاب عن الشيخ صوابه وقد تورط فيه من غير أن يدعو إليه أحد) . وأراك يا عرابي لو أصبت يوم حرب الاسكندرية زورقا للانجائز فضلا عن سفينة ، مما زعمته أحزابك لكبرت نفسك عن دعوى النبوة فكنت تدعى الألوهية ، ولا تعدم من يؤمن بك من الجهال . نعم أنك قد اكتسبت الشهرة الفاسدة بأعمالك ، غير أن لك في ذلك أمثالا كثيرين منهم ابليس اللعين وعافر الناقة الذي هو أشقى الأولين ، وابن ملجم أشقى الآخرين ، فإن كان في شهرة هؤلاء شرف لهم فأنت أيضا كذلك (وقع الشيخ في أمثاله وأظهر فساد علمه ، وخبت طويته ومباغ نصيبه من الآداب وكل اناة ينضج بما فيه) . . .

وقد أطلال الشيخ حمزه في هذه الأكاذيب وتلك الافتراءات في عدة مقالات بجريدة البرهان

وكذلك حذا حذو الشيخ حمزة المفتون المولع بالكذب والبهتان شاعر المتحيزين الى الأعداء وصنيعة المستبدين مصطفى باشا صبحي البوشناقى (من سلالة عائلة من أهل البوسنة وهى ولاية فى بلاد الروم) قال فى مطلع قصيدته التى سماها :

(صدق المقال فى مثالب البغاة الجهال)

تبين عقبي غيه كل معتدى

وأسمى العرابى وهو بالذل مرتدى

وهى ١٢٥ بيتا كلها سباب وشتائم نظمها خدمة للاستبداد

جزاه الله بما يستحق

وكذلك فعل اثنان من مرتزقة الأدباء : أحدهما أديب

اسحق اللبناني طمعا فى الاستجداء ، والثانى قدرى بك

الشامى الذى كان مع درويش باشا حتى لا يرجع الى بلاده

خاوی الوفاض . علی ان الحدیو أغدق علیه وعلی درویش
باشا وولده بالذهب الكثير وخلع علیهم خلعات ثمينة ، قبل
وقوع الحرب ، وفي أثناء تأدية أعمالهم



احتلال الانجليزية لقناة السويس

الخدو توفيق يساعد الانجليز على الاحتلال

فى ١٤ يوليو سنة ١٨٨٢ ورد لنا تلغراف من المسيو دى لسبس مدير شركة القنال يستعلم عن رأينا فى القنال بالنسبة للحركات الحربية فأجبتة فى التاريخ المذكور بالتلغراف أيضا اننا نعتبر القنال حرا للمنافع العمومية الدولية ، ولذلك فانا لا نتعرض له بضرر اذا أمكنه منع المراكب الحربية الانجليزية من خرق حرمة الحياد واحترامها لقانون الشركة ، والا فنكون أحرارا فى مقابلتهم بالمثل

فورد تلغراف فى اليوم المذكور يفيد انه ضامن ومتكفل بمنع الانجليز عن اختراق القنال ما دام فيه عرق ينبض ، فظننا ان فرنسا تدافع عن حقوقها وتحافظ على حرية القنال، ولا تلدغ من جحر مرتين

ولما أخذ الانجليز ينزلون فى السويس احتج المسيو دلسبس على ذلك ، فأصدر الخديو أمرا بأن أمير البحر وقائد القوة الانجليزية العام بما انهما أتيا مصر مأمورين باعادة الراحة والنظام اليها ، فهما لذلك مفوضان بالحلل فى جميع النقط التى يريان وجوب الحلل فيها بقصد قمع العصاة وقد تواعد فى هذا الأمر من يخالف أحكامه بالقصاص الصارم

وقد بعث المسيو فكتور دى لسبس لآبيه المسيو فردناند دى لسبس تقريراً بتاريخ ٢٠ أغسطس سنة ١٨٨٢ على أثر تلك الأحوال هذه ترجمته :

« يا حضرة الرئيس
« فى تقاريرى السابقة أنبأتكم باصرار الحكومة الانجليزية

على عدم الاكتراث بأنظمتنا وقوانيننا ، وبحلول الانجليز
فى مياه ترعة السويس بناء على أمر الأميرال هيويت

» وفى ١٣ أغسطس أرسلت اليكم تلغرافا مشتملا على
بيان مسألة الانجليز فى الترعة ثم توجهت الى السويس .
ففى صباح ١٤ منه حصلت مقابلة بينى وبين الأميرال
هيويت فبسطت له فيها ان رئيس ومدير ادارة الترعة لم
يجب على رسالته لأسباب أجلبها انه اعتبر الجواب عليها
من موجبات وقوع سوء التفاهم والوحشة بينهما ، ولذلك
كلفتنى أن أجتمع به وأشرح له مشافهة ما لا يشك بعده ان
الانجليز يخرجون من الترعة مراعاة للعهود والمواثيق

» ولقد شافهته بهذا الكلام ولم ألق عناء فى اقناعه بأنه
تجاوز الحدود المقررة للدول المحاربة ، فان الأعمال التى
قاموا بها لم تكن الا لتحمل المصريين على العبث بحقوق
الدول فى الترعة ، بعد أن رأيناهم الى الآن يحترمونها
بالرغم من مظاهرات الانجليز . وقد قلت له انه اذا علم
المصريون ان الانجليز حلوا على ضفاف الترعة بغية ادخار
المؤونة فيها ترتب على ذلك خوفا من سدها وقطع الماء عنها

» ثم سألتنى الأميرال أن ألقى اليه شروحا وتفصيل
كافية عن حيادة الترعة وحقوق كل من الشركة والحكومة
المصرية وواجباتهما ، فقلت له بل ذكرته بأن الصفة التى
لزمها المسيو فرديناند دى لسبس فى انجلترا فيما يتعلق
بشأن الترعة كانت تلقى من مصاعب المقاومة ما تحمل
لأجله أمورا كثيرة جدا فى جعل الترعة على الحياد ، وكيف
أنه بمحاماته عن مبدأ هذا الحياد ، كانت الشركة تظهر
نفسها حريصة على منافع انجلترا ومصالحها ، وذلك بمنعها
عن الاتيان بأعمال تضر بالتجارة العمومية وتجاريتها
خصوصا . وقد أعلنت له أن الاحتجاج على الأعمال العديدة
التي خرقت بها انجلترا حرمة النظمات الموضوعة للترعة

والمرعية الاجراء يجب ألا يؤخذ منه ان الشركة تقصد الأمة
الانجليزية بعدوان ، ولكنها تقصد به المعارضة والممانعة
فيما يوجب اقامة الحجر عليها ، سواء أكانت الدولة الجانحة
اليه انجلترا أم غيرها

وقد أفهمته ان الحديو ليس في رغبته أن يخل بنظام
الترعة وان شأن السفن المصرية في الترعة شأن السفن
الغربية الأخرى . وفي الجملة ان البحرية الانجليزية
لا تستطيع أن تأتي عملا مخلا بالحقوق المحترمة باسم الحديو
وحكومته

« فشكرني الأميرال على ما أبديته له وقال لي انه سيكتب
الى حكومته بما ألقيته على سمعه فيما يختص بحياد الترعة
وشأن الشركة فيها

« وبعد زيارتي له بنحو ساعة من الزمان لم يبق في مياه
الترعة جندي واحد قط من الجنود الانجليزية

« ثم عدت الى الاسماعيلية يوم ١٥ الشهر . ففي ١٦
منه ورد للمسيو دي روفيل رسالة من القبودان فيتزروي
مآلها ان الأميرال هوسكنس ليس على علم صحيح بشأن
الحكومة المصرية والشركة في ترعة السويس ، فدعاني
المدير على أثر ذلك الى بور سعيد وكلفني أن أجمع
بالأميرال وأجعله على ما يروم من العلم اليقين بحقوق
الحكومة المصرية والشركة في خليج السويس

« وفي ١٨ منه اجتمعت بالاميرال هوسكنس ، فلقيت منه
غير ما لقيته من الأميرال هيويت فانه جعل في أذنيه صمما ،
وأمالهما عما كان في كلامي من الصواب

« ولقد صرفت بجانبه أكثر من ساعة على هذا الحال
محاو لا اقناعه بأن مياه بحيرة التمساح وبور سعيد خاضعة
كالترعة لحقوق الشركة ، وان جميع السفن الأجنبية بلا
استثناء تعامل في بور سعيد والبحيرة المذكورة بمقتضى
نظام الشركة المقرر

« فلم يصنع الأميرال لهذا المقال وفوق ذلك أنه كان يقطع على الحديث بين الدقيقة والاخرى ، ويقتصر على القول بأن المسيو دى لسبس عدو انجلترا وان فى بور سعيد راية مصرية

» ولقد بذلت الجهد فى اقناعه بأننا لسنا أعداء انجلترا وان وجود الراية المصرية فى مياه بور سعيد ليس من شأنه أن يجعل للبحرية الانجليزية أو بحرية أية دولة كانت حق خرق النظام وتجاوز الحدود . فكانت مساعى واجتهاداتى تذهب سدى

« فمن ذلك يتضح ان الأميرال كان قد تقرر فى ذهنه اننا أعداء الانجليز وان مياه بور سعيد وبحيرة التمساح ان هى الا مياه مصرية يفعل فيها ما يشاء من غير معارضة » وبعد أن انتهت هذه المخابرة بيننا رجعت الى الاسماعيلية وفى ليلة ١٨ من الشهر انقطع تلغرافنا بالقرب من السويس فاستدللنا من الآلات التى وجدناها فى الصباح ان الأيدي التى اشتغلت بقطع تلك الاسلاك انما هى أيد أوربية فعمد المسيو دى روفيل فى الحال الى اصلاحها واعادة المخابرات بواسطتها

» وبعد عودة الصلات التلغرافية الى مجراها السابق ورد تلغراف من المسيو شارترى مشتمل على نص رسالة بعث بها اليه الأميرال هيويت، مضمونها انه وفقا لتعليمات الحكومة الانجليزية أصبح مأمورا بمنع جميع السفن من الدخول فى التزعة وفى جملتها زوارق الشركة وباستخدام القوة عند الاقتضاء ، فى انفاذ هذه التعليمات

« فلما وقف المدير على نص هذه الرسالة بعث المسيو شارترى بذاكرة يقيم بها الحجة على رسالة الأميرال » وفى نحو الساعة التاسعة من صباح ١٩ الشهر دخل التزعة زورق مسلح من زوارق السفن الحربية

وتصدى لما فيها من الزوارق البخارية تصديا مبينا على ما جاء فى نص رسالة الاميرال * أما من جهة بور سعيد فلم يبد شىء من مثل ذلك

» وكانت التعليمات التى اعتمد عليها الاميرال منذرة بوقوع حوادث هائلة

» وفى ليلة ١٩ طرأت على الاسماعيلية تلك الحوادث وجعلتها مشهدا للمخاوف

» وذلك انه بينما كان جمهور من الاوربيين مجتمعين فى منزل المسيو بواليرى على أثر دعوة الى ليلة راقصة ، وكان الوقت اذ ذاك الساعة الثانية بعد منتصف الليل اذا بحركة فى طرق المدينة تصم الاذان ، فمن اطلاق بندق وسوق عساكر وجر مدافع الى غير ذلك مما كان حدوثه غير منتظر ، وكان اصحاب تلك الحركة هم الانجليز الذين أخذوا يخرجون الى المدينة غير مباليين بذعر السكان وقتلهم فى الطرق بنار البنادق

» وقد حرنا فيما بعثهم على تلك الحركة الحربية اذ لم يكن امامهم من عدو يطلقون عليه تلك النار ، فان معسكر المصريين كان فى نفيسة التى تبعد عن الاسماعيلية مسافة ثلاثة كيلومترات ، أما المدينة فلم يكن فيها الا نفر قليلون من البوليس ، وهم قوم من أشد الناس ميلا الى السكينة ، فانهم قضوا الى الآن فى الاسماعيلية سنين كثيرة ، ولم يكن همهم فيها الا تأييد الراحة والمحافظة على النظام

» وبعد خروج الانجليز بقليل دوت أصوات المدافع وذلك بأن أخذت السفينة أوريون والسفينة كاوليفور فى اطلاق مدافعهما على نفيسة ثم استمر اطلاق البنادق متتاليا متتابعاً فى شوارع المدينة ، وعند بزوغ الفجر انقطع اندفاع رصاص البنادق فى حارة الأوربيين ، وقد أصيب به رجل هولندى الأصل يدعى المسيو برونيس » وبعد شروق الشمس انطلق الملاحون الانجليز الى قرية

العرب التي يقطنها فعلتنا الوطنيون ، وأخذوا يطلقون النار على النساء والاطفال فكانوا يفرون من وجوههم الى الصحراء ويملاؤن بصراخهم الفضاء

« وقد أسروا بعض رجال البوليس من غير أن يبدى أحد منهم أدنى مقاومة ، ولكن قتل أحدهم أثناء محاولته الفرار مع عائلته

» وعندما نزل الانكليز الى البر قطعوا أسلاكنا التلغرافية المتصلة بالسويس وبور سعيد ، وحل القبودان فيتزروى فى مكتب الميناء وحجز على زوارقنا ، وقد أصبحت الاسماعيلية الآن من ضمن حصار مخيف وأمسينا لا ندرى بما هو جار فى بقية الخط . وقد أخذنا نهىء مكانا لعائلات مستخدمى الشركة حيث تكون آمنة شر الحشوف والرعب فان فى المدينة ٣٠٠ جندي فقط من ملاحي الانجليز ، ونحن نظن ان عساكر نفيسة يستطيعون ان يهجموا على المدينة فى الليل ويطردوهم منها ونرى من الحزم أن نرسل النساء والاطفال الى بحيرة التمساح ليقضوا فيها الليل . أما نحن فقد عزمنا على البقاء فى المدينة

« وقد منع القبودان فيتزروى النساء من السفر فكتبت اليه مستفهما عن سبب ذلك ، فبعث الى يقول انه يبيع للنساء أسفر ، ولكن رجال الميسو دى لسبس يجب أن يبقوا فى المدينة ، فانه يتوقع أن يحمل عليه فى الليل وأن يحدث قتال فى الاسماعيلية ، فلذلك يروم ابقاءهم فى المدينة

» فلما ورد هذا الجواب أثر قسم عظيم من العائلات البقاء فى المدينة على الجلاء عنها . أما القسم الآخر فالتجأ الى السفينتين الاسبانيتين « كارمين » و « الباتروش » وكان قائداهما (الدون كرلوس دويز) و (الميسو لونفيلد) قد

أرسلا اليها زوارق مخصوصة فتوجه عليها الى السفينتين
من رام الالتجاء اليهما

« وانقضى الليل من غير أن يحدث شيء مزعج فيه ، وفي
الصباح نهضنا من الرقاد وقصدنا الخروج الى الشوارع
والتجوال في المدينة ، فاذا هي غاصة بالعساكر الانجليز
البريين والبحريين

« وفي ٢١ الشهر نصب الانجليز أنفسهم سلكنا البرقى
الكائن على خط بور سعيد . وبلغنا ان كثيرين من الجنود
الانجليز نزلوا الى بور سعيد وان الاميرال هوسكنس
استولى على مكاتب الشركة فيها ، وطرد منها المسيو ديزا
قادى ، وان سفنا كثيرة من السفن الحربية دخلت الترعة
بدون أن تؤدى الرسوم اللازمة وان الانجليز حلوا في
القنطرة بالقوة

« وفي صباح ٢١ أتى الاسماعيلية الاميرال بوشان
سيمور والجنرال ولسلى والاميرال هوسكنس وفيه حصلت
مقابلة بينى وبين الاميرال سيمور أظهر لى فى غضبونها
رغبة فى عود الشركة الى شأنها المسلوب فى الترعة ، فقلت
له اننا لا نقدر أن نستلم زمام عملنا السابق فى الخليج الا
اذا كنا قادرين على ادارته بمقتضى حق الخدمة المقررة لنا
فى نظام الترعة وبعبارة أخرى رفع الحظر عن زوارقنا فى
الاسماعيلية وأعيدت المخابرات التلغرافية بيننا وبين
السويس . وفى الجملة يجب أن يعاد للشركة حق ادارة
أعمالها ، كما كان سابقا من غير أن يكون للغير دخل فيها ،
والا فالتبعة على الاميرال وأتباعه . فقبل الاميرال والجنرال
ولسلى تحمل هذه التبعة

« وفى ٢١ و ٢٢ الشهر رفعت الاسلاك التلغرافية
بين الاسماعيلية والسويس ثم بلغنا ان المصريين اشتبكوا
فى ٢٠ الشهر فى قتال عنيف مع الانجليز فقتل من
المصريين مائتان . أما عدد الانجليز الذين خرجوا الى

الاسماعيلية فقد بلغ من ٢١ الى ٢٢ الشهر عشرين ألف مقاتل

« وفى ٢٢ منه انخفضت مياه الاسماعيلية ٢٥ سنتيمترا واستمر هذا الانخفاض فى الأيام التالية بمعدل ٤ سنتيمترات فى اليوم وهو ما دعى الى الظن بأن العربيين قطعوا مياه الترعة »

« وفى ٢٣ سلك الانجليز طريق القاهرة سائرين على خط الترعة (الحلوة) وخط الطريق الحديدية ، وبعد أن حدث بينهم وبين المصريين بعض مناوشات بلغوا المحسمة وهناك تحققوا أن مياه الترعة لم تصب بأذى وعلى فرض أنها قطعت من فوق المحسمة ففى محققات القصاصين والاسماعيلية ما يكفى الترعة شهرين »

« وفى ٢٤ عاد سير الأحوال فى الترعة الى عهده السابق « وانى لا أنسى أن أذكر ان الانجليز كثيرا ما احتاجوا الى أدلاء السفن فطلبوا منهم بعض الخدمة فأبوا ما لم تسمح لهم الشركة باجابة الطلب »

« وحاصل القول فى الختام أنه لم يلحق بأحد من رجال الشركة سوء أو أذى فى مدة هذه الأزمة التوقيع (فيكتور دى لسبس)

خيانة الحديو توفيق

كل عاقل منزله عن الغرض يطلع على ما سبق توضيحه من أن الحديو أصدر أمره بأن أمير البحر وقائد القوة الانجليزية العام بما انهما آتيا مصر لاعادة الراحة والنظام اليها فهما لذلك مفوضان بالحلول فى جميع النقاط التى يريان لزوم الحلول فيها على قصد قمع العصاة وتوعده فى هذا الأمر لمن يخالف أحكامه بالقصاص الصارم . ومن يطلع على تقرير المسيو فيكتور دى لسبس واعتراف الشيخ

حمزة فتح الله في مقالته الاولى بأن الحديو ليس اول من انتصر بغير ذوى دينه ، بل أن له في ذلك سوابق كثيرة - يعلم علم اليقين أن الانجليز ما أتوا لقتال المصريين الا بطلب الحديو باتفاق سابق وان تقريره للحرب في المجلس الأعلى الذى كان تحت رئاسته ما كان الا خديعة منه وأن تحيزه لاعدو كان باتفاق أيضا حتى يصير قتال الانجليز مع المصريين باسمه ، وان النظار وغيرهم الذين اتبعوه كانوا قد خدعوا كما خدع الشيخ حمزة فتح الله وغيره من السطوة . على ان كل من كان معه كانوا من رجال الاستبداد الذين لا ترضيهم الحرية والمساواة الا اثنان منهم وهما : حسن باشا الشريعى وعبد الله باشا فكرى ، ولذلك سجنهما وأهانهما عند ابلاغه خبر هزيمة الجيش المصرى فى التل الكبير انتقاما منهما ، لعدم استحسانهما انحيازه الى الانجليز وأمره بعزلنا واعلانه عصياننا بعد أن ترامى فى أحضان الأعداء المحاربين لبلادهم . وقد أصدر النظار وهم مع الحديو توفيق فى قبضة الانجليز منشورا يصفوننى فيه بالعصيان على نحو ما وصفنى فى منشوراته ذلك الحديو الخائن للوطن

كتابى الى الباب العالى

وفى ٢٠ أغسطس سنة ١٨٨٢ أرسلت الى باشكاتب المابين بما يأتى :

« كنت قد بسطت لعطوفتكم فى ٢ أغسطس وما بعده أمر اعتداء الانجليز وتسلبهم فى جهتى السويس والاسماعيلية على التربة ، ومخالفتهم للعهود مخالفة لنظام التربة ، وبسطت أيضا ما كان من الهمة التى بذلناها فى جعل التربة على الحياد لانها نقطة وحيدة لاجتماع منافع الأمم وممر تجارة العالم أجمع . ولما كان قد قرب الآن ميعاد توجه المحمل الشريف والحجاج المسلمين الى جهة

الحجاز كتب الى المسيو دى لسببس الموجود الآن بالاسماعيلية
مستفهما عما اذا كانت انجلترا تمنع فى مرور عساكر
المحافظة المعتادة على التوجه مع المحمل الشريف أم لا .
فاجاب وكيل الجهادية بالتلغراف انه بالنظر الى الأحوال
الحاضرة ، لا يمكنه أن يأخذ على نفسه تبعة ارسال المحمل
الشريف . وبعد ورود هذا الجواب منع الانجليز سفن الدول
من المرور بالقنال وقطعوا الأسلاك البرقية الكائنة بين
السويس والاسماعيلية كما عرضنا ذلك بالتلغراف

« ثم انهم ادخاوا سفنهم الحربية مع العساكر بأسلحتهم ،
وقد أبنا الاحتياطات التى اتخذت لمقاومة العدو اذا تقدم
الى داخلية البلاد ، وكان قومندان الخط الشرقى ووكيل
محافظة الاسماعيلية ويوزباشى العساكر المستحفظة هناك ،
قد أفادوا أن من عزم الانجليز اطلاق مدافعهم على النقط
العسكرية الكائنة فى داخل البلاد . ففى هذا الصباح علم
من الاخبار الواردة ان الانجليز شرعوا عند الساعة التاسعة
من ليل أمس فى اطلاق القنابل من جهة الاسماعيلية على
نفيسة

« أما نحن فبالنظر الى احترامنا لعهود القنال بأن يكون
على الحياد ، والى عدم تقويتنا لتلك النقطة وعدم وجود قوة
عسكرية تقوم بشأن المحافظة على النقط فيما عدا (العساكر
المستحفظة) وموالة التحريض الشديد على عدم مس حقوق
القنال - كل ذلك جعلنا فى مأمن تام من تحمل أية تبعة
كانت

« ولما بدا من الانجليز هذا الاعتداء على ضفاف القنال
قدم المسيو دى لسببس احتجاجا الى الاميرال الانجليزى ،
وارسل صورة الاحتجاج بالتلغراف الى الحكومة الفرنسية ،
فاتصل خبره بوكلاء الدول فى عاصمة الحكومة المشار
اليها ، فأعلموا دولهم بصفة رسمية . أما الانجليز

فلم يلتفتوا الى الاحتجاج ، بل أصروا على الاخلال بنظام
القنال ، وفي هذا الشأن أرسل تلغراف الى المسـيو
دى لسبس بما يأتى :

« بما ان الانجليز خرقوا نظام حياذ التركة ، فقد
صارت مصر مضطرة الى سدها وتعطيلها منعا لاعتداءاتهم،
فاذا لم يرد اليينا جواب شاف فى مدة ٢٤ ساعة اضطررنا
الى اتخاذ الاحتياطات اللازمة للدفاع »

« فمن التفاصيل التى تقدم سردها تعلمون ان الدولة
الانجليزية التى كانت متخذة لها مقاما خطيرا لدى الخلافة
الكبرى وفى دار السلطنة العظمى وكانت تزعم أنها أشد
الدول محافظة على السلام ، وانها لا تحارب مصر، ولا تقصد
بها شرا قد أوقعت المسلمين فى اشكال عظيم

« ومن التعدى الذى قامت به أمس ظهر فى الواقع
تظاهرها بخلاف ما كانت تزعمه سابقا وتحقق أيضا انها
مقاومة لجميع المصريين الامة الخاضعة للدولة العثمانية ،
وانها داست بأرجل المطامع منافع جميع الدول ، ولم تخش
أحدا ورمت بنار الحرب أقليما عظيما

« فبما ان أعمال الانجليز وصلت الى هذه الدرجة فلم
يعد فى الامكان التراخى فى اتخاذ الوسائط المقتضاة لدفع
كيدهم ، وأما النتائج الوخيمة التى ستترب عن ذلك
فستكون عائدة على المعتدى الظالم

« وقد بسطت فيما مضى شرح الأحوال التى كانت
جارية يوم تدوينها وارسالها فلكى يكون ما أعقبها غير خاف
على شريف علم أمير المؤمنين بادرنا الى كتابتها وتقديمها
لذاذى عطوفتكم »

الجزء الثانى

يصدر فى ٥ مارس القادم

لم يتسع المقام لنشر جميع هذه
المذكرات التاريخية القيمة فى جزء واحد
من هذه السلسلة • ولهذا آثرنا أن
ننشرها فى جزئين

وسيبدا الجزء الثانى بباب معارك
القتال بين المصريين والانجليز داخل
القطر ، وتليه جميع الحوادث التى وقعت
بعد ذلك حتى قبض على عرابى باشا
وزملائه

كما يتضمن الجزء القادم محاكمة زعماء
الثورة ثم نفيهم وقصة حياتهم فى المنفى
وفى هذا الجزء أحداث خطيرة، ووصف
شائق ، وقصص تاريخى طريف

فهرس

صفحة

٤	مذكرات عرابى : بقلم الرئيس اللواء محمد نجيب ...
٧	كلمة صاحب المذكرات
٩	نشأتى
٢٧	فى الحملة الحبشية
٤٧	فى تولية توفيق باشا
٥٥	حادثة قصر النيل
٧٣	حادثة عابدين
١٠١	مجلس النواب
١١٩	وزارة محمود سامى البارودى
١٣٧	حوادث الثورة
١٥٧	ضرب الاسكندرية
١٩١	المؤتمر الوطنى
٢١١	احتلال الانجليز لقناة السويس

2678

وكلاء مجلات دار الهلال

يا ولبنان : شركة فرج الله للمطبوعات - مركزها الرئيسي
بطريق الملكي المتفرع من شارع بيكو في بيروت
(تليفون ٧٨-١٧) صندوق بريد ١٠١٢ -
أو باحدى وكالاتها في الجهات الأخرى .
(الأعداد ترسل بالطائرة للشركة وهي
تتولى تسليمها لحضرات المشتركين)

إراق : السيد محمود حلمي - صاحب المكتبة
العصرية - بغداد

لأذقية : السيد نخله سكاف

كة المكرمة : السيد هاشم بن علي نحاس - ص ٩٧ ب

**البحرين والخليج
لفارسي :** السيد مؤيد أحمد المؤيد - مكتبة المؤيد -
البحرين

Snr. Jorge Suleiman Yazigi,
Rua Varnhagem 30,
Caixa Postal 3766,
Sao Paulo, Brasil

لبرازيل :

The Queensway Stores, P.O. Box 400.
Accra, Gold Coast, B.W.A.

ساحل الذهب :

Mr. M.S. Mansour, 110, Victoria Street.
P.O. Box 652, Lagos, Nigéria, W.C.A.

يجريا :

نجلترا : مكتب توزيع المطبوعات العربية

Arabic Publications Distribution Bureau
15 Queensthorpe Road, London, S.E. 26.

هذا الكتاب

قدم هذه المذكرات زعيم ثورتنا الجديدة الرئيس اللواء محمد نجيب - على نحو ما يراه القراء - وبين الثورة العرابية الأولى وهذه الثورة صلة متينة ، فكلتاها قام بها الجيش ، وكلتاها كان على رأسها زعيم عسكري فلاح ، وكلتاها قامت في وجه الطغیان ولا ريب أن نشر هذه المذكرات بقلم احمد عرابي زعيم الثورة العرابية نفسه يعتبر حادثا تاريخيا هاما ، يلقي الضوء على كثير من الحقائق التي ظلت - لاعتبارات سياسية - خافية عن الناس ، ويميط اللثام عن اسرار لم يقف عليها المؤرخون الذين تصدوا لتاريخ هذه الثورة ، وتفاضوا عنها في العهود الماضية ولقد بدا احمد عرابي مذكراته بالكتابة عن نشأته وحياته في الجيش قبل الثورة العرابية ، ووصف ما كانت عليه حياة مصر السياسية من الفساد والظلم في عهد الخديو اسماعيل والخديو توفيق ، مما دفعه هو والضباط الاحرار وكبار المفكرين لانقاذ الوطن مما يعانيه ، والدفاع عن كرامته . ولما كان ايجاز هذه المذكرات الخطيرة او نشرها في كتاب واحد يفقدها اهميتها التاريخية ، فقد آثرنا ان نقسمها الى قسمين ، القسم الاول منهما في هذا الجزء ، وسننشر القسم الثاني في كتاب مارس القادم . وكلاهما مكتوب بأسلوب شائق



